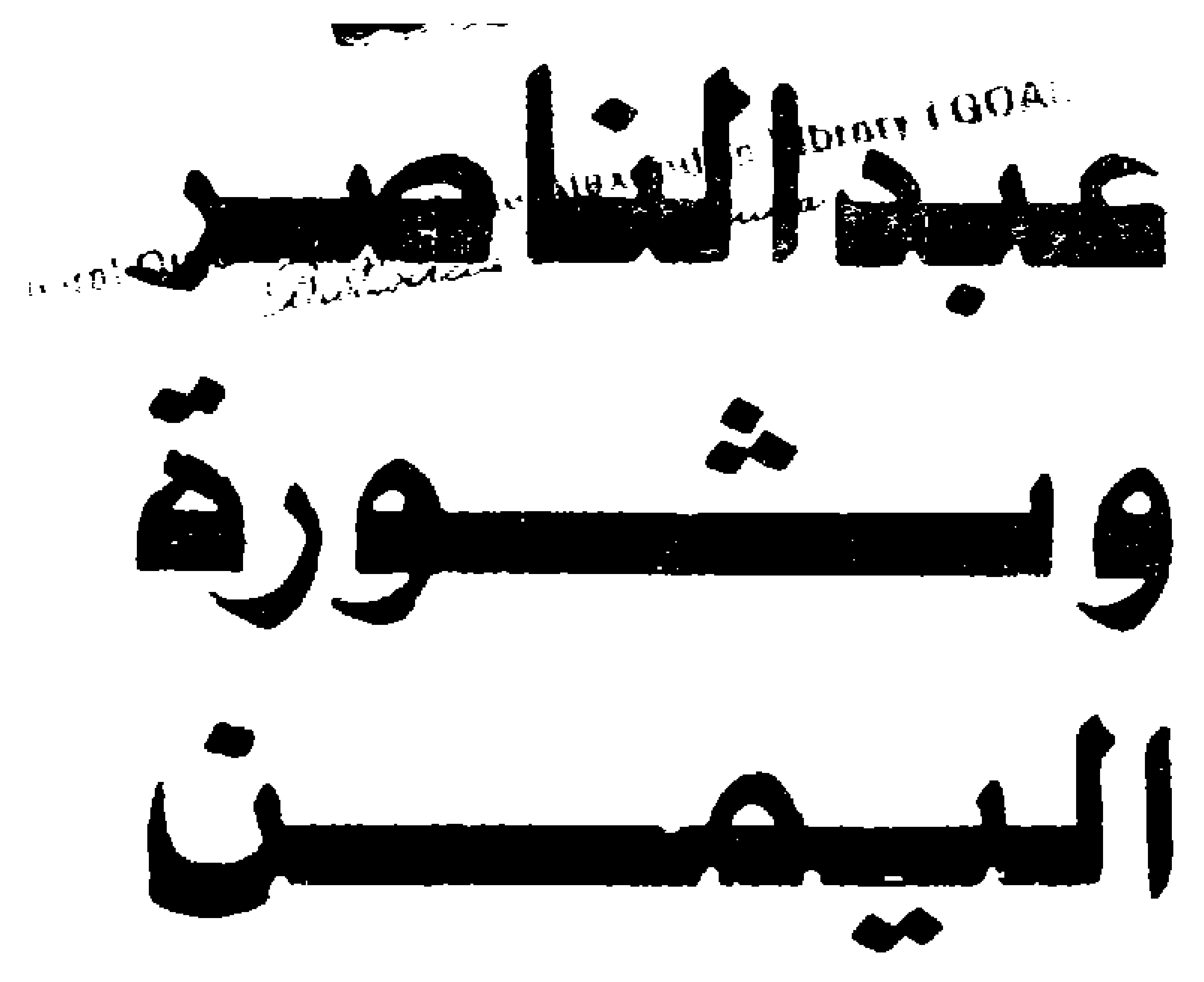
عبد الناصر و ثورة اليمن

دكتور محمد علي الشهاري





الدكتور محمد على الشهارى

الناشر

مكتبة مـــدبولى

٦ ميدان طلعت حرب بالقاهرة

تليفون ٩٧٥٤٢١

كلمة حول الناصرية وثورة ٢٣ يوليو الرائدة

لم يصبح بعد عبد الناصر تاريخا مضى ، يعود اليه الدارسون بالبحث والتقييم (كموضوع اكاديمى) مستقل بذاته ، منفصم عما بعده — رغم انه مضى على مغادرته عالمنا بضعة اعـــــوام — انما مايزال عبد الناصر تاريخا حيا ومتصلا ومتجددا ، ذلك ان الثورة التي قادها لم ولن تكف عن النمو والتقدم ، ولا عن العطاء والاخصاب .

وبعد ان عاشت فى ظل عبد الناصر تثير الدنيا وتقعدهــــا ، وتتناول بمعاول الهدم والتصحيح كل معوج وفاسد فى حياة عالمنا العربى . وتثير غبار المعارك فى كل مكان طالته من كوكبنا . وتذيق الاستعمار والصهيونية والرجعية مر الحياة ، وترفع بعرض الرقعة الممتدة ما بين المحيط والخليج اعلام التحرر الوطنى ، والوحدة القومية ، والحرية الأجتماعية ، وتمضى فى الكفاح تحتها ، حتى ينتصب للعرب أول كيان قومى عملاق تقدمى حديث ، منذ قرون من الضياع والتمزق والانسحاق والاستعباد ، بعد ذلك انتقلت ثورة يوليو فى ظل أنور السادات الى عهد الاستقرار السياسى ، عهد اقامـــــة المؤسسات السياسية والدستورية التى تتحول بها الثورة الوطنيـــة التحررية الى نظام ديمقراطى ثابت الاركان ، مفتوح الافاق على حركة التطور الاجتماعى والتاريخى بدونما حدود .

ان هاتين الحلقتين المترابطتين ، أو الحقبتين المتصلتين من عمر ثورة يوليو الخالدة ، واللتين حاولت بعض الاقلام العابثة ان تفصلهما عن بعضهما ، وتوجد تعارضا مفتعلا يبلغ حد القطيعة بينهما . عما عن التلاحم العضوى ، والتتابع الزمنى ، من وجهة نظر تاريخية بحته . حتى ولو وجدت فوارق معينة من حيث الرؤية الاجتماعيـة والسياسية لكل من الحلقتين أو الحقبتين التاريختين .

ولا ادل على ذلك من ان القيادة التى تمسك اليوم بزمام ثورة

يوليو هى من ذات وجنس القيادة الشرعية والتاريخية التى فجرتها واطلقت لهبها المقدس فى انحاء الوطن العربى .

صحيح ان فترة عبد الناصر تميزت بعملية التحولات الاقتصادية والاجتماعية الحاسمة ، وبعملية الانتفاضات الوطنية والقومية المتلاحقة ، التى لا يمكن ان تتم بغير الاسلوب الذى يجرح ويدمى ؛ اسلوب الاجراءات الاستثنائية الضرورية ، اسلوب (الثورة) و (العنف الثورى) وان فترة انور السادات تميزت ــ الى جانب قيادة حرب التحرير ضد الاستعمار الصهيونى التى لم ينطفىء أوارها بعد ــ بالتركيز على بحث الاسس الديمقراطية الصحيحة التى ينبغى ان تنهض عليها حياة البلاد السياسية ،وتمضى من خلال قنواتها المنظمة والطبيعية حركة الجدل الاجتماعى ، بعيدا عن الاجراءات الاستثنائية واساليب العنف التى لم تعد هناك ضرورات قاهرة تحتمها .
ولكن من قال ان هذه الفترة ليست معتمدة على تلك او منبثقة عنها ، أو امتدادا طبيعيا ومنطقيا لها ومرحلة من مراحل سيرها الحتمى والضرورى ــ حتى ولو تميزت عنها ببعض السمات ــ وان كلتاهما املت اسلوبها و « طابعها » الخاص بها الظروف الموضوعة والعوامل الذاتية المتميزة المحيطة بكل منها ؟

ولا ينبغى لاولئك الذين لا يحسنون فهم حركة التاريخ ، ومراحلة المتلاحقة والمترابطة ببعضها البعض وفق قوانين مادية تاريخية صارمة ، ديناميكية ، ان يتصدوا لما لا شأن لهم به ، انطلاقا من اهداف سياسية وطبقية ضيقة وانانية ، كما لا ينبغى لاولئك الذين لم يعودوا يرون من فترة حكم عبد الناصر غير الجوانب السلمية فيها ، ومن الذين فاضلوا معه وتحت قيادته من القوى الوطنية والتقدمية ــ وبنكران ذات غير مسبوق ــ غير مسايرين للعهد ؛ متعلقين بأذياله ــ كما لو كان عهد سؤ ينبغى التبرؤ منه ــ لا ينبغى لاولئك ان يتناولوا احداث التاريخ الحية والضخمة بمثل هذه السهولة العجيبة ، وبمثل ذلك المنطلق المختل ، كذلك البعض الذى يتخذ من صيغة (تحالف قوى الشعب العاملة) التى اقترحتها الناصرية ؛ والتى حاول الاتحاد الاشتراكى ــ حتى الان تجسيدها دون نجاح يذكر ، ومن مسألة (التنظيم الطليعى) الذى حاول عبد الناصر ــ فى اخر لحظة ــ تكوينه ، ليكون قيادة اشتراكية لقوى

التحالف الشعبية — دون ان يجد أيضا من الوقت ومن الظروف ومن العوامل المساعدة ما يكفى لبلورة وانضاج ملامحه الطليعية أو الاشتراكية الموخاة — كذلك البعض الذى يتخذ من ذلك مدخلا لاظهار حقده الطبقى والسياسى الدفين على ثورة يوليو وقادتها ، ولمهاجمة كل شيء فيها ، أو مرتبط بها ، تصريحا أو تلميحا ، سرا أو علنا ، ابتداء من مهاجمة ناصر والناصرية ، الى مهاجمة الثورة والثورية ، ومن الطعن فى منجزات ثورة يوليو الرائدة ، التى كانت فتحا جديدا وكاملا فى حياة العرب المعاصرة ، وفى تاريخ المنطقة العربية برمتها . الى الغمز من قناة من كانوا ابرز انصار هذه الثورة ، واقوى دروعها ، واكثرهم وعيا بابعادها السياسية والاجتماعية ، والقومية والعالمية ، وعلى رأس هؤلاء جميعا القوى الوطنية والديمقراطية والاشتراكية .

وبعيدا عن الحديث الهازل والعابث والحاقد عن قائد ثورة يوليو العظيم فان الحديث الجاد والموضوعى والمتزن عن ناصر والناصرية لاينبغى أن يقف عند قضية (التنظيم السياسى) أو معضلة (التنظيم الطليعى) المنبثق عنه . والواقع ان البحث فى الناصرية يعنى مباشرة البحث فى ثورة ٢٣ يوليو ، ويعنى الوقوف وجها لوجه امام صيحة الثورة العربية المعاصرة . والناصرية كأى ظاهرة من ظواهر التاريخ الكبيرة ، حركة اجتماعية ، وفلسفة سياسية ، فرزها النضال العربى فى مرحلة من مراحل تقدمه ، مرحلة الصراع القومى والمصيرى — الذى يبلغ حد الالتحام والاشتباك المباشر بالانياب والاظافر — مع الاستعمار والصهيونية والرجعية ، مرحلة البحث عن المركز القومى الثورى الذى يستقطب ويشد ويحشد ويتقدم حركة وقوى التحرير والتوحيد العربية ، مرحلة البحث عن القيادة القومية الملهمة والملهمة ، التى تعى قوانين المرحلة التاريخية والاجتماعية المعاشة ، وتبصر ابعادها ، وتدرك اهدافها . وتضع نفسها فى مقدمة الزحف الثورى والمصيرى لتحقيقها . ولقد كانت الناصرية — أى ثورة يوليو — بتصديها الشجاع للاستعمار . وقواعده العسكرية ، واحلافه السياسية ، وربيبته الصهيونية ، واحتكاراته النفطية ، وركيزته الرجعية وبادراكها لدور مصر القومى والريادى ، ورفضها ذلك المنطق الأقليمي والضيق الذى سارت عليه — فى الاغلب الاعم — الحركة الوطنية المصرية ، والقاضى بالاهتمام بقضايا (مصر أولا) وبالاكتفاء بمقولة (مصر للمصريين) —

وبوعيها التاريخي والقومي النافذ والناصع بأن مصر هي قاعدة وطليعة حركة التحرير والتوحيد والتطوير العربية ، ثم بامتلاك عبد الناصر نفسه ذلك الشعور القومي الفياض ، وذلك الامتلاء والتوتر الحاد بقضايا النضال العربي عامة ، وبأنه هو نفسه تلك الزعامة التاريخية التي يتطلبها هذا النضال ، وذلك الرمز الوحدوي لحركة التوحيد العربي ، وذلك البطل القومي الذي تنتظره الامة العربية — اقول ان الناصرية — أو ثورة يوليو — بتجسيدها ذلك كله كانت هي هذه الظاهرة التاريخية العملاقة التي جاءت لتلبية مطالب هذه المرحلة التاريخية ، والتصدي لحلها . ومن هنا تقدمية الناصرية وثوريتها وحيويتها وايجابيتها .

ولقد ظهرت ثورة يوليو — وظهرت الناصرية معها — في وقت كان قد انقسم فيه العالم الى معسكر امبريالي — رأسمالي ، ومعسكر اشتراكي ديمقراطي ، وفي وقت وجدت فيه حركة التحرير الوطني العالمية في المعسكر الاشتراكي السند والظهير في مقارعتها للامبريالية ، ووجدت فيه الايديولوجية العمالية المحرضة والداعية لحق تقرير المصير لشعوب الارض المستعمرة وشبه المستعمرة والتابعة ، ووجدت فيه السياسة الاشتراكية المعاضدة والمباركة لقيام الدول الوطنية والقومية الموحدة المركزية ، المتحررة الديمقراطية ، ووجدت فيه تلك المقولات النظرية التي طرحتها الاشتراكية العلمية، والقائلة بان حركات التحرير الوطني العالمية لا بد لها — كقانون تاريخي حتمي — بحكم ان رأس حربتها موجه مباشرة ضد الامبريالية من ان تتحول الى حركات اجتماعية تقدمية ضد النظام الرأسمالي نفسه ، الذي فرز ظاهرة الامبريالية والاستعمار ، كأعلى واخر وخاتمة تطوره ، وبالتالي بداية انحداره وافوله .

وعبقرية ثورة ٢٣ يوليو — وبالتالي عبقرية الناصرية — انها كانت أول حركة قومية عربية وعت ذلك كله وعيا علميا سليما وممتازا ، وجسدته — ولاول مرة — في وثيقة نظرية قومية هي (ميثاق العمل الوطني) — الذي يعد الاول من نوعه في تاريخ انظمة الحكم الوطنية العربية ، والذي يعتبر فتحا كاملا في ميدان الفكر القومي العربي .

وبمضي ثورة يوليو — والناصرية معها — في ضوء مثل هذه الرؤية التاريخية — القومية — الاجتماعية الناصعة المتكاملة في

مضمار الكفاح العملي نحو تنفيذ مهامها الثورية والنضالية ـ وعلى مساحة تمتد الى اقطار الوطن العربي الكبير ، والى كل مكان يوجد فيه للاستعمار موقع نفوذ ـ فأنها دخلت التاريخ المعاصر باعتبارها احدى ظواهره الجديدة والحية ، والتقدمية والشامخة .

وعلى ذلك فان على من يريد مواجهة الناصرية ـ أى ثورة يوليو ـ فأن عليه ان يفعل ذلك ـ ليس بدافع الحب أو الكره ،وانما بغرض الفهم والدرس ، والفحص والتقييم ، وبهدف كشف طبيعتها . وتحديد القوانين الدخلية الوطنية والتقدمية التى تحكمت فى حركتها ونموها ، ثم تبين الايجابى والسلبى فيها ، ومدى حظ هذا من ذلك ، وبعد ذلك عليه ان يختار بأن يكون ناصريا ، أو غير ناصرى ، أو صاحب رأى واجتهاد مدروس فى الناصرية ، أو حتى معاديا لها ، تماما كما يكون صاحب موقف ورأى فى ثورة يوليو نفسها ، معها ، او ضدها أو فى موقف بين بين !

وفى كل الاحوال فان اى وطنى شريف واى ثورى أصيل ، واى ديمقراطى حق ، وأى اشتراكى ناضج ، وأى مفكر صحيح ، ايا كان مشربه ـ ولا يفصل ثورة يوليو عن قائدها ولا يغفل تأثيره الخاص ، وبصماته المحفورة فى مجرها ـ لا يمكن له الا ان يقف امام ناصر والناصرية بالاحترام كله ، وبالايمان اجمعه ، وبالفهم الواضح والمستقيم قبل كل ذلك وبعده ـ بأنه طالما وقضايا النضال العربى التى حاولت وارادت ثورة يوليو حلها فى حياة زعيمهاماتزال قائمة ، فان الناصرية ـ ثورة يوليو ـ ستظل قائما ، شأنها شأن أى حركة تاريخية أصيلة ، وأنه سيظل لها مكان شاغر وكبير بين توى المرحلة التاريخية ، حتى تحل هذه المهام ، وانه لا بد لها من اجل تحقيق ذلك كله من ان تواكب حركة التطور التاريخى ، والتقدم الاجتماعى والسياسى والفكرى ، وان تتزود من ذلك كله بذخيرة لازمة وكافية عبر مسيرتها الممتدة ، وان تزداد نضوجا واكتمالا ، دون أن يعني ذلك أنه لم ولن تكون هناك ـ بفعل عملية التطور هذه ـ اجنحة يمينية ووسطية للناصرية الى جانب خطها اليسارى الثورى والاصيل ، الذى لا محيص لثورة يوليو ـ حقل التجربة الناصرية المباشر وميدان اختبارها الحقيقي والعملى ـ من أن تستمر به ، وتجدد فيه وتعمل على تعميقه وتطويره ، دائما وبدون توقف .

وككل ظاهرة ثورية فأن لثورة يوليو ـ وبالتالى للناصرية ـ

سلبياتها الحقيقية . وليس هناك ثورى واحد يجهل ذلك . او يحاول التستر عليه ، او تضليل الناس عنه .

وعندما كان (الوعي غائبا) عن فطاحلة الفكر الليبرالى فى مصر، وقبل (عودة الوعى) اليهم ـ وبالذات بعد غياب عبـد الناصر ـ كان الاشتراكيون ـ بما فيهم الماركسيون ـ الذين كانوا من البداية الاولى نبضا حارا ومتدفقا فى عروق الثورة ، اول من نبه ـ فى رفق وحب ـ الى هذه السلبيات ـ واول من لفت النظر اليها ـ فى نبرة أكثر علوا ووضوحا ـ وفى موضوعية وعلمية متناهيتين ، وكانوا ـ وقد عجزوا عن الاقنـــاع واعيتهم الحيل ـ أول من وقع تحت وطأة هذه السلبيات وأول من ذاق مرارتها ، وأول من ضحى ـ وفى قناعة ورضـــا ـ فى ســبيل ابداء رأيه لصـــانع الثورة ، ومن أجل نموها وتقـدمها ، حتى لقد بلغ بهم الامـــر ـ من شـــدة تمسكهم وتعلقهم بخط الثورة الوطنى والاجتماعى ، واملا فى تعميقه وتطويره بأكثر الوسائل ديمقراطية ومرونة ـ حد حل تنظيماتهم السياســية الخاصة ، فى مقابل دخــولهم فى الاتحاد الاشتراكى او فى التنظيم الطليعى ، باعتبار كل منهما يمثــل التنظيم الشرعى والرسمى الوحيد المجاز فى البلاد ، الذى حظرت الدولة قيام سواه بقوة وحسم باســم الحفاظ على الوحدة الوطنيــة ، وتحالف قوى الشعب العاملة .

وفى نفس الوقت الذى كان فيه هؤلاء الاشتراكيون ـ والماركسيون منهم بصفة خاصة ـ داخل الاتحاد الاشتراكى ، والتنظيم الطليعى ، فى وضع لايحسدون عليه ، وكانوا من جراء ذلك موضع نقد لاذع من قبل نظرائهم فى الوطن العربى ، حيث استأثر عنهم ممثلو البرجوازية الصغيرة والوسطى ، البيروقراطية والعســكرية والمدنية بكل شىء ـ فكانوا حدأة بين النسور ، أو كانوا ـ فى كل الاحوال ـ مجردين من كل امكانية للحركة ان لم يخرجوا تماما من الحلبة ويوضــعوا خارج الســور ، دون أى اعتبار أو اهتمــام ـ الا أن يقين هؤلاء الاشتراكيين الاصلاء ـ رغم ذلك كله ـ لم يضعف فى أى وقت من الاوقات بضرورة مساندة الثورة ـ حتى وهم يقبعــون فى غياهب السجون ـ وضرورة المضى معها والى النهاية ـ حتى بأقدام حافيـة دامية ـ وثقين انها لابد فى النهاية من أن تحسن فهم ومعاملة حلفاء المسيرة الشرفاء ورفاق المصير المشترك الاوفياء ولابد أن تصحح أى اعوجاج يطرأ على خط سيرها ، فى ضوء تجربتها الخاصة والمباشرة ،

وفى ضوء الخبرات النضالية والعملية التى تكتسبها عبر دربها الطويل والحافل بالاشواك والعقبات .

ولقد كان الرئس السادات نفسه — وهو احد قادة الثـورة البارزين، والذى أعلن بعد تبوئه مركز السلطة الاعلى انه لا يلغى النـاصرية ـ ومازال يكرر ذلك دائمـا ـ كـان من أوائل من نبه — حتى وهو فى قمة المسئولية وبالصوت العالى أيضا — الى هذه السلبيات ، حتى اعتبر نفسه — فى شجاعة ثورية — مسئولا عنها شأنه فى ذلك شأن عبد الناصر — تماما كمسئوليتهما عـن ايجابيات هذه الثورة ، التى لا تؤثر على جوهرها مثل هذه السلبيات مهما كانت ، وبأى معيار من المعايير قيست .

واذا كان ذلك هو منطق الاب الشرعى لكل وليد انسانى وكل حدث اجتماعى ذى انتماء صحيح وأصيل فانه لايضير ثورة يوليو ، ولا عبد الناصر ، ولا السادات ، ولا احدا من المنتمين الى هذه الثورة، ان يتحدث احد عن اعراض وامراض هذا الكائن الحى والفتى ، والذى لم تمنعه اعراضه وامراضه هذه عن النمو المطرد ، والسير دائما وباستمرار فى طريق النضوج والتكامل ، بل والتوقف من حين لاخر ، بقصد المراجعة والتمحيص ، والنقد والتقييم ، تهيئوا لأجراء عملية تصحيح لازمة فى خط المسيرة — حتى على يد قادة الثـورة الشرعيين والتاريخيين — وتحفزا لوثبة اخرى فى اتجاه مسار الثورة التاريخى والتقدمى ، وبما يكفل توسيع وتعميق مجراها الديمقراطى والاجتماعى .

وليس هناك ثورى أصيل ـ سواء كان ماركسيا أو ديمقراطيا أو ناصريا أو وطنيا خالصا ، من المحيط الى الخليج — لم يرحب بذلك الحوار الخصب والخلاق والمتنوع الذى تنفجر اثر انزال الرئيس السادات لورقة تطوير الاتحاد لاشتراكى للمناقشـة الشـعبية والديمقراطية الواسعة والعريضة التى كان تشكيل « لجنة مستقبل العمل السياسى » احدى حلقاتها ، هذه المناقشة العلنية والجريئة التى تعرضت بالتمحيص والتقييم والنقد ليس لصيغة الاتحاد الاشتراكى فقط ، وانما لكثير من ملامح النظام الذى اقامته ثورة يوليو ، والجديرة اليوم بالتصحيح والتطوير .

ان هذه الانعطافة الديمقراطية التى تتم اليوم فى ظـل نفس القيادة الشرعية والتاريخية لثورة يوليو ، لا تعبر فقط عن حيوية

ونمو وتدفق هذه الثورة ، وعن عمق انتمائها لجماهير الشــــعب العريضة ، وعن حسها القومي والثوري اليقظ بأهمية (المثـــل النموذجي) الذي يتحتم عليها ان تضربه دائما وباستمرار للثورة العربية ، وحتى فى تلك المراحل التى يبدو فيها ان هذه الثورة تواجه لحظة محنة أو ازمة أو اختناق ،ولا تعكس فحسب دور مصر القيادى والريادى على المستوى القومي العربي ، سواء فى مضمار العمل الثورى المباشر أو العمل الديمقراطى الهادىء ، وانما هى فوق ذلك كله خير تحية تقدم لعبد الناصر ، سوا من قبل رفيق وخليفة عبد الناصر ، صاحب ورقة التطوير ، أو من قبل الجماهير العريضة التى اشتركت في مناقشتها ، بقصد جعلها في أفضل واكمل صيغة ، وهي خير برهان على أن الامانة الثورية التى تركتها لقيت من ينهض بهـــا – في ظل ظروف صعبة – وعلى أن الشعب الذى انجبه بلغ من الوعي الوطني والاجتماعي حدا لم يعد يحتاج معه للمضى في حمل الامانة الثورية الى أكثر من تعميق مجرى الحريات الديمقراطية والطبيعيةالتى يقضي بها منطق وتطور الثورة الديمقراطية والاجتماعية التى اشعلتها ثورة يوليو ، ليقوم بتصحيح السلبيات الحقيقية التى ظهرت بالفعل، وليسير بعملية التطور الاجتماعى فى مسارها التاريخى والتقـــدمى المحتوم ، والمفتوح دائما وباستمرار ، دون خوف من تلك الاصوات النشاز التى ترتفع هنا وهناك ، والتى تحاول ان تعترض المسيرة ، أو تسدها ، أو تحاول حتى العودة بها الى ليبرالية ما قبل الثورة العاجزة ،أو تود لو اختفت من امامها منجزات ثورة يوليو الشامخة، أو تتمنى لو ابتلعت الارض تلك النبتات الثورية التى أزهرت فى ظلها – ممثلة فى القوى الوطنية والاشتراكية التى غدت ســـمة المرحلة وعنوانها وربيعها وحيويتها واداتها التـــــاريخية التى لا تغلب ولا تقهر .

عبد الناصر والحركة الوطنيـــة فى اليمن

لم يبدأ اهتمام جمال عبد الناصر باليمن باليوم الذى اتخذ فيه قراره التاريخى الخطير والفريد بارسال قواته الى جبال اليمن الوعرة ووهادها السحيقة ، انتصار للثورة اليمنية ، ودفاعا عن حق الشعب اليمنى فى التحرر من طغاته المستبدين .

فلقد كانت اليمن ــ التى تتحـــــكم بموقعها الجغرافى الهام فى المدخل الجنوبى للبحر الاحمر ، كما تتحكم مصر فى شمـاله ــ تقـــع منذ البداية فى موقع بارز من دائرة اهتمامه السياسى ووعيه القومى .

فبعد قيام ثورة ٢٣ يوليه الرائدة ــ وحين لم تتح ظروف المملكة المتوكلية اليمنية الخاصة عدا قيام حركة معارضة تقليدية ، متواضعة الاهداف ، محدودة الافق ، ورغم ذلك مضطهدة من قبل الامـــــام ومحاربة ، بل وغير مسموح لزعمائها المشردين بأن تطأ اقدامهم أى أرض عربية على الاطلاق ، استجابة لرغبة حاكم اليمن المطلق أحمد بن يحيى حميد الدين ــ كانت مصر عبد الناصر هى البلد العــــربى الوحيد الذى اخترق هذا الحصار ، وتحدى ارادة الامام ، وأتاح لكل يمنى حر ــ مهما كانت درجة فهمه للعمل السياسى الصحيح ــ ان يمارس من القاهرة مسئوليته فى الكفاح ضد الحكم الفردى المتسلط على اقدار صنعاء ، كما اتاح المجال كذلك لكل مناضل عربى .

واستثمارا لهذه الامكانية النضالية قدم من باكســـتان الى أرض الكنانة زعيم حركة المعارضة اليمنية المطارد محمد محمود الزبيرى الذى وجد الفرصة متاحة الان لتأسيس هيئة سياسية مناوئة لحكم الامام هى « جمعية الاتحاد اليمنى » ، والذى مكنته اذاعة « صوت العرب » من توجيه احاديث سياسية منها .

وفى الوقت الذى كانت فيه سياسة مصر الثورية تقوم عـــلى تشجيع نمو أى حركة سياسية تستهدف القضاء على حكم الاستبداد والقهر ، الا أنها كانت تقف بوضوح وحزم ضد أى عمل انقلابى من

شأنه ان يخرج اليمن من عزلتها ، ليدفع بها مباشرة الى أحضـــان الاستعمار الجديد .

ولذلك فانه عندما قادت بعض عناصر المعارضة اليمنية حركة انقلابية في مارس ١٩٥٥ بقيادة العقيد أحمد الثــلايا أحد خريجي اكاديمية بغداد العسكرية عام ١٩٣٩ ــ ووضعت على رأسها اماماً جديداً ، هو عبد الله بن يحيى حميد الدين ، أخو الامام أحمد نفسه ، والذى كان معروفا بارتباطاته القوية بدوائر الاستعمار الأمريكى كما كان معروفا بعدائه الشديد للخط التحررى الذى تمثله القاهرة فان مصر سرعان ما تصـــدت لهذه الحركة واتاحت للزبيرى مجال مهاجمتها من اذاعة « صوت العرب » ، وارسلت السـيد حسـين الشافعى الى تعز للتأكيد بأنها بعيدة تماما عن هذه الحركة ، نفيــا لاى شبهة أو التباس ، ولاسيما بعد أن أخذ الامام أحمد يهمس بأن البعثة العسكرية المصرية للتدريب كانت على عــلاقة ما ببعض من دبروا هذا الانقلاب الفاشل .

وعندما لم يف الامام بوعوده التى قطعها ، وامام ممثلى مصر بانه سيعمل منذ الان ــ بعد أن رفضت الجماهير التجاوب مع هذه الحركة ــ على تلبية مطالب الشعب المشروعة ، فى ادخال الاصلاح الاقتصادى والسياسى والأدارى على حياة البلاد ، فأن القاهرة لـــم تلبث أن واجهته بموقف قوى وصريح ، وآوت زعيما آخر من زعماء حركة المعارضة ــ التى لم يكن هناك سواها فى مجابهة الامام ــ وهو أحمد محمد نعمان ، ووضعت اذاعة « صوت العرب » تحت تصرفه ، وتصرف زميله الزبيرى للتنديد بحكم ملك اليمن الظـــالم الجائر ، كما اتاحت لهما ابتداء من أغسطس ١٩٥٥ اصدار نشرة معارضة من القاهرة ، هى جريدة « صوت اليمن » .

حينذاك احس الحاكم المتوكلى المستبد أن رياح المعارضة التى تهب من القاهرة قد أخذت تتردد أصــداؤها فى كل ركن من الارض اليمنية ، وأن عبد الناصر شرع يكتسب شعبية متعاظمة فى جميــع أنحاء البلاد لوقوفه فى وجه « الحاكم بأمر الله » أحمـد بن يحيى حميد الدين الذى طالما احتز الرقاب ، وسفك الدماء ، واستهــان باقدار الشعب ، دون أن يرغب أو يجرؤ حاكم عربى من قبل عــلى مجرد توجيه النصح اليه بالتخفيف من غلوائه ، والحد من بطشــه وجبروته .

وللحيلولة دون اتساع الخرق ، وانتشار لهيب المعارضة ضده

وبالتالى سقوط عرشه فان امام اليمن وضع القاهرة امـام خيـارين لاثالث لهما ، اما ان تكف عن مناوأته وتشجيع المقاومين لسلطانة ، او يربط نفسه ويربط البلاد معه بعجلة حلف بغداد الاستعماري . .

ولان جمال عبد الناصر كان يقود وقتها حملة هجومية مركزه ومؤثرة ضد هذا العلف ـ الذى كان يستهدف ضمن ما يسـتهدف تطويق ثورة ٢٣ يوليو ، وحصار حركة التحرر الوطنى العربية التى اخذ ينشطها ، ويضخ دماء الحياة فى شرايينها ـ فانه أثر ـ لهـا السبب ـ القبول بأخف الخيارين ، واحتمال أهون الشرين ، فأمر بالكف عن المناواة « العلنيـة » لحكم الامام ، وايقـاف الاحاديث السياسية الموجهة ضده من « صوت العرب » وتعطيل جريدة «صوت اليمن . » .

وفى نفس الوقت أيضا اراد أن يجتذب الامام الى المحـور التحررى ـ كما اراد كذلك أن يشد الملك سعود الذى كانت الصراعات التقليدية الاسرية القديمة بين العرش السعودى والعرش الهاشمى ماتزال تحكم علاقاته ببغداد ـ وان يفتح ـ فى جو العلاقات العادية مع حكام صـنعاء ـ ثغرة فى جدار العزلة المحكم المضروب حـول اليمن ، وان ينفذ من هذه الثغرة الى رحاب هـذا البلد التعس المنكوب ، بغية المساعدة على ادخال ، ولو بعض التحسـينات على أوضاعه الادارية ، واطلاق نفس الحياة ، ولو فى بعض عروقه التى كادت تتوقف عن النبض منذ حين .

ولهذا الغرض دفع المناضل السياسى عبد الناصر كلا من الامام أحمد والملك سعود الى عقد ميثاق جده العسكرى الثـلاثى الذى أبرم فى ٢١ ابريل ١٩٥٦ ، والذى قصد به أن يكون حلفا مضادا لحف بغداد الرجعى ، وموجها ـ بصورة خاصة ـ ضد الاستعمار البريطانى .

ونظر لضعف الحركة السياسية المناهضة لحكم ابن حميد الدين ، وفقدانها اى برنامج ثورى ، وعلى أمل المعاونة فى اخراج اليمن من الكهف المظلـم الذى ارغمت على البقاء فيـه ، ورجاء اقتحام أسواره الصفيقة المنيعة فان رائد الوحدة العربية لم يتراجع عن قبول طلب الامام أحمد بانضمام بلاده الى الوحـدة المصرية السورية ، واقامة « اتحاد الدول العربية » الذى اعلن قيامه فى ٨ مارس ١٩٥٨ ، وضم الجمهورية العربية المتحـدة والمملكة المتوكلية اليمنية .

ورغم أن الزعيم المحنك عبد الناصر كان يدرك ــ منذ البداية ــ مدى صعوبة تقبل امام اليمن ، واستيعاب مملكته الموصدة الابواب والاثرية ضمن اتحاد يتحتم أن يكون ذا طبيعة ثورية ، وكان يعلم سلفا مدى مشقة اختراق حائط العزلة السـميك الذى يلف اليمن من كل الجهات ، ومدى وعورة المسالك التي يصبح محتما اقتحامها واجتيازها لتتمكن حركة الثورة العربية من النفاذ ــ فى ظل شرعية هذا الاتحاد وعن طريقه ــ الى الصعيد الشعبى اليمنى وبغرض خلخلة الهيكل الاجتماعى والسياسى المتخشب المتيبس ، فأن عوامل سياسية اضافية أخرى ــ فوق الامل والرجاء ، واهمية خوض غمار التجربة ــ أملت قيام هذا الاتحاد ــ كما أملت من قبل عقـد مبثاق جدة العسـكرى ، الاوهى : ضرورة اعتراض السبيل على الاستعمار الذى كان يعمل فى هذا الوقت من أجل اقامة « الاتحاد الهاشمى » بين العراق والاردن ، الذى أريد له أن يكون موجها ضد الوحدة المصرية ــ السورية ، ثم فائدة « تكتيف » الامام أحمد فى اطار اتحاد الدول العربية ، ذلك لأنه « اذا لم نأخذه معنا ، فمعنى ذلك أننا نعطيه هدية لسعود الذى يتآمر على الجمهـورية منذ يومها الاول . » فوق « أنها (هذه الخطوة) قد تفتح طريقا للحضارة حتى تدخل اليمن ، وانها قد تخفف من الضغط على العناصر الوطنية فى اليمن » كما تحدث حينذاك شكرى القوتلى فى تبريره لقيامه هـذا الاتحاد . (محمد حسنين هيكل ــ مرحلة الصراحة والوضـوح ــ الاهرام ١٩٦١/١٢/٢٩) .

ولهذه الاسباب مجتمعة فأن القائد العربى رأى ــ بعد طول تفكير ــ أنه مما قد يحقق هذه المقاصد ، ولاسيما ما يتعلق منهـا بتطوير الاوضاع فى اليمن ، واخراجها من عزلتها المقيتة والمميتـه أن تكون مدينة الحديدة اليمنية مقرا للاتحاد .

غير أن الامام أحمد ما لبث أن برهن بأن كل همه من الدخول فى هذا الاتحاد هو تأمين نفسه من القاهرة ، وحماية ظهـره من سياط الثورة العربية اللاسعة ، عملا بقاعدة انتهازية تقول « اقترب من الشر تأمن » . وبالتالى ضمان اسكات « صوت العرب » اطول مدة ممكنة ، وتكميم أفواه المعارضة اليمنية حتى لا تنطلق اصواتها بالصخب ضده من القاهرة مرة أخرى .

ولذلك فأنه لم يتح للمجلس الاعلى لهذا الاتحاد أن يجتمع مرة

واحدة لا في الحديدة ، ولا في القاهرة ، كما لم يسمح الامام بتنفيذ بند واحد من بنوده ، ولم يستطع حتى أن يداري مناورته السياسية المفضوحة التي دفعت به للتعلق بأذيال الحركة العربية الصاعدة التي لم تمهله كثيرا ، فرفسته بعيدا عنها الى الوزراء ، ولفظة تيارها الثوري المتدفق كما يلفظ الموج الزبد .

ولقد سعى حاكم اليمن الاقطاعي بنفسه سعيا الى تقريب الحبل من عنق نظامه كله ، عندما كلف نفسه ، أو كلفه الملك سعود بالقيام بدور كان كثيرا ما يتهرب ويجبن عن القيام بأصغر منه ، وذلك عندما أراد التصدي للجمهورية العربية المتحدة ـ مستغلا حركة الانفصال المشئومة ـ ووزع قصيدته الرثة التي هاجم فيها الوحدة العربية ، والثورة الاجتماعية التي كان جمال عبد الناصر قد أخذ يقودها منذ عام ١٩٦١ ، والتي استهلها باجراءات التأميم الشهيرة .

ان الاهمية السياسية لهذه القصيدة تتمثل في أنها كانت تعبيرا طبقيا واضحا وصريحا عن العداء الشرس الذي يكنه الاقطاع اليمني والعربي كله للثورة الوطنية ـ الاجتماعية العربية التي فجرها جمال عبد الناصر ، ووضع نفسه على قيادتها ، وأخذ ينشر أجنحتها في كل اتجاه من الارض العربية . .

ولذلك فان من المهم أن نجتزيء من أبياتها الاربعة والستين هذه الابيات التي تلخص محتواها السياسي والطبقي العام :

هيا بنا لوحدة مبنيه	على أصول بيننا مرضيه
قانونها شريعة الاسلام	قدسية الاوصاف والاحكام
ليس بها شائبة من البدع	تجيز ما الاسلام عنه قد منع
من اخذنا للناس من اموال	وما تكسبوا من الحلال
بحجة التأميم والمعادلة	بين ذوى المال ومن لا مال له
لان هذا ماله دليل	في الدين او تجيزه العقول
فأخذ مال الناس بالارغام	جريمة في شرعة الاسلام
ولا يجوز أخذ مال الغير	الا بأن يرضى بدون ضير

لم تكن تحتاج الجمهورية العربية المتحدة الى صدور وقراءة هذه القصيدة حتى تتعرف على حقيقة موقف الاقطاع اليمني ازاءها وازاء الثورة العربية التقدمية ، فذلك كان معروفا سلفا ، ورايها

فى النظام الامامى الذى يجسده كان قد تحدد بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو التى كان من مبادئها الستة القضاء على الاقطاع فى مصر .

غير أن سلوك الامام العدائى والسافر هذا كان السبب الظاهر — وليس العميق — لاعلان القاهرة فى ٢٦ — ١٢ — ١٩٦١ انهاء أعمال « اتحاد الدول العربية » .

وقد اعتمد فك هذا الاتحاد على أساس « انه لا يوجد فى طبيعة اى من الحكومتين مايجعل قيام مثل هذا الاتحاد أداة سياسية فعالة قادرة على الاسهام في تطوير النضال العربى » .. وعلى اعتبار « أن قضية الوحدة أو الاتحاد لايمكن أن تقوم على أسس صحيحة ، مالم يكن هناك توافق بينها وبين الاطراف التى يعنيها الامر على حلول مشاكل التطور الاجتماعى .. » ومن حيث « ان حكومة الجمهورية العربية المتحدة أقبلت على خطوة اقامة الاتحاد العربى ، تملؤها الآمال بأن تستطيع هذه الخطوة أن تكون اداة فى خدمة الشعب اليمنى ، وفى خدمة قضاياه العادلة ، ولكن تجارب السنوات الماضية اكدت بما لا يقبل مجالا للشك أن الشعب اليمنى لم يستفد من التجربة . »

(الاهرام ٢٧ - ١٢ - ١٩٦١)

وبعد ذلك مباشرة قرر جمال عبد الناصر — وهو الذى لا تزيده ضراوة وحماقة الرجعية الا تحفزا وتصميما واقتناعا بضرورة أن يكون الرد عليها هو صفعها فى الوجه مباشرة - فتح النار على وكر القرون الوسطى المختبىء فى جروف اليمن ، وخوض معركة فاصلة مع النظام الاقطاعى الامامى ، وعدم تمكينه منذ الآن من فرصة واحدة أخرى للمناورة السياسية ، أو حتى التنفس الطبيعى ، والتهرب من مصيره المحتوم .

وكانت كلمات الاستاذ محمد حسنين هيكل فى ٢٩ — ١٢ — ١٩٦١ فى الاهرام اشارة واضحة الدلالة على عزم الجمهورية العربية المتحدة على السير فى هذا الاتجاه الى النهاية ، حيث جاء فيها : « لقد تم الاتحاد مع اليمن فى ظروف مرحلة سابقة من النضال ، اقتضت أو تصورنا خطأ أنها اقتضت مداراة الرجعية والسكوت عنها ، حتى تنفسح فرصة لتدعيم تجربة الوحدة الاولى بين مصر وسوريا . »

وكان القائد المجرب عبد الناصر قد حدد من جديد

استراتيجية الثورة العربية على نحو حاسم قاطع على ضوء الهجوم العام والغادر الذى قامت به قوى الثورة المضادة ، وانتزعت به دمشق من حضن الوحدة ، وحولتها الى رأس جسر ممتد لمواصلة الزحف فى اتجاه حصر وخنق قاعدة الثورة العربية المتمركزة فى القاهرة .

ففى خطابه الذى القاه فى ١٦ — ١٠ — ١٩٦١ قال المكافح الفذ : « لقد وقعنا ضحية وهم خطير ، قادتنا اليه ثقة متزايدة بالنفس ، وبالغير ، فقد كنا دائما نرفض المصالحة مع الاستعمار . ولكننا وقعنا فى خطأ المصالحة مع الرجعية . لقد تصورنا أنه مهما كان من خلاف بيننا وبين العناصر الرجعية فانهم ابناء نفس الوطن ، وشركاء نفس المصير ، ولكن التجربة اثبتت لنا خطأ ما كنا نتوهمه ، ولابد لنا لسلامة النضال الشعبى أن نخلص أنفسنا من هذا الوهم الخطير الذى تركنا أنفسنا له ، لابد من أن نقاتل الاستعمار فى فى قصور الرجعية ، وأن نقاتل الرجعية فى احضاء الاستعمار .. »

ولقد كانت عملية الحصار الرجعية ، والاقليمية الشاملة المدعومة من الاستعمار والتى قامت بها الدول العربية ، وشاركت فيها حكومة الامام ، وكان مؤتمر شتورا بلبنان نذيرا بها ، وبعزم كل قوى الثورة المضادة على اطباق يديها على خناق النظام الثورى التقدمى فى مصر ، حتى يلفظ أنفاسه ، من العوامل والحوافز المباشرة التى حركت قاعدة وطليعة الثورة العربية للقيام بهجوم ثورى معاكس على جبهة الاستعمار والرجعية ، بغية كسرها فى أضعف مواقعها .

ولقد كان النظام الامامى الاثرى والمحنط ، المقوت والمستهجن البعيد تماما عن مسار حركة التقدم والتطور ، والمعزول نهائيا عن جماهير الشعب اليمنى ، المستهلك تاريخيا فى كل مقومات وجوده ، والمنتهى موضوعيا فى كل مبررات استمراره هو — نظريا وعمليا — ذلك الموقع الضعيف والمتهاوى فى جبهةالاقطاع والاستعمار على طول الساحة العربية .

ولم يكن النظام الامامى وحده هو المستهلك ، وانما كذلك كانت حركة المعارضة اليمنية التى قامت ضده ، والتى يعود تاريخ نشوئها الى منتصفالثلاثينيات ، والتى كانت بعض قياداتها مشبوهة بعلاقاتها القديمة مع الاستعمار البريطانى ، والتى ظلت سياستها متسمة دائما بالتراجع والتذبذب ، ومناهضة الامام حينا ، ومغازلته

حينا آخر ، والتى بسبب ارتكازها على قوى طبقية هى من جنس القوى الطبقية التى كان يعتمد عليها النظام الحاكم ، لم تكن تستطيع أن تضع برنامجا سياسيا تتخطى به طبيعة الدولة الامامية الاقطاعية ، وهى لهذا تنتقل بولائها من هذا الامير الى ذلك ، فهى حينما ترشح « سيف الحق » ابراهيم بن يحيى حميد الدين للامامة ، ثم تضع هذا الولاء فى عبد الله بن احمد الوزير ، وتتفرع الى جناحين جناح يعتبر أنا « سيف الاسلام » عبد الله بن يحيى حميد الدين هو الامام المنقذ ، وجناح آخر يعلق طوق النجاة على « ولى العهد الشاب محمد البدر» ثم هى ترفع شعار الجمهورية فى استحياء وخجل شديدين وفى لحظة «تجلى نادرة الحدوث» وكأنها تجترح احدى الكبائر ، وتقترف احدى الموبقات ، وبالذات فى تلك اللحظات التى يظهر الامير البدر فيها « ابتعادا وتعاليا » عنها ، وهى تكل امر تحقيق هذا الشعار الى قوى قبلية اقطاعية لا تملك ما تقدمه عدا وضعية وعقلية مغرقتين فى التخلف والجهل ، قوى هى من نفس عقلية وطينة القوى القبلية ــ الاقطاعية المتأخرة المتحجرة التى ظل يستند اليها العرش الامامى منذ مئات السنين ، ثم هى تسحب هذا الشعار فورا بعد فشل محاولتها اليائسة ، ليقتنع بعضها بالرجاء أن يأتى الخلاص على يد محمد البدر « امام وأمل المستقبل » وليقبع البعض الآخر حائرا ضائعا لا يدرى ما يصنع وما يدع .

ولقد كان زعيما حركة المعارضة اليمنية محمد محمود الزبيرى ، واحمد محمد نعمان اللاجئان السياسيان حينذاك فى القاهرة يمثلان هذه الحالة السياسية التعسه ، ومعهما كثير من انصارهما داخل البلاد وخارجها .

ولذلك فانه لم يكن ينسجم مع استراتيجية الثورة العربية الجديدة العودة مرة اخرى الى التعاون معهما ، واعطائهما التسهيلات التى كانت تمنح لهما من قبل ــ حين لم يكن هناك غيرهما ــ وكان عليها هذه المرة أن تقدم دعمها السياسى للقطاعات الاكثر استجابة لمقتضيات التطور ، والاقدر على مجابهة النظام الامامى بحكم انتماءاتها الاجتماعية ونزوعها السياسى .

ولقد كانت الطبقة الوسطى من الطبقة البورجوازية التجارية اليمنية الناشئة ، والتى كانت تتعارض مصالحها منذ حين مع مصالح النظام الاقطاعى ــ الكهنوتى والتى كان معظم رأسمالها مايزال خارج البلاد لعدم تمكنها ــ فى ظل الحكم الاستبدادى

الشرس — من استثماره فى داخلها تمثل احد القطاعات المستعدة اجتماعيا ، والمهيئة طبقيا ، والمتطلعة سياسيا الى اسقاط هذا النظام وكان يجسد هذه الفئة فى الداخل عبد الغنى مظهر ، وعبد القوى حاميم ويمثلها فى الخارج عبد الرحمن البيضانى .

وكان بعض من مجموعة الضباط التى تخرجت فى بغداد عام ١٩٣٨ ، أو التى تخرجت فى القاهرة عام ١٩٥٦ ، أو التى تدربت على يد هؤلاء وأولئك ، أو على يد الضباط المصرين والروس فى اليمن يشكل القطاع الآخر المستعد ، والمؤهل ، والمتحفز للاطاحة بالامامة الرجعية المتخلفة ، وذلك بفضل احتكاكه بتيارات النهضة والتقدم فى الخارج ، أو تفاعله مع العناصر العسكرية التى كانت تشرف على تدريبه ، ثم بحكم انتمائه الى بورجوازية المدينة الصغير المتبرمة من حكم « الوصاية الآلهية » المفروض بحد السيف على الرقاب والعباد وكان العميد عبد الله السلال ، والمقدم عبد الله جزيلان والنقيب على عبد المغنى يمثلون هذا القطاع من العسكريين ، وان عمل كل من هؤلاء ضمن مجموعة خاصة به ، وبقى له أسلوبه السياسى المتميز الذى هدته اليه فطنته وتجربته الخاصة ، مع اتفاق الجميع على ضرورة اقامة النظام الجمهورى مكان النظام الامامى .

وعندما بدأ الدكتور عبد الرحمن البيضانى — أحد أعضاء حركة المعارضة اللاحقين — يذيع من « صوت العرب » وينشر فى مجلة روز اليوسف ، أحاديث ضد حكم الامام أحمد ، ولم يتح لغيره فى نفس الوقت ماأتيح له ، استنتج زعيما حركة المعارضة الكلاسيكيان الزبيرى والنعمان بأن القاهرة تدفع بالاحداث فى غير الاتجاه السياسى المعتاد الذى كانا يترسمانه ويسيران عليه ، وأن تحركا ثوريا يجرى التحضير له فى داخل اليمن بتشجيع وتعزيز من الجمهورية العربية المتحدة ، وأن الدعاية المضادة الموجهة ضد الامام من القاهرة لا تعدو أن تكون أعمدة من الدخان تنبىء بوجود نار ثورية فى الداخل تتقد ، وتوشك فى أى لحظة ان تندلع .

واتساقا مع منطقهما السياسى الطبقى — حيث كان الزبيرى يعكس مصالح الجناح القبلى — الاقطاعى المعارض ، بينما كان النعمان يعبر عن مصالح الفئة الكومبرادور الهزيلة — فانهما بادرا الى اعلان معارضتهما الصريحة — وهما فى القاهرة — لأى دور تقوم به الجمهورية العربية المتحدة فى مساعدة أحرار اليمن للخلاص من طغاة القرون الوسطى .

ففى كتابه « ثورة الشعر - الذى اصـــدره بالقاهرة فى مايو ١٩٦٢ ، ص ١٢٧ » يعبر الزبيرى عن هـــذا الموقف الاقليمى القروى المدان الذى يكشف اتجاه القوى القبلية - الاقطاعية . ويفضح نفس العناصر الكومبرادورية على النحو التالى :

« ولنفرض جدلا أن الثورة العربية فى مصر تجاوزت عن ظروفها الذاتية والمحلية ، وصنعت لليمنيين ثورة ، وخلصتهم من حكم الامام الرجعى وأوضاعه من جذورها . فهل يكون ذلك شرفا لليمنيين ، أم يكون عارا وشنارا ؟ أما أنا فأنى أضرع الى الله أن يثبت سياســة الجمهورية العربية المتحدة على الابتعاد عن التدخل الثورى فى الشئون الداخلية لليمن ، حتى لا تهزها العاطفة فى يوم من الايام فتتصدى للقيام بعمل ثورى ضد الرجعية اليمنية نيابة عن الشـــعب ، لان ذلك يعنى أن يدمغ الشعب بوصمة فى جبينه الى الابد » !!

لم يكن لهذا الموقف من قبـــل زعامة « الاتحاد اليمنى » فى القاهرة أدنى تأثير على القوى الوطنية داخل البلاد التى كان وراءها رصيد ضخم من التجارب المريرة التى خاضتها قوى المعارضة ضـد الامام والتى كان مصيرها السحق ، وهى ما تزال فى المهد عـلى يد القوى القبلية الاقطاعية المشـــايعة للامام ، والتى كان أبرزها على الاطلاق حركة ١٩٤٨ ضد الامام يحيى التى ، وان نجحت فى اغتيال الامام بالذات ، الا ان صنعاء العاصمة ما لبثت ان وقعت تحت وطأة حصـــار قبلى كثيف ورهيب ، سرعان ما تحول الى عملية اجتياح متوحشة للمدينة ، اتت على الاخضر واليابس فيها ، حيث نهبت كل ما وجدته بها ، واستباحت كل من كان يعيش بين ظهرانيها وقتلت كل من اعترض سبيلها ، ووقف مدافعا عن ماله وداره ، وعرضـــه وحرماته ، وعبثت بصنعاء التى اباحها لها الامام احمد ، كما لم يعبث بها أحد من قبل ، حتى من افتك وأشرس الغزاة ، وجرجرت الانقلابين بالسلاسل الى سيدها المطاع ، وعزرت بهم اشـــنع تعزير ، وحثت وجوههم بالتراب ، وأمطرت وجوههم بالبصاق ، وشيعتهم بأفحش اللعنات ، وأسلمتهم بأيديها الى شفرات سيوف الامام .

واعتبارا بهذه التجربة البشعة ، الدامية والمأساوية ، وبغيرها من التجارب الثقيلة المتلاحقة ، وأخذا فى الحسبان طبيعة وخطورة الطوق الاســـــتعمارى ، الرجعى المضروب والمحيط باليمن من كل الجهات ، أصرت القوى الوطنية فى الداخل على الا تفجر الثورة ضـد

الحكم الامامى المســـعور الا بعد الاطمئنان تماما الى أن حامية الثورة العربية الباسلة ، وطليعتها الصدامية ستتحرك لنجدة الثوار لمواجهة المخاطر الاكيدة التى لا يعرف مداها والتى ســـتثور فى وجههـــا لا محالة .

وبينما كان « الاتحاد اليمنى يمد حبال الود والوصال » مع ولى العهد محمد البدر الذى خلف أباه المتوفى ، وتلقب بالامام « المنصور بالله » ، ويرسل اليه فى ٢٢ / ٩ / ١٩٦١ برقية بتوقيع أمينه العام أحمد محمد نعمان يهنئه فيها « بأمارة المؤمنين » ، ويعرب فيها عن رجائه « بتحقيق الآمال والامانى التى التف الشعب من حولكم على أساسها » . ويذكره بمطالبه « المرفوعة » والمعهودة بأن « من حق الشعب (حركة لمعارضة المهادنة) ان يشارك فى تحمل عبئه الكامل من المسئوليات ، كان ثوار صنعاء يشحذون اسلحتهم ، ويتسابقون مع الزمن ، ليجهزوا على آخر ملك من بيت حميـــد الدين ، وخاتم امام فى تاريخ الامامة الطويل الذى امتد قرابة عشرة قرون ، قبـــل أن يجهـــز هو عليهم — وقد فشى سرهم — ويضربهـــم من « الجذوع » و « النصف » — كما قال — لاكما كان يفعل ابوه من قبل الذى كان يكتفى بضرب الرقاب .

وهكذا اشتعلت ثورة ٢٦ سبتمبر المجيده فى صنعاء ، وكانت اول ثورة وطنية تشهدها جزيرة الاقطاع العتيد ، والاستعمار القديم والجـــديد .

ولم تكن تقديرات ثوار اليمن خاطئة ، اذ سرعان ما احدقت بالثورة اليمنية كل قوى التخلف المتراكمة فى جزيرة العرب منذ مئات السنين ، وكل القوى الاستعمارية والامبريالية ، بغية القضاء عليها واغراق اليمن بمن فيها وما فيها فى طوفان ساخن من الدم .

وكما كان متوقعا لم تقف القاهرة مكتوفة اليدين ، عندما لاح الخطر ، وطلب ثوار اليمن النجدة الضرورية . « فى ذلك الوقت فان صنعاء الثورة طبت ضمان القاهرة ، ومساعدتها فى أن لا يتمكن حلف الاستعمار والرجعية من ضرب ارادة الشعب اليمنى .

فى ذلك الوقت قدمت القاهرة ضمانها ، ووضعت قوتهـــا فى تأكيده ، وتعزيزه . »

(الاهرام ١ — ٧ — ١٩٦٦ — بصراحة — طلب ضـــمان امريكى للسعودية .. ونتيجة حرب محدودة فى اليمن — محمـــد حسنين هيكل) .

بذلك لم يبق قائد الثورة العربية المقدام بعيدا عن ساحة الصدام ، فلم تدخل الثورة شهرها الثانى حتى أخذت طلائع جيش التحرير والفداء تمخر عباب البحر الاحمر ، وتشق اجواء الجزيرة العربية ، وتضع صنعاء البطلة فى حدقة العين ، وتجعل من نفسها سياجا منيعا لجمهورية ٢٦ سبتمبر الوليده ، وتتخذ من قمم جبال اليمن مواقع وثوب ضد جحافل الثورة المضادة ، ومن شعابها خنادق حصينة لحماية الثورة الفتية .

لقد كانت المأساة التاريخية المروعة والمتفردة فى نوعها التى عاشها الشعب اليمنى تحت غاشية الامامة الطويلة الامد سببا مباشرا لان يعتبر جمال عبد الناصر — وهو النبض الحى فى وجدان أمته ، والمعبر الصادق والامين عن ضميرها القومى اليقظ — ثورة اليمن ثورته هو ، وثورة شعبه ومسئولية نجاحها مسئوليته هو ومسئولية أمته ، وأن يتعامل معها على هذا الاساس ، ويتفاعل معها بهذه الروح ، وان يفتديها بالتالى — باسم الثورة العربية جميعها — بكل مرتخص وغال .

واشارة الى هذه المكانة الخاصة التى احتلتها ثورة الشعب اليمنى عنده ، والى الاهمية البالغة التى أولاها اياها قال البطل العربى فيما يشبه صدق ويقين وتضحية الانبياء : « ... ونعتبر ثورة اليمن ثورتنا ، ثورة العرب كلهم ، والا ماكناش بعتنا ابناءنا هناك ، ليقاتلوا ويستشهدوا ويضربوا اكبر أكبر صفحات البطولة » (الاهرام — ٢ — ٥ — ١٩٦٦)

كان البدر المخلوع — الذى استطاع التسلل بليل من قصره المهدم الى وراء الحدود — قد وضع نفسه ومن كان قد نجا من نهايته من بقايا اسرته ، لوجوده خارج البلاد ، تحت تصرف الامبريالية العالمية ، وحلفائها ، عله يستعيد عرشه المفقود ، ويفتتح بجيوش الاستعمار والرجعية اليمن من جديد ، ويبيحها لها ، تفعل بها ما تشاء ، وتتصرف فى مصيرها كما تريد .

ولهذا الغرض رسمت الدوائر الاستعمارية والرجعية خطة جهنمية متشعبة الاطراف اعتبرت على أساسها اليمن ساحة حرب ، حشدت لها جيشا ضاربا من المرتزقة جمعته من كل مكان من داخل اليمن ومن خارجتها ، تكون مهمته القيام بهجمات جانبية على أجنحة هذه الساحة ، وبالذات فى مارب جهة الشرق ، وفى صعده من الشمال ، وفى المحابشة بداخل المنطقة الجبلية ، وذلك بقصد

التعمية ، وتشتيت قوى الثورة اليمنية والعربية ، بينما تنـــدفع ـ بقيادة البدر ـ قوة هجوميـة ضـخمة ومـزودة بأحـدث سـلاح ـ في مثل انطلاقه الرمح ـ لتشق قلب البـلاد ، مبتـدئة بمدينـة « حرض » الواقعة شمال غربى اليمن ، والمتكئة مباشرة على جبال رازح الوعره ، على ان تخدم حرض بعد السيطرة عليهـا كقاعـدة احتشاد ومركز تموين ، ورقبة جسر في عملية الهجـوم العاصـف في اتجاه داخلية البلاد .

غير أن هذه الخطة التي دبرتها دوائر الحرب الاستعمارية بدقة واحكام ، والتي اريد لها ان تكون تطبيقا عمليا ـ وعلى صعيد ـ الجزيرة العربية ـ لاستراتيجية الحرب المحددة ، التى تفتقت عنها ادمغة ومطامع القوى الاسـتعمارية ، وكـانت اخـر « صـيحة » في تخطيطاتهم العدوانية التوسعية لم تكن « شفرة عسكرية » صعبة الحل ، ذلك لان جيش الثورة العربية كان متحسبا حدوثها ، ومعدا عدته مع قوى الثورة اليمنية لاحباطها .

وفى الوقت الذى حوصرت فيه مواقع الحشـــود الملكية والاستعمارية على اجنحة الجبهة الممتدة بلا حـدود ، كانت القـوى الصدامية الرئيسية والضارية تدفن وتدمر ـ بغير ما رحمة ـ فيمطلع نوفمبر ١٩٦٢ ـ بين الالغام ، وتحت وابل النيران ، ووسط حمم قنابل وصواريخ الطائرات ـ قرابة ثلاثة آلاف الى أربعـة آلاف قتيل وجريح من جحافل المرتزقة ، بعد أن تركتها تتقدم الى حتفهـا الى بعد ثلاثة كيلومترات جهة الشمال الغربى من مدينة « حرض »

ولم تجد جيش الملكية والاسـتعمار ـ ازاء هـذه الكثـافة من النيران ، وازاء بسالة المقاتلين الثوار ـ لا مدافع الهاون ، ولا غيرها من الاسلحة الخفيفة ، فلم ينج من الموت الزوام الا من سـابق في هروبه الجامح سرعة الريح ، وارتمى مطوحا خارج الحدود .

وكانت معركة « حرض » قاصمة الظهر بالنسـبة للمخطط الامبريالى التوسعى كله .

ولان معركة اليمن في أساسها لم يكن مقصودا بها اسـقاط عرش بيت حميد الدين فحسب ، وانما اشعال نار الثورة العربية في الحطام الهش من الانظمة البالية التى خلفتها القرون الوسـطى في هذه المنطقه ، وصب شواظها على حقول وامبـراطورية البترول الاحتكارية الامبريالية ، ورد المد الرجعى ـ الاستعمارى الى الوراء ودحر قوى الثورة المضادة عن مواقعها الامامية التى كانت قد احتلتها

على نطاق الساحة العربية ، فان الدوائر الاستعمارية عزمت على الا تتراجع قيد انملة عن خططها العدونية ، رغم الفشل الذريع الذى منيت به فى « معركة حرض » وصممت على جعلها « معركة جبهوية مركزة شاملة » عسكرية واقتصادية وسياسية واعلامية . بقصد استنزاف قوات الجمهورية العربية المتحدة ، وانهاك قوى الثورة اليمنية ، واضطرارهما معا الى الركوع والتسليم فى اخر الامر ، وبقصد خنق مصر نفسها بمحاصرتها اقتصاديا ، والتشهير بها سياسيا ، والتنديد بها اعلاميا ، والتعبئة ضدها دوليا .

غير ان الفارس الوطنى والقومى الذى رأى فى الثورة اليمنية تجسيدا حيا ، وتعبيرا مكثفا للثورة العربية الشاملة ، والذى اعتبر الانتصار فيها انتصارا يتخطى فى اهميته واصدائه ونتائجه القريبة والبعيدة حدود اليمن نفسها ، بل وحدود الجزيرة العربية كلها ، ليمتد بآثاره الى مواقع الرجعية والاستعمار فى كل مكان من الارض العربية ـ قبل التحدى الاستعمارى برجولة منقطعة النظير ، وعزيمة لا تفل ، وثورية لا تحد ، واعلن لجنوده الاشاوس : « لقد واجهت ثورة اليمن مؤامرات كثيرة على ثورتها ، ودافعتم عن الثورة ، ولن يسكت الاستعمار على انتصاركم للثورة اليمنية .

ان هذا الانتصار لكم وللثورة فى اليمن يراه الاستعمار واسرائيل خطرا عليهم ، على مصالحهم ، وقضاء على مطامعهم ولكننا سنصمد لكل تحد .. » (المصور ٨ ـ ١١ ـ ١٩٧٠)

ولذلك فانه عندما قررت قوى الاستعمار القديم والحديث ـ بعد معركة حرض ـ وبناء على حسابات ومقارنات تاريخية خاطئة ومغلوطة أن تجعل من اليمن ـ التى كانت ذات يوم « مقبرة للاتراك » مقبرة أيضا للجيش المصرى والثورة اليمنية والعربية معا ، وأن تحيل معركتها الى صدام تاريخى حاسم بينها وبين ثورة القومية التى بأسمها وتحت علمها تحرك العملاق القاهر عبد الناصر بجيشه عبر البحر الاحمر الى جزيرة القبلية العتيقة والاقطاع الاثرى ، والاستعمار القديم والجديد ، اعلن القائد المقدام فى ابريل ١٩٦٤ قراره السياسى والتاريخى من عاصمة اليمن الثانية تعز ـ تدعيما لثوار الجنوب اليمنى ـ بأن على الاستعمار البريطانى أن يرحل مراغما من المدخل الجنوبى للبحر الاحمر ، كما رحل راغما منذ حين عن شماله ، والا فهى الثورة ، والثورة الشاملة ، ولتكن اليمن

بشمالها وجنوبها ميدان الاختبار فى الصراع بين قوى التحرر العربية ، وقوى الامبريالية ، وهكذا كان ، حيث تحولت اليمن كلها الى ساحة من اللهب من صعده شمالا حتى عدن جنوبا .

ولاول مرة ادرك الاستعمار ، بل واستيقن العرب أنفسهم بأن القومية العربية ليست دعوة ديماجوجية مشبوهة ، وليست مشروعا مريبا يقدمه الحكام العرب ـ خدمة للاستعمار ، وابقاء على مصالحه ونفوذه ـ باسم وحدة الهلال الخصيب ، وتحت ستار وحدة سوريا الكبرى ، وانما هى ثورة تقدمية جائحه ، وحركة تحرير وطنية كاسحة ، تتخطى الحدود المصطنعة ، وتعصف بواقع التجزئة الاقطاعية ، وتنتصر لاى بصيص نضالى يلمع ، وأى شرارة تتوهج فى كل وأى مكان من الارض العربية ، وتعبرر لتأجيجها . ومن أجل تحويلها الى حريق ثورى متضرم هائل ـ البحار والسهول والجبال ، وتدخل فى معركة صادقة حازمة مع التاريخ الاقطاعى ـ القبلى ـ الكهنوتى المزمن كله ، ومع طبيعة وضع غريب وفريد فى نوعه ، وضع هو صورة حية ، مركزة ، دامية وقاتمة للقرون الوسطى جميعها بكل بشاعتها وظلامها .

وفى مواجهة سياسة الاستنزاف البعيدة المدى والامد أعلن المناضل الصلب والعنيد عبد الناصر « سياسة النفس الطويل حتى نقطع نفسهم »

وبدلا من أن تجثو الثورة اليمنية على الركب ، وترعف الثورة العربية بالدماء ، وتسقط الثورتان مما تحت مطارق « الحرب المحدودة » اعياء وانهاكا ، اضطرت كتائب الاستعمار والرجعية الى ان تفغر افواهها لاهثة مجهده مستنزفة .

كما اضطر كذلك كل رؤساء جحافل المرتزقة الاجانب ، وجميع خبرائهم التكنيكيين من الامريكيين والبريطانيين ، والفرنسيين ، والالمان ، والصيهونيين الذى سبق للكثير منهم أن حاربوا ثورات التحرير الوطنى فى كل مكان ، سواء فى الهند الصينية ، أو الكونغو أوالجزائر ،والذين كانوا يمثلون قوى الاستعمار السوداء التى «تبيع نفسها لمن يدفع أكثر » ، اضطروا جميعهم لان يعترفوا بمدى المقاومة الباسلة والناجحة التى ووجهوا بها من قبل قوى الثورة اليمنية والعربية ، بحيث لم يبق لامثال كنيدى ، هانزبرج ، روجر ، بيتر ، فيليب، جيروم ، دينير ، جانيت ، شتولز ، روجيه فولك ، سترلنج ،

بوشورو هوارد وغيرهم الا أن يقيئوا احلامهم الطائشـــــة على تضاريس جبال اليمن الشماء ، وامام اقدام ثوارها اليمنيين والمصريين الأبطال ، والا أن يعودوا الى نخاسيهم خاسئين • نعم : لقد سقط على تخوم اليمن وبين شعابها حوالى اربعة عشر ألف شـــهيد مصرى ، واصيب أكثر من هذا القدر ، كما سقطت الاف من جنـــود اليمن ، واصيبت الاف أخرى •

ولكن فى مقابل ذلك أزهقت أرواح آلاف مؤلفة من جيــوش الاقطاع ، والمرتزقة والاستعمار ، وازهقت معها ــ وذلـك هــو الهدف وبالتالى المهم ــ احلام الرجعية الملكية والاستعمار فى أن تستعيد عرش عائلة بيت حميـد الدين المـوروث والموقوف عليهـا « بحكم من السماء » الى أن يرث الله الارض ومن عليها .

وفى بحر دماء الثوار اليمنيين والعرب غسل وجه اليمن من القتام المتراكم والمتجمد الذى ظل يجلله قرونا طوالا ، وذاب وتلاشى نهائيا جبل الجليد الرهيب ، جبل الامامة الاقطاعية الكهنوتيـــــة العتيد ، الذى كان يجثم على صدر الشعب ، ويغوص فى أعماقه ، ويكتم انفاسه ، ويطبق على حياته ، منذ حوالى عشرة قرون ، والذى لم تستطع ان تزحزحه عن مكـانه كل الانواء والاعاصـير الداخليـة والخارجية التى تعرض لها طيلة هذه الحقبة المظلمة والممتـدة من التاريخ اليمنى .

ولقد كانت نتيجة الصدام مع قوى الثورة المضادة ، كما لم يتوقع الاستعمار قط ، فقد قامت جمهورية يمنية مجبولة بالدم اليمنى ومعمدة بالدم العربى ، عاصمتها صنعاء ، على انقـــاض امامة اقطاعية محنطة ، متعفنة كالحة ، تضرب جذورها فى بطون التاريخ العتيد ، كما نهضت فى الجنوب اليمنى جمهورية ثورية متحررة تمثل خلاصة النضال الثورى اليمنى والمصرى معا ، وكانت اليمن بذلك عنوان ومكان النصر التاريخى المؤزر لحركة الثورة والقومية العربية، ودليل وميدان الهزيمة التاريخية المنكرة لقوى الاستعمار والاقطاع والقبلية ، والكهنوت ، وكان عبد الناصر هو القائد التاريخى الذى اقترن به ، وباسمه هذا النصر ، والذى لـولاه ، ولـولا وجـوده ، ودوره ، وثورته وجيشـه ، وشـعبه ، وانغماسـه فى معمعة هـذا النضال ــ الى جانب القادة والثـــوار الوطنيين اليمنيين ــ وبروح فدائية ، بطولية ، جسور ، وارادة متفانية ، متحدية ، مستبسلة ،

وايمان خالص ، صادق ، أكيد بالقومية العربية ، وحتمية انتصارها وبوحدة التاريخ والمصير العربى ، وبوعى كامل بمسئوليته التاريخية فى ضرورة قيادة حركة الانبعاث والتحول والتقدم العربى ــ لسارت الامور فى اليمن كلها على نحو مختلف عما سارت عليه ، ولعانت اهوالا مضاعفة ، وآلاما لا حد لها ، ولاستغرقتها حقبة أظلم واطول من الزمن ، قبل أن تتمكن من الخلاص من مستعبديها ومستعمريها

وهكذا دارت دورة الزمن ، ودارت معها رحى التطـــــورر التاريخى والثورى لتستقر فى اخر الامر مباشرة على عنق الاستعمار نفسه .

فالجيش المصرى الذى جاء الى اليمن فى الربع الثانى من القرن التاسع عشر تحت علم محمد على ، والذى حمل وجوده فيهـــا الاستعمار البريطانى على التعجيل باحتـــلال عدن عام ١٨٣٩ ، وتعبئة الدول الاوربية كلها ضده ، من أجل اخراجه منهـــا ، ومن غيرها من الاقطار العربية فى العام التالى بالذات ، كان عليه ان يعود هذه المرة الى اليمن تحت علم قائد الثورة العربية المظفر جمـــال عبد الناصر ، لا لتصفية حساب قديم مجمد مع قوى الغـــزو الاستعمارية البريطانية فحسب ، وانما ــ بالدرجة الاولى ــ تأكيدا لوحدة الحق ، والوجود ، والمآل العربى ، وتلبية لنـــداء الواجب القومى ، وانطلاقا مع ثورة التحرير القومية التقدمية فى كل اتجاه وتحركا بقواها الرئيسية والصدامية الى كل ركن من الارض العربية تهب فيه رياح التغيير ، تمكينا لارادة النضال الوطنى من الانتصار ، ووقوفا مع الشعب العربى فى كل مكان بكل الطاقات ، ودعما لحركة الكفاح الثورى الى اخر المدى ، وحيث لم يخرج هذا الجيش هذه المرة من اليمن الا بعـد ان دكت معـاقل الاسـتعمار البريطـانى فى عموم جنوب اليمن ، والا بعد ان اصبح ظلالا باهتة محروقة لم تلبث بعد قليل أن تحولت الى اثر بعد عـــين ، والى ذيل من الدخان غائر خلف المحيط الهندى من حيث أتى ، بينما عواصف الثورة اليمنيـــة والعربية تلاحقه فى كل اتجاه ، والا بعد أن أخذت تترنح وتتهاوى ركائزه الداخلية الهشة من السلاطين والامراء والشيوخ الاقطاعيين والتى لم يمض الا بعض وقت حتى طمس وجودها تماما ، كما أن هذا الجيش لم يخرج من اليمن الا بعد ان هدمت قلاع النظام الامامى الاسطورى الارعن فى جميع انحائها ، وطمس ذكر الامام والامامة الى الابد .

وفوق ذلك كله فقد برهنت ساحة اليمن الثورية أنهـا كانت نقطة الانطلاق لاستعادة زمام المبادرة من يدى قوى الاستعمار والرجعية ، فبعد تمزق جدار البابوية والعزلة السياسى ، من حول اليمن ، تمزق كذلك ــ بفعل رد الفعل ــ وعلى اثر ذلك مباشرة ــ « حائط العزل والحصار السياسي » الذى كان قد ضرب من حول حامية الثورة العربية فى القاهرة ، وتهاوت الانظمة والقوى التى كانت تدير المعركة ضده ، فسقط حكم الردة الانفصالية فى دمشق كما سقط حكم الفردية فى بغداد ـ بقطع النظر عما صاحب وتلا ذلك من مجاوز غير مبررة راحت ضحيتها قوى تقدمية غير مسئولة عن فوضوية وديكتاتورية واقليمية الحكم القاسى ، تلك المجازر التى نفذتها قوى البعث اليمينية التى صححت موقفها فيما بعد وتحالفت مع هذه القوى التقدمية ـ بعد طرد العناصر اليمينية من صفوفها ـ واشركتها فى حكم العراق ، بلد العروبة العظيم ، والثورة القومية الجامحة .

كما ترنحت كذلك أيضا أنظمة وقوى أخرى كثيرة ، وحفرت الثورة العربية ــ من خلال ثورة اليمن وبفضل دعمها ــ وجودها مرة أخرى فى باطن الارض العربية وفى صلب حركة التحرر الوطنى العالمية ، وغدت الثورة اليمنية أحد المشاعل المنيره ، واحدى العلامات المثيره على طريق الزحف العربى ، واحدى الانتصارات الوطنية والقومية الحاسمة التى سجلها زعيم الثورة العربية غير المنازع جمال عبد الناصر ، كما غدت هذه الثورة لمدة خمس سنوات كاملة عنوان الاحداث العربية كلها ، ومركز الثقل الاساسى فى حركة النضال الثورى العربى الشامل والتى شكلت بالانتصار فى ميدانها منعطفا حاسما فى مسار الثورة العربية .

وذلك هو بالضبط ما عناه القائد الملهم عبد الناصر ، عندما قال بوضوح لا لبس فيه بأن « الثورة اليمنية (كانت) نقطة تحول فى مواجهة الاستعمار والرجعية .. » (المصور ١٨/١١/١٩٧٠) .

ان هذه الحقيقة التاريخية لا يقلل من حجمها ، ولا ينال من قيمتها ، ولا يؤثر على اهميتها أى مؤامرة أو حتى ردة يمكن أن تكون قد تعرضت لها هذه الثورة فى أى مستوى من مستوياتها ، فقد تصاب الثورات بالنكسات ، وقد تتمكن الثورات المضادة من التغلب على الثورات الوطنية الى حين ، ولكن تبقى الحقيقة التاريخية ثابتة .

ناصعة ، مهابة ، لا يجوز ولا يصح النيل منها أو التهوين من شأنها ، ولاسيما أنه لا يستطيع أى نيل أو تهوين طمس اى حقيقة تاريخية عظيمة ، او الغاء اى واقعة مادية جليلة .

ولان الثورات المتسقة مع حركة التطور ، السائرة فى اتجاه التقدم ، المندمجة فى قلب تيار الزحف الثورى الوطنى الديمقراطى الذى يشكل ظاهرة العصر الجديدة المسيطرة ، ليس فى المنطقة العربية وحدها ، وانما على نطاق القارات الثلاث ، ليس فى الامكان هزيمتها ، فانه يمكن الجزم - بيقين علمي كامل - بأن ثورة ٢٦ سبتمبر الوطنية سينطلق بقوة مضاعفة فى هذا الاتجاه التاريخى الحتمى ، وستعاود وضع اقدامها بثبات اكثر على طريقه ، استجابة لقانون الضرورة الموضوعى نفسه الذى يعمل عمله الخاص داخل اليمن ، كما يعمل عمله ضمن حركة التحرر العالمية فى كل مكان .

وكما تمكنت ثورة ١٤ أكتوبر فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية — وهى التعبير الخصب والخلاق والملتهب لثورية شعبنا وقياداته السياسية هناك ، وهى الوليد الشرعى والطبيعى والمتفجر لثورة ٢٦ سبتمبر ، وهى الامتداد الحى والتقدمى والمتصاعد للثورة العربية كلها — من الاندفاع بقوة متنامية متعاظمة فى طريق التطور الوطنى الديمقراطى . فأن ثورة ٢٦ سبتمبر فى الجمهورية العربية اليمنية ستتمكن بالتأكيد — وهى النبع والمنطلق — من ارتياد نفس السبيل واقتحام نفس الافق وستشكل مع ثورة ١٤ أكتوبر تيار ثورة وطنية يمنية واحدة قادرة على تحطيم سياسة الاستيعاب والاحتواء الرجعية الاستعمارية ، وستغدو صنعاء - كحتمية تاريخية - العاصمة الطبيعية والثورية لجمهورية اليمن الموحدة الوطنية الديمقراطية .

وسيتحقق حينئذ حلم واحد من تلك الاحلام العظيمة التى كانت تراود رائد الوحدة القومية العظيم ، وبطل الثورة العربية الفذ . العملاق الشاهق ، والزعيم الخالد الراحل جمال عبد الناصر .

تخطيط الناصرية لقيام الثورة اليمنية

كنت قد زهدت منذ اكثر من عامين عن التعليق على كتابات الدكتور عبد الرحمن البيضانى عن نفسه ، وعن وجهة نظره الخاصة فى الثورة اليمنية ، وفى قادتها ، وفى غيرهم من القوى الوطنية اليمنية ، بعد ان جرت مساجلات بيننا لاكثر من شهر على صفحات مجلة (الطليعة) القاهرية ، ولاسيما بعد ان غدا واضحا ان كل حرف أو سطر يخطه البيضانى يغنى - من شدة الادعاء والترخص والاسفاف الذى يطفح به - عن كل رد ، وبعد ان غدا همه مقصورا على تقديم أى (خدمة) - ولو لم تكن مطلوبة او ضرورية - لاى حاكم يقفز فجأة الى سدة الحكم فى صنعاء ، وبعد ان اصبحت (مهنة) لانفكاك منها ، وداء (عضالا) لاشفاء منه مناواته لكل عنصر وطنى وكل فكر ثورى ، حتى أصبح معروفا للجميع انه - وبهذه الصفة ، وقد أصبح ينزل الى سوق الدعاية الرجعية والاستعمارية من حين لاخر كل ما أمكنه (حشوه) من صفحات الكتب الثقيلة - رغم ازمة الورق الطاحنة - والتى توزع فى الغالب مجانا ، والتى تحمل (افكارا) بالغة الغثاثة والتخلف والبدائية والجهل - انه بذلك كله يقوم بدور (مرسوم) له من بعض الجهات البترولية فى الخارج ، يلعب فيه شخصه الضعيف دور الممثل والمنفذ ليس الا ، سواء اجاد أم تعثر ٠

ومن هنا فانى لم أهتم فى البداية بالرد على مقالته التى اتسع صدر مجلة الحوادث لنشرها فى عدد ٢٦ يوليو ١٩٧٤ ، والتى مثل علاقته فيها - ابان ثورة ٢٦ سبتمبر فى صنعاء - بالمشير عبد الله السلال الذى اراد له أن يكون (رمزا وعضو شرف فى الثورة لااكثر ولا اقل) بعلاقة عبد الناصر بمحمد نجيب ، والتى انحطت - فى نفس الوقت - الى حد الاستكثار ان يكون ابرز زعماء ثورة سبتمبر المجيدة موضع تقدير وتكريم جمهورية مصر العربية - قاعدة الثورة

العربية ، وموطن كل ثائر ولاجئ سياسى عربى منذ أيام جمال الدين الافغانى — كما قال القائد الخالد جمال عبد الناصر فى حديثه مع الفريق حسن العمرى الذى — كما تذكر بعض الروايات — كان قد طالب بتسليم اللاجئين السياسيين اليه للتصرف فى أمرهم — قبل ان يجد نفسه فى وضع مشابه لوضعهم !

ولكن عندما بلغت الامور — كما اتضح من تعقيبه الذى نشره فى عدد ٢٧ سبتمبر ١٩٧٤ من الحوادث على أحد المثقفين اليمنيين الذى كان قد حاول فى عدد ٦ سبتمبر ١٩٧٤ من نفس المجلة وضع (نقاط فوق حروف البيضانى) — عندما بلغت حد التطاول والافتئات على دور ثورة ٢٣ يوليو الرائدة ودور زعيمها العظيم جمال عبد الناصر ازاء الثورة اليمنية ، وحد ابراز دوره السياسى على حساب ذلك كله ، بل على حساب الحقيقة التاريخية التى لا تقبل الجدل — فأنه لم يبق حينئذ فى قوس الصبر منزع ، ولم يبق لاحد عذر فى عدم الرد عليه ، وايقافه عند حده .

لقد صور البيضانى قائد الثورة العربية جمال عبد الناصر ، وكأنه كان يجهل ما يدور فى صنعاء دقيقة بدقيقة ، وكتب بدونما خجل بأن عبد الناصر لم يسمح لى (باذاعة اخيرة ونهائية مساء ٢٥ سبتمبر ١٩٦٢) الا بعد أن ابلغ العقيد حسن العمرى الدكتور البيضانى بساعة الصفر ، وهى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ .

وبقطع النظر عن طبيعة الدور (الثورى) الذى يذكره البيضانى لشخص حسن العمرى ، وغمط ادوار رجالات الثورة الاخرين — فأنه غير مقبول تصوير عبد الناصر على هذا النحو ، وهو الذى يشهد جميع ضباط ورجالات الثورة — وعلى رأسهم عبد الله السلال — بأنه والرئيس السادات شخصيا كانا فى (الصورة) من البداية والى النهاية ، وعلى علم كامل — من خلال سفارة القاهرة فى صنعاء التى كانت همزة الوصل المباشرة بينهما — وليس عبد الرحمن البيضانى ، كما يدعى بدونما اكتراث حتى بتزييف الحقائق التاريخية الكبيرة — على علم كامل بكل دقائق وجلائل ما يحدث فى صنعاء أولا بأول .

وعندما يسجل تاريخ الثورة اليمنية — بدونما حساسية اقليمية مصطنعة ، وبدونما اعطاء أى أهمية لأى اعتبارات أو

حساسيات عربية اخرى ـ فانه سيتضح جيداً ان الرئيس عبد الناصر والرئيس السادات معا كانا من الصناع الاساسيين والحقيقيين لثورة ٢٦ سبتمبر ، ولكل ما تلا ذلك من احداث ـ ابتداء من سقوط الامامة وقيام الجمهورية وانتهاء بخروج الاستعمار البريطاني ، واعلان الاستقلال الوطني للشطر الجنوبي اليمني ـ وانه لولا هذا الدور القومي والتاريخي الفريد الذى نهضت به مصر ، وابتدأت في التخطيط الجاد له منذ نكسة الانفصال وقصيدة الامام الشهيرة التى هاجم بها فى خريف ١٩٦١ الاشتراكية ، وهاجم مصر بأيعاز واتفاق مع الملك سعود ، لما كان فى امكان احد ان يغامر بأمكانياته الضعيفة والشحيحة ، وعلي (مسئوليته الخاصة) بالاقدام على تفجير ثورة وطنية تحررية في أخطر منطقة استراتيجية وبترولية عربية تشترك في احكام القبضة الحديدية عليها كل واعتى القوى الاستعمارية والرجعية هناك .

لقد كان قيام الثورة اليمنية (عملا قوميا) فذا ، (وتحركا ثوريا) جبارا ، نهضت وردت به الثورة العربية بقيادة جمال عبد الناصر على نكسة الانفصال ، وضربت به حصار التطويق الذى كان قد ضرب على مصر بعد ذلك مباشرة ، ونقلت به المعركة من القاهرة الي منطقة النفوذ الاستعمارى والى عقر دار الرجعية العربية المتآمرة ذاتها ، وكان أيضا تحطيما لحاجز العزلة الذى كانت قد اقامته الدول العربية كلها تقريبا على القاهرة بعد مؤتمر شتورا الشهير ، والذى اضطرت مصر نتيجة له الى (تجميد عضويتها) فى الجامعة العربية .

وبدل ان تكفر مصر (بالعرب والعروبة) كما كان يريد الاستعمار ، وبدل ان تقبل بالقبوع داخل اسوار حدودها الاقليمية ، كما كان يخطط ، وريثما يتم له تدبير انقلاب رجعى داخلى يطيح بثورة يوليو من اساسها ويطيح بقيادتها القومية معها ، فأن عبد الناصر تصرف تصرف الفرسان الذين لايقبلون بهزيمة ، وقفز حائط العزلة والحصار الذى كان قد ضرب من حوله ، ولم يستقر به العدو الا فى قلب الجزيرة العربية ، حيث شن من هناك ـ ومن أرض العدو ـ معركة ثورية وهجومية معاكسة ، وغير منتظرة ولا متصورة .

تلك هى خلاصة الخلاصة لقصة ثورة ٢٦ سبتمبر ، كما يعرفها المطلعون على حقائق الاحداث .

ومع ذلك فاننا فى انتظار (وثائق البيضانى) التى وعد بها ، لنرى ما سيقوله من واقعها — ان كانت لديه وثائق مخالفة وخاصة — حول ما ذكرنا من حقائق غدت معروفة لكل متتبع لاحداث الثورة اليمنية .

ويبدو أن رابطة الطلبة اليمنيين فى القاهرة التى توجهها العناصر الناصرية ، والتى كان البيضانى يستغل اسمها ويضعه على كتيباته — ومحاضراته التى كان يلقيها فيها — قد عرفت كيف تعامل البيضانى بسبب تشويهه لسيرة الثورة اليمنية ، ودور مصر فيها . فهى لم تكتف بمنعه من القاء محاضرات أخرى فيها ، وانما ردت على مقاله الآنف الذكر من خلال كلمات موجهة لخطباء اختارتهم وقدمتهم فى الحفل الذى اقامته فى نقابة الصحفيين فى القاهرة مساء ١٩٧٤/٩/٢٧ احتفاء بالذكرى الثانية عشر لقيام ثورة سبتمبر ، دون أن تمكنه فى الوقت نفسه من الرد عليهم كما طلب برجاء وفى الحاح !

ويكفى أن البيضانى قد أصبح بسبب مواقفه من الثورة اليمنية وعبد الناصر ، معزولا حتى عن الاوساط البورجوازية اليمنية التى كان يتعامل معها .

دور البيضـاني في تخريب ثورة ٢٦ سبتمبر
غير محسوب على مصر الناصرية

بعض الناس يحسب البيضاني جملة وتفصيلا على مصر ، ويحاسبها بالتالي على اعماله السياسية المدمرة ضد الثورة اليمنية وذلك خطأ في الحساب وضلال .

وعندما بدأت في فتح (ملف البيضاني) الحافل بالـوقائع المؤسفة والمخجلة لم ار ما يشير من قريب او بعيد الى ان الرجـل قريب من الفكر القومي الذي حملته ثورة ٢٣ يوليو ، وانما هـو اقرب الى فكر الاخوان المسلمين ، وبهذه الصفة عرف لدى القريبين منه منذ مطلع الخمسينات . وقد حاول ستر هذه الصفة فيه طيلة الحقبة الناصرية ، وتظاهر بالناصرية ، فلما توفى ناصر ، وتعرض للهجوم من الاخوان المسلمين والقوى اليمينية الأخرى ، كان البيضاني ممن اشتركوا في نهش جثته . واصدر الكتب الممولة من اوساط رجعية عربية معروفة ، يهاجم فيها عهد عبد الناصر ، ويصوره بأنه كان عهدا شيوعيا ، وان فكره الشيوعي هذا كان يمكن أن يسـود في اليمن ، لولا خروج جيشه من هناك — اى لولا « فضل » نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ التي اضطرته الى ذلك !

وقد كان رأيي منذ البداية ان تجاهل ادوار البيضاني التخريبية السابقة واللاحقة باسم انه «لايستحق» وانه «رجل محروق» — موقف مثالي وغير نضالي ، اضافة الى انه من الصعب الحديث عن الثـورة اليمنية — ولا سيما فيما يتعلق بالاشهر الاولى من قيامهـا — دون التطرق الى سياسات البيضاني ازاءها ، الذي فوجيء اليمنيون ، وقد غدا — دون مبررات من ماض كفاحي معروف — يشغل الموقع الثاني من اجهزة الدولة الرسمية . ولا يهم بعد ذلك ان يكون البيضـاني مقبولا في شخصه اومرفوضا ، وانما المهم — بصفته السياسية بالذات — ان يذكر ، وان يقيم من وقائع افعاله . وفوق ذلك كله فأن التاريخ

لايستنكف ان يسجل كل صـــغيرة وكبيرة تتعلق بمن كانت لهم « صفة عامة » ايا كانت اهميتهم ٠

رأى قادة حركة الاحرار اليمنيين فى البيضانى :

التحق الدكتور عبد الرحمن البيضانى بحركة الاحرار اليمنيين فى القاهرة عام ١٩٦٠ ، غير ان طموحاته الشخصية المفرطة دفعت به الى الاصطدام مع زعيمى حركة المعارضة الكلاسيكيين القاضى محمد محمود الزبيرى . والاستاذ احمد محمد نعمان ، حيث « طـال بينهم الشقاق ، ودبت الأحقاد ، حتى ابعد الدكتور البيضانى من الحركة ، وعزل من منصبه فى الاتحاد ، اليمنى (١) ـ هيئة المعارضة اليمنية ـ وقد علل النعمان والزبيرى ـ وهما اللذان قامت حركتهمـــا السياسية على التمثيل والتوازان الطائفى ـ سبب طرد البيضـانى بأنه فاق بتعصبه الطائفى والعرقى الصارخ والسافر كل المتعصبين من قبله ، فكتبا عنه ـ كما جاء فى بيان (الاحرار الى الاحرار)، جريدة العمال . عدن ١٦/٩/١٩٦٢ قائلين : « وجاء على آخر الزمان طارىء جديد على صفوف الحركة الوطنية يطالبنا بالمنكر ، ويدعونا الى اعلان جريمة الانشقاق بين ابناء الشعب ، والاعتماد عليها ـ كما يزعم ـ فى تحقيق الثورة ، وما اشبه طلبـه هـذا بمن يحـاول تطهير قرية من مكروب الملاريا فيضربها بالقنابل الذرية ، ولقد ذكرنا بحكـاية العبـد الابله الذى حاول أن يطرد الذباب عن جبين سـيده ، فرمى بصخرة ضخمة حطمت جبين السيد دون الذباب الذى طار قبل ان تلحقه الصخرة »

صراع مع الضباط الاحرار :

وكان ضباط الكلية الحربية فى صنعاء الذين شكلوا نواة الحركة الثورية ، وعلى رأسهم مدير الكلية الحربية العقيد عبد الله جزيلان ذوى رأى واضح منذ البداية فيما يتعلق بالتعامل مع البيضـانى ، فقدا كانوا لايطمئنون اليه ، بعد ان اتضح لهم من قراءة مقالاته التى كان ينشرها فى مجلة روز اليوسف انه لا يستهدف غير ضرب وحدة الضباط الاحرار ، بعزفه الدءوب والملح والغريب على النغمة العنصرية والطائفية ، فى الوقت الذى كان فيه هؤلاء الضباط مثالا حيا للوحدة الوطنية والثورية ، التى جمعت بحـق مختلف العناصر الوطنية المعادية للاستبداد الامامى ، دون نظر الى الاصل العرقى أو الطائفى ٠

وكان رأى هؤلاء الضباط ان رجلا كالبيضانى بعيـــــدا عن عن المعايشة اليومية ، والتعامل المباشر مع حقائق الاوضاع فى اليمن غير قادر على ابداء رأى صائب عند التخطيط لاى عمل ثورى فى البلاد وقد ثبتت صحة ارائهم هذه ، حيث انه بينما « كان التنظيم الثورى يشكو من ضعف التسليح » كان « من رأى البيضانى ان قنبلة واحدة على قصر البدر كفيلة بالاطاحة بالعهد كله » (٢) وقد تكفلت سنوات الحرب الطويلة والمريرة التى فرضتها قوى الاستعمار والرجعية على اليمن بكشف مدى ضحالة وسطحية وغرابة مثل هـذا النــوع من التفكير السياسى الفج ·

ومن هنا كانت وظلت صلة الضباط الاحرار ـ اثنـــاء عملية التحضـير للثورة ـ صـلة مباشرة بالقــاهرة عـن طريق ممثليها الدبلوماسيين فى صنعاء وعن طريق ضباط اتصال ·

وكان الرأى العام فى داخل البلاد ، شأنه شأن الضباط يرى ان البيضانى لايبصر سوى المظهر الخارجى للمشكلة دون ان ينفد الى جوهرها السياسى، ويرى ـ كما كتب بعض الذين لايستطيع احد ان يتهمهم بأى نوع التطرف اليسارى ـ « ان الدكتور البيضـــــانى وسع شقة الخلاف فى اليمن ، فقد كان من خلال كتاباته فى مجلــه روزاليوسف ، واذاعاته من صوت العرب ، يؤمن بعنصرية القضية اليمنية ، وان اساس المشكلة يقــع فى كون اتباع المذهب الزيدى حكاما ، واتباع المذهب الشافعى محكومين لهم ، وفى كون الهاشميين رجال السلطة التشريعية والتنفيذية والقضائية ، وغيرهم المطيــع المأمور · وبذلك قسم الدكتور البيضانى شعب اليمن الى قسمين اثنين ، ورسم تخطيطا للمعركة على هذا الاساس » (٣)

وعندما زعم البيضانى للضباط فور وصوله الى صــنعاء بأن دعم القاهرة يتوقف على قبولهم بتعيينه نائبا لرئيس مجلس قيادة الثورة فى كل اعماله ، وانه يحمل امرا صريحا بذلك من المشير عبد الحكيم عامر ، نهره هؤلاء الضباط وعلى رأسهم جزيلان ـ مؤكدين ان معرفتهم بموقف القاهرة الحقيقى تتنافى مع هذا الزعم ·

الطموح نحو احتلال منصب السلال :

وعندما قبل هؤلاء الضباط ـ حرصا على وحدة الصـــف فى مواجهة نذر الاخطار الخارجية التى اخذت تلوح فى الافق ـ بأن يكون البيضانى فى موقع الرجل الثانى فى السلطة التى ، كانت ـ كمـــا

تأكد لهم هي كل مطمحه ، فوجئوا به يتطلع الى ما هو اكثر من ذلك بعد ان خيل اليه انه غدا يملك «من القوة وسعة النفوذ ما يحمله على احتلال مكانة الزعيم عبد الله السلال وارتقاء منصب الرئاسة في الجمهورية ، وتساءلت الصحف الاجنبية ، فيما اذا كان الدكتور البيضاني هو ناصر اليمن ، وعبد الله السلال نجيبها ، وهل يحدث في اليمن ما حدث في مصر في السنين الأولى من الثورة المصرية ، ولكن اخلاص الشعب للسلال ، واصطدام البيضاني برجال الثورة حالت دون ازاحة السلال ، ودون احتفاظ الدكتور البيضاني بمنصب وزير الخارجية ونائب رئيس الوزراء ٠ » (٤)

دعوة للتقارب مع الرجعية العربية :

كان معروفا جيدا انه كان من محركات قيام الثورة اليمنية هو ــ حسب تخطيط استراتيجي قومي ثوري من القاهرة ــ الرد على الهجمة الامبريالية ــ الرجعية التي تمثلت في انتزاع دمشق من حضن الوحدة ، وفي مؤتمر شتورة ، وفي غير ذلك من المؤامرات التي كان للرجعية العربية ضلع اساسي فيها ، وجاءت ثورة اليمن لتكون متنفسا جديدا لقلعة الثورة العربية المحاصرة في القاهرة ، ومنطلقا متقدما للثورة العربية ، للزحف منه نحو حصون القرون الوسطى الاقطاعية المتبقية داخل الجزيرة العربية التي كانت قد غدت اوكارا للاستعمار الجديد والقديم ٠

غير ان موقف البيضاني السياسي كان هو ــ باستثناء بعض التصريحات التي وضعت وألصقت على لسانه ــ الرغبة في اطفاء شعلة الثورة ، والسعي الى التصالح مع القوى المناوئة للوضع الجديد ، والوقوف دون ان تأخذ الثورة مداها الطبيعي ، بل ودون ان تقبل تحدي قوى الرجعية وترد عليه،ودون ان تتصدى للثورة المضادة التي كانت قد بدأت تزحف منذ اليوم الاول ضد ثورة٢٦سبتمبر٠وقدتولى البيضاني بنفسه امر تحديد موقفه ذاك الذي رفضته الجماهير الثورية اليمنية بحسم ، حيث كتب : « وكم كنت اود الاحتفاظ في صنعاء بالسفارة السعودية ، رغم اشتداد هجوم حكومتها ، واذاعتها المستمرة على الثورة اليمنية ،واعلانها الامير السابق الحسن ملكا على اليمن ٠ غير ان الجماهير اليمنية الغاضبة اسرعت الى احتلال دار هذه السفارة في اليوم الثالث للثورة ، فقمت بنفسي باخلائها من الجماهير ، واصطحبت القائم بالاعمال السعودي الى مقر رئاسة

الجمهورية ، واحطته علما بأننا لانزال حتى تلك اللحظة لانريد أن نرد الهجوم الاذاعي بمثله ، أملا في اقناع الحكومة السعودية بصداقتنا ، وحسن عواطفنا نحوها » واكثر من ذلك كان البيضاني يرغب عن طريق الوصول الى صيغة مصالحة مع الرجعية العربية الى نقل اليمن من موقعها الثوري في جبهة الثورة العربية الى الموقع المضاد تماما في جبهة الرجعية العربية والاستعمار ، باسم تجنب نقل الخلاف بين القاهرة والرياض الى ساحة اليمن ، ولبلوغ ذلك كان من تخطيطه ــ كما كتب ايضا ــ هو « ارسال وفد يمني على مستوى القمة الى الرياض لتوقيع اية اتفاقية تراها الحكومة السعودية مطمئنة لها ، واننا لانرحب بانتقال الخلاف العربي الى ارض اليمن ، واننا يمكن ان نكون حمامة السلام في ذلك الخلاف » (٥) ·

غير ان مثل هذه السياسة الخطرة والمشبوهة كانت مرفوضة انذاك على طول الخط سواء من قبل القاهرة او من قبل الضباط الاحرار الذين كانت روح الحذر والجفوة ظاهرة للعيان بينهم وبين الدكتور البيضاني ، وهو ما لاحظه الاستاذ موسى صبرى الذى لايمكن الاشتباه في وجود عداء بينه وبين البيضاني والذى على العكس من ذلك تجمعه صداقة وطيدة ومبكرة معه ، كما اتضح ذلك من كتابه · فقد سجل بعد مجيئه الى صنعاء في الايام الاولى لقيام الثورة ــ ما نصه: « ولكنني بعد الساعة الاولى من وصولي ولقائي مع الدكتور البيضاني وغيره من القيادات ، احسست ببذور الخلاف بين هؤلاء القادة ، وسمعت منه ردودا على هذه الحملات ، وتناولت ردوده النيل من السلال رئيس الجمهورية · » (٦)

ضد مصر والسوفيت لصالح بون :

وعندما فتحت مصر بنكا عربيا في اليمن وفق اتفاقية اقتصادية معقودة بين البلدين ، اسرع الدكتور البيضاني الى اغلاقه في اليوم الثاني لفتحه ، في الوقت الذى كان يظهر فيه استعداده لاتاحة المجال لفتح بنوك أجنبية في طول البلاد وعرضها !

وعندما كانت اليمن تواجه الحملات العسكرية الاستعمارية والرجعية ، وتتلقى الدعم المالي والعسكري من الاتحاد السوفييتي وغيره من الدول الاشتراكية لم يجد البيضاني ما يقوله في مثل هذا الوقت العصيب الذى كانت تمر به الجمهورية غير الادلاء بالتصريحات الغريبة « الملفتة » التي لم يدرك المواطن العادي ما وراءها في ذلك الوقت والقائلة ، بأن اليمن لاتفتح ابوابها للشيوعية ولن تكون

شيوعية في اى يوم من الايام ، كما لم يجد مايفعله غير الاهتمـــام بذاته والاعجاب بنفسه واستعراضها امام عدســـات التليفزيون الالماني ، لتصويره كأى نجم سينمائى ـ من مختلف الزوايا وعـــلى مختلف الاوضاع ! .

مغازلة الاستعمار البريطاني :

وكان الشيء الوحيد الذى تفتقت عنه عبقرية البيضـــانى ازاء الاستعمار البريطانى الذى كان يحتل معظم انحاء اليمن ، وكان يطبق بمؤمراته واعماله العدوانية على الجمهورية الوليدة من الشرق والجنوب هو رفع اغصان الزيتـــون ، وتوجيـــه الدعـــوة الى وفـــد من حـــزب العمال البريطانى ، حتى يتسنى له التفاهم مع ممثلى « الديمقراطية البريطانية » حيث « سنقول لهم ـ كما تحدث ـ ان الحكومة الثورية لاتستهدف الا الاصلاح ، ولا تريد خلق المتاعب ، ولاترحب بالدخول فى المشاكل الدولية كى تتفرغ للأنشاء والتعمير » و « سنسألهم ما هو موقف الديمقراطية البريطانية من ثبوت عدوان الحكومة البريطانية على شعب اليمن . » (٧)

ادانة عبد الناصر لسلوك البيضانى الطائفى :

وكانت نتيجة سياسة البيضانى العشـــــوائية والتخريبية وتصريحاته المتلاحقة التى كانت تمتلىء بالطنين الذاتى الزاعق الذى اصم الاذان ان اصطدم بكل قطاعات وفئات الشـــعب اليمنى « حتى ارتفع الهمس وانطلقت الصيحات ، تندد بالدكتور البيضانى وتتهمه بالطيش والجهل بشئون اليمن ، وعقلية الشعب اليمنى ، وما يرضيه وما يغضبه ، .. فاتسعت شقة الخلاف بينه وبين الشباب اليمنى ، فبدأوا يتذمرون منه ويعملون ضده » (٨) .

وبعد ان بلغ السيل الزبى ، وعم السخط على البيضانى الحاكمين والمحكومين معا ، اصدر الرئيس السلال قرارا بنفى البيضانى وبقائه فى القاهرة ، قبل ان يكمل نصف سنة من اقامته القلقة والمقلقة فى اليمن ، وكان هذا القرار ونزع الجنسية اليمنية عنه بعد ذلك بمثابة عقاب له بعد ان ضاق الجميع وعلى رأسهم الرئيس السلال بتصرفاته وحماقاته السياسية التى جاوزت كل حد . ولم يهتم احد عند وصول البيضانى الى القاهرة واقامته فيها حيث « لم يقابل هناك بالترحيب والتكريم المتوقع لنائب رئيس الجمهورية »(٩) بعد ان فقد عطف حسين

طن القاهرة . وخلال لقاء تم مع الزعيم الخالد جمال عبد الناصر سأل القائد العربي الدكتور البيضاني ـ في لهجة ملؤها التوبيخ والتقريع والاشمئزاز والتقزز ـ وكما اعترف البيضاني نفسه بذلك في احدى لحظات تجليه ـ : كيف تقبل على نفسك ـ وانت رجل مثقف احتراف العمل الطائفي ؟!

اهانة مدمرة في عدن :

لم يلبث البيضاني ان كشف كل اوراقه ، عندما غادر القاهرة متوجها الى « موطنه الروحي » في المانيا الغربية ، حيث كان ومازال يمتلك الصداقات الواسعة مع دوائر الاحتكارات الالمانية وممثليها السياسيين ، حيث حصل على وعود منها بتقديم الرأسمال اللازم لفتح بنك في مستعمرة التاج البريطاني ـ عدن ـ يساعده على بناء موقفه السياسي من جديد، واستعادة ما فقده في صنعاء وتمويل خططه وفتح الطريق لنفوذ الاستعمار الجديد ، ودفع البلاد في « الاتجاه الصحيح » !!

غير أنه كان من سوء حظه أن جماهير المستعمرة ووطنييها لم يمكنوه حتى من مجرد الاقامة المريحة في عدن ، حيث استقبلوه هناك اسوأ استقبال ، وعاملوه معاملة المغضوب عليه والمجرد من الجنسية والوطنية معا ، وقذفوه بكل ما امكن للايدي نيله وحمله مما لا يجدر ذكره . وكان ذلك هو ردها الوحيد والبليغ عليه ، بعد ان أخذ يتهجم على الوجود المصري الثوري في اليمن ويردد الدعايات الرجعية والاستعمارية المجوجة والمسمومة بتصوير انه بمثابة احتلال عسكري ، لولاه لامكنه الزحف على البلاد وتحريرها من « الثوار » ، واقامة الدولة الشافعية التي لا يتحكم فيها الزيود ولا الاجانب « من العرب » !

سخط ومقت الشباب اليمني :

وعن مسلك البيضاني المعيب والمشين هذا منذ قيام الثورة الى حين وصوله عدن ، تحدث بيان اصدرته رابطة اليمنيين في الاتحادالسوفيتي في ١٩٦٦/١١/٢٠ على النحو التالي : «في السنةالاولى للثورة خرج البيضاني فجأة من المجال السياسي كما دخل ، بعد ان جرع البلاد مشاكل عديدة ، وكان وراء كثير من الاخطاء في المجال السياسي والاقتصادي والعسكري ، وتنفس الناس الصعداء ، رغم انه

ليس الوحيد الذى يرتبط فى اذهان المواطنين بالدعاوى الطائفية الا ان ذهابه خفف من الطنين الطائفي الذى يجد فى شخصه تعبيرا صاخبا • وكانت زيارته لعدن بمثابة انتحار سياسى ، وحراب بريطانيا هى التى حمته من غضبة شعبنا فى جنوب اليمن المحتل بعد ان ذهب الى حد القول والتصريح بأن القوات العربية هى التى تحول دون حكمه للقسم الجنوبى من الجمهورية العربية اليمنيه • وهذا نفس حلم الحكام البريطانيين الذين توالوا على عدن »

واذا كانت الجماهير اليمنية فى عدن قد عاملته على طريقتها الخاصة فأن القاهرة نفسها التى كان البيضانى اول من اساء اليها بأقواله وافعاله ، سواء وهو داخل السلطة او بعد اقصائه منها ، لم تترك اقواله واعماله هذه الموجهة ضدها وضد الثورة اليمنية تمر بدون عقاب !

وعندما بعث البيضانى سياسيا مرة اخرى فى خريف عام ١٩٦٦ ، وعين سفيرا فى بيروت كان ظهوره على المسرح السياسى من جديد صدمه للوطنيين اليمنيين الذين عبر عن موقفهم هذا بيان رابطة الطلبه اليمنيين فى الاتحاد السوفييتى الذى واصل الحديث عن البيضانى بقوله : « ان من حق كل وطنى ان يتساءل ، لماذا يعود هذا الرجل ؟ فلا وزنه فى الحياة السياسية ، ولا ماضيه يرشحه لانجازاى مهمة من المهام التى تواجهها الثورة فى هذه الايام • ان التأثير الضار لعودته لن يقتصر على الجمهورية ، ولكنه سيمتد الى الجنوب اليمنى ، فالشعب هناك لن ينسى انه وقف ليطلع على الناس من راديو عدن بمشاريعه التى صفق لها الحكام البريطانيون وشريف بيجان ، ان مصلحة الوطن تقتضى ان يعود البيضانى الى حيث كان ، الى النسيان ليريح ويستريح • وحتى لايضيف مشكلة الى مشاكلنا وما اكثرها • »

مع مجموعة صلاح نصر ضد عبد الناصر

لم يتوقف جهد البيضانى عند حدود تخريب الثورة اليمنية ومحاولة التآمر عليها بالتوطؤ مع الاستعمار القديم والحديث معا وانما كانت له نشاطات مريبة وغريبة ضد ثورة ٢٣ يوليو نفسها ويكفى فى هذا المجال ذكر ذلك الدور المشبوه والمغامر الذى اراد الاقدام عليه ولم يتمكن منه ، عندما حاول ـ بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ ـ واثناء تحرك مجموعة صلاح نصر لتنفيذ مؤامرتها المكشوفة

والمعروفة ضد خط الثورة وضد عبد الناصر – وهو الدور الذىفشل في اقناع سفير اليمن فى القاهرة أنـذاك عبد الرحيم عبد الله بـه بالتعاون معه عليه لدفع الطلبه اليمنيين فى القاهرة للقيام بمظاهرة ضد عبد الناصر ، ولصالح جماعة المشير عامر وصلاح نصر • ولمـا كان السفير – الذى يقيم الان فى القاهرة لاجئا سياسيا – يعـرف جيدا مرامى البيضانى المدانة ، وارتباطاته الخفية بهـذه المجموعة ومخاطر الاقدام على مثل هذه الخطوة الخطيرة ، ويعرف ثبات ولاء الطلبه اليمنيين لعبد الناصر وخطه التقدمى فأنه رفض ان يجـره البيضانى الى مثل هذا المنزلق الخطر •

مع الرجعية ضد القوى التقدمية :

على ان من الغريب حقا ان ينتهى الامر بالدكتور البيضانى – الذى يدين بفلسفة المنفعة المادية – البراجماتية – عند حد التعاون دونما شعور بالغضـاضة أو المهانة – مع نفس المجموعة المشائخية الاقطاعية التى سبق ان اتخذت ضده موقفا بالغ الشدة والقسـوة فى مؤتمر عمران الشهيرعام ١٩٦٣ ، حيثاتهمته بالخيانة «العظمى» لمصالح الشعب ، وزكت تجريد السلال له من الجنسـية اليمنية ، فجاء فى أحد قراراته ما نصه « يؤيد مؤتمر عمران قرار الحـكومة الذى اتخذته ضد الدخيل عبد الرحمن البيضانى من سحب الجنسية اليمنية ، كما يقرر المؤتمر ادانته وكل من يتعاون معه بأى شكل من الاشكال بالخيانة العظمى للشعب اليمنى » (١٠)

واذا كان السلال قد اعاد للبيضانى جنسيته واعتبـاره فى خريف ١٩٦٦ ، فأن جزاء البيضانى له هو انه غدا اليوم شـغله الشاغل ، فأخذ ينال منه ويتهجم عليه ، كما ينال ويتهجم – وحتى بأسلوب الدس والمكيدة والوقيعة – على كل عناصر المعارضة وكـل القوى الثورية ، ولا سيما تلك التى تعيش لاجئة سياسـية فى القاهرة ، وذلك خدمة منه للقوى المتخلفة فى اليمن وخارجها وللقوى المشائخية والكومبرادورية الذين كان قد أيد انقلابهم الرجعي والمشئوم فى ٥ نوفمبر ١٩٦٧ ، وظل ممثـلا « خفيـا » لهـم فى الخـارج ، حتى عندما كان يقوم بدور « تمثيلى » فى المعارضة بقصد الاطـلاع على نشاطاتها ، وهو الدور الذى ما ان انكشف حتى اسرع البيضـانى عائدا الى موقعه الطبيعى والطبقى ، فأرتمى او ترامى علنا وامام الملأ فى احضان قوى التخلف والردة وقبض الثمن جزاء كل خـدماته

السابقة واصبح وكيلها المعتمد ومخلبها الممتد الذى تنشبه فى ظهور القوى الوطنية الشريفة ، مقابل أجرتافه ليس هو فى حاجة اليه ، وهو يعيش فى بحبوحة من النعيم ، يحسده عليها احفاد اسرة محمد على الكبير ! .

---

(١) قصة الثورة اليمنية ، عدن ،محمد على لقمان،فاورق محمد نعمان ،ص٤٨

(٢) مخبر صحفى وراء احداث ١٠ثورات ، موسى صبرى ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ٤٨٨ .

(٣) قصة الثورة اليمنية ، ص ٤٨

(٤) المصدر السابق ، ص ٤٥ .

(٥) مجلة الطليعة القاهريةأغسطس ١٩٧٢ ، ص ١٣٥

(٦) موسى صبرى ، المصدرالسابق ، ص ٤٥٦

(٧) المصدر السابق ، ص ٤٥٩ ـ ٤٦٠

(٨) لقمان ، المصدر السابق ،ص ٤٨

(٩ (لقمان المصدر السابق ، ص٤٥

(١٠) الجمهورية ، تعز،١٩٦٣١٢/١١

هكذا تحـــدث عبد الناصر فى اليمن

ليست هناك ثورة عربية دللت ببراهين مضمخة بالدماء على أن ثورة ٢٣ يوليو هى الثورة القومية الام الرائد والقائدة والحاضـنة والمدافعة عن كل وليد ثورى عربى كالثورة اليمنية بحديها ـ ثورة ٢٦ سبتمبر ، وثورة ١٤ اكتوبر ـ لكأن قادة الثورة فى مصر عندما دفعوا بجيش العروبة عبر البحر الاحمرلافتداء اليمن وثورتها أرادوا أن يقولوا لليمن التي كانت ذات يوم « أمل العروبة وحضنها الخصب والدافىء» الذى تدفقت منهأمواجهاالبشرية الهائلة : هؤلاء همأحفادك يرودونك من مصب ومنبع العروبة الجديد ، هؤلاء هم أحفاد جيش الفتح العربى الميمون الذى جاء الى مصر ، وأنهى ـ بالتضـــامن مع اهلها ـ حكم الرومان ، قد عادوا اليوم ـوقد غدوا الآباء لكلالعربـ ليروا بام العين «وطن الاجداد» ولينهوا ـ بالتضامن مع أهله ـ الحكم المزدوج الاستبدادى ـ الاستعمارى المطبق عليه فى مثل الكماشة من شـمال البلاد وجنوبها ، وجاءوا ليعلنوا للعالم كله من عاصـمته «العربية السعيدة» صنعاء ميلاد حركة القومية العربية المعاصرة فى شكل تظاهره ثورية خطيرة ومهيبة وفى معمعان الصدام مع كل قوى الامبريالية والظلام المخيمة على أرض الجزيرة !

وليس ذلك هو «السر التاريخى» الذى ألهم وحرك قائد الثورة العربية وصحبه نحو الاندفاع الى اليمن ؟! « لقد كان اليمن دائما منذ قامت الدعوة الاسلامية رافعا رسالة الاسلام والحرية فى كل مكان ، لم يكن هذا فى اليمن فقط ، ولكنه تعدى اليمن الى كل العالم »وحتى فى بطون آسيا الوسطى كنت «ألمس ذلك بنفسى فى كـــل بلد من بلدان آسيا ، كنت أسأل ، فكانوايقولون لى انهم أهل اليمن » !هكذا تحدث الرائد العربى فى العصر الحديث عبد الناصر عن أبناء جلدته واليهم فى اليمن ، عندما زارها فى بريل عام ١٩٦٤ ،ليطمئن الى أن اليمن قد خرجت مرة أخرى ـ ضمن موكب التحرير العربىالواسع

الذى أسهمت ـ قبل ذلك ـ فى صنع حضارته ، وبناء مجده ، لتؤدى من جديد رسالتها ودورها فيه !

وكان واضحا لرواد القومية العربية الجدد فى مصر أن تحرر أي بلد عربي يشكل وثبة وطنية حاسمة في اتجاه التحرر القومي الشامل ـ بما فى ذلك تحرير فلسطين ـ وأن ثورة اليمن التى اندلعت فى الركن الجنوبى الاستراتيجى الهام من جزيرة العرب هى منطلق جديد وأكيد لحركة التحرر الوطنى كلها • اريد أن «اقول ان تحرير اليمن هو خطوة فى طريق التخلص من الصهيونية » ولذلك فاننا هنا فى هذا الميدان النضالى الذى تشتبك فيه قوى القومية العربية مع أعدائها « نشعر بالفخر ، ونشعر بالعزة ، ونشعر أننا نؤدى واجبنا» • ويزداد فخرنا واعتزازنا «بعد أن تتحرر جمهورية اليمن من الرجعية ، ومن النفوذ لاجنبي ،وتسير نحو التقدم ،ونشعر نحن الشعب العربي أن احنا كسبنا من جانبنا خمسة مليون يمنى متحررين حرية كاملة ، يمثلون قوة في طريقنا الى التقدم ، ويمثلون درع ضد الاستعمار ، وضد أعداء الامة العربية •» وهكذا كانت أيضا اولى كلمات نطق بها عبد الناصر عن ثورة ٢٦ سبتمبر فى خطابه الذى القاه فى عيد النصر فى ١٩٦٢/١٢/٢٣ فى مصر •

وخلال نفس الزيارة التى قام بها فى ابريل ١٩٦٤ الى اليمن وجه البطل القومى انذارا حاسما الى جيش الاحتلال البريطانى بالرحيل ألفورى عن جنوب البلاد ، وترك اليمن لأهلها ولمستقبلها «لقد اغتصبت بريطانيا عدن منكم ، واغتصبت بريطانيا الجنوب المحتل من اليمن ، بالقوة والخديعة ، وبالتآمر ، وبالمساومات مع الأئمة السابقين ، ولكن بريطانيا تعلم علم اليقين ان الامة اليمنية اذا تحررت ، وأن الشعب اليمنى الثائر اذا نفض عن نفسه لباس الذل والهوان بطرده للأئمة والخونة ، ان الشعب اليمنى القوى لن يمكن بريطانيا التي يقولون عليها العظمى بأن تبقى فى عدن ، وأن تبقى فى الاجزاء المغتصبة من الجنوب •• أن الشعب اليمنى الذى ذاق طعم الحرية والذى ذاق طعم الثورة لن يتخلى عن أخوة له فى عدن يذوقون طعم الذل ، وطعم الاستعمار البريطانى » • ومن جانبنا نحن فاننا بجانبكم فى المعركة ، بل «ان الامة العربية كلها تؤيد عدن ، وتؤيد الجنوب المحتل من أجل الحرية» ولن نبرح اليمن حتى يتحقق ذلك ، ولن نستجيب لأحلام وأمانى الاستعمار البريطانى الذى يركز دعايته من اجل اضطرارنا للانسحاب من اليمن ، فليس على أرض

اليمن من دخيل أجنبي غير جند الاحتلال الانجليزى ، وهم الذين عليهم أن يغادروا البلاد ، أما نحن فاننا «نقول لهم ، اننا هنا شعب واحد ، لا فرق بين يمني ، ولا مصرى ، اننا أمة عربية واحدة ، أراد لنا الاستعمار التفرقة ، وخلق الاستعمار الحدود بيننا ، أراد لنا الاستعمار أن يضرب بنا الآخر ، أراد الاستعمار أن يفرق الصفوف ، وأن يفرق بين الاهداف ، لكننا اليوم نشعر بقوتنا ، نشعر بأننا نستطيع ان نهزم الدول الكبرى» .

وفعلا فقد هزم الاستعمار القديم والجديد فى ساحة اليمن ، ورغم ضربة يونيو الصهيونيةالاستعمارية الغادرة التى كانمنأهدافها وقف المد الثورى العربى الكاسح الذى كان قد بلغ جنوب الجزيره العربية ، وارغامه على الانحسار والتقهقر ، ووضع قاعدة الثورة العربية الباسلة فى القاهرة تحت الحصار المباشر والكامل،فقد تحققت رسالة ثورة ٢٣ يوليو فى اليمن ، وصدقت عزيمة وكلمة عبدالناصر، فما انسحب جيش التحرير المصرى من اليمن ، الا بعد ان تم تأمين « وجود » جمهورية ٢٦ سبتمبر ، وضمان انسحاب جيش الاحتلال البريطانى من جنوب اليمن الى غير رجعة !

ولم تكن مهمة ثورة ٢٣ يوليو فى اليمن مقصورة علىالمساعدة فى انهاء النظام الأمامى الكهنوتى ، ودحر قوى الاستعمار البريطانى عن الأجزاء اليمنية «المغتصبة» ـ كما كان يقول عبد الناصر دائما ـ وتوفير الظروف الموضوعية والصحية المواتية لاستعادة اليمن وحدتها الطبيعية التى عرفت بها عبر التاريخ كله ، وانما أيضا من اجل مد ونشر لواء الوحدة العربية فى اتجاه المشرق العربى كله ، وكما يقول خليفة عبد الناصر فى خطابه بمناسبة الذكرى ٢١ لثورة ٢٣ يوليو فانه «عندما بذلت دماء المصريين لمساندة ثوار التحرير فى اليمن، لم تكن فى الواقع لتعمل وتناضل الا فىسبيل الوحدة ، ذلك أنالوحدة لايمكن أن تتم الا بين الاحرار فى تقرير مصيرهم ، والاحرار فى فرض ارادتهم ، والاحرار فى استغلال مصادر قوتهم ، وثرواتهم ، لخيرهم ، ولخير الانسانية جمعاء» .

وبعد أن غدت هناك حكومتان يمنيتان فى صنعاء ، وعدن ، وشجر بينهما نزاع طبيعى ومفترض ، كما كان يحدث دائما ـ اذا مااستثنينا البعد الاجتماعى فى الصراع ـ عبر التاريخ اليمنى بين الدويلات اليمنية التى كان يسعى أقواها الى محاولة وضع اليمن كله

تحت ادارته المركزية ، فان قاهرة الاستعمار - بروح من الحرص على البلد الذى تركت فيه أغلا وأعز التضحيات - لم تكف عن بذل مساعيها الحميدة من أجل حل مثل هذه النزاعات الاهلية بروح من «الاخوة» التي يمليها الانتماء الى نفس الوطن ، ولم تتراجع عن أن تساعد ليس فقط فى ايقاف الحرب الاهلية التى كانت قد اندلعت شرارتها في خريف ١٩٧٢ ، وانما أيضا فى عقد «اتفاقية القاهرة» المعروفة التى وضع بها حجر الاساس لاعادة تحقيق وحدة اليمن «سلميا» .

وعندما تعرضت «اتفاقية الوحدة» للمصاعب والهزات ،وتكررت أعمال الاشتباكات المحدودة ، وحوادث الاعدام للمعزوة اليهم فى شمال البلاد ، وأخذ الموقف يتوتر ويلتهب ، مهددا باندلاع صراع حربى جديد ، ولا سيما بعد مصرع الشيخ محمد على عثمان عضو المجلس الجمهورى بأيد مجهولة حتى الآن - فان القاهرة سارعت الى مضاعفة جهودها من اجل الحيلولة دون تصعيد الخلاف داعية الطرفين الى الاحتكام الى روح المواطنة اليمنية ، ان آخر جهد سياسى ظاهر فى هذا الاتجاه هى تلك الرسالة التى وجهها الرئيس أنور السادات الى رئيس مجلس الرئاسة فى عدن سالم ربيع علي والتى سلمت اليه فى ٢١/٧/١٩٧٣ ، وتلك الرسالة الموجهة من قبله والمسلمة الى رئيس المجلس الجمهورى فى صنعاء القاضى عبد الرحمن الايريانى فى ٢٤/٧/١٩٧٣ .

ومن كلمات الرسالة الاخيرة بالذات يتضح بقوة وجلاء مدى حرص «الشقيقة الكبرى» على تجنيب اليمن ويلات حرب أهلية دامية ومدمرة لايستفيد منها سوى الاجنبى ، ومنها يبرز سعيها الحثيث من أجل اقناع الاخوة اليمنيين بحل مشاكلهم الداخلية بالاسلوب السلمى ، حتى تفوت الفرصة على التدخل الخارجي المتربص ، وفى هذه الرسالة أعرب الرئيس السادات «عن أمله فى أن يتحقق السلام بين أبناء الشعب الواحد ، وأكد أن مصر لن تدخر جهدا فى سبيل تحقيق هذا الهدف» وأكثر من ذلك فان الرئيس العربى حدد مجددا الموقع البارز والهام الذى تحتله اليمن من تفكيره ، وفى سياسة مصر العربية ، وأظهر المشاعر القومية القوية التى تتابع بها عاصمة العرب مجريات الامور فى هذا البلد الذى شهد أروع ملاحمها النضالية ، والذى يحتفظ لها بأعظم الذكريات والمواقف البطولية الحية والباقية،

حيث أكد الرئيس السادات في رسالته الخطية الى الارياني «متابعته واهتمامه عن قرب بتطور لاحداث بين شطرى اليمن » كما شدد على القول بأن «الهدف الرئيسي للقوى المعادية لشعوب الامة العربية هو استدارجها لمعارك فرعيــة ، لاستنزاف جهودها ، وتحــويل طاقاتها العظيمة للتلاحم فيمابينها ، بدلا من حشدها دفاعا عن مصالحها ٠»
(الاهرام ٢٥/٧/١٩٧٣)

ان هذا القدر الفائق من الاهتمام والعناية الذى تبديه مجددا ثورة ٢٣ يوليو بمسار الثورة والوحــدة اليمنية من شأنه ــ بكــل تأكيد ــ أن يساعد ــ كدور جديد ومجيد من أدوارها ازاء الشعب اليمنى ــ في تجنيب هذا البلد ــ الباحث عن مكانته السياســية بين امته العربية والى جانبها ــ الكثير من المشاكل والمكاره ، وأن يدفعه فى اتجاه حل مشاكله الوطنية والطبيعية بروح من الأخاء الوطنى ، واضعا خلال ذلك كله أمام ناظريه موقف أمتــه العربيــة وموقف قيادتها القومية مصر ، ومثل هذا القدر من الاهتمام بالقضية اليمنية والذى يأتي فى أوانه الصحيح سيكون له مردود ايجابى ومؤكد على مسار الحركة القومية ضد العدو الصهيونى والاستعمارى ، وسيعطى ثماره الخيرة ، حيث سيكفل توسيع جبهة المواجهة العربية ــ من خلال توحيد الموقف الوطنى اليمنى وتوحيد اليمن ــ وجعلها أكثر شمولية، وحيث سيكون فى الامكان انقاذ اليمن من مشاكلها الوطنية الخاصة، وتمزق سياسة الاستيعاب والاحتـــواء لهـــا ، والزج بهـــا ــ باعتبارها تمثل « مؤخـــرة استرانيجيـــة » هامــة ــ فى المعترك القومى الشامل ، وتمكينها من تحمل نصيبها المباشر والفعال فيه ٠

عبد الناصر ووحـــدة اليمن

شهران في الســـــنة لابد ان يدخلا التقويم والتاريخ العربي الحـــديث باعتبارهما معلمين بارزين في حياة العرب المعاصر ، بهما تؤرخ احداث ، وتنتهي حقب ، وتبدأ حقب ، وهما يوليو وسبتمبر ، ففي الاول تفجرت ثورة ٢٣ يوليو الرائدة التي فتح بها عهد الثورات العربية الوطنيـــة التحررية ، وبها ارتفع لواء القوميـــة والوحـــدة العربية ، وفيه اندلعت ثورة ١٤ تموز في العراق التي اسقطت حلف بغداد ، ونقلت هذا الركن الركين من الوطن العربي الى معمعة النضال العربي الشامل ، وفي الشهر الاخر انطلقت ثورة ٢٦ ســبتمبر في اليمن التي صحت بها الجزيرة العربية كلها من سباتها الطويل والتي كانت ثورة ١٤ اكتوبر في جنوب اليمن امتدادا لها ، والتي كانت في الواقع صـــــيحة الثورة العربية كلها في آذان التاريخ وفي وجـه الاستعمار وعملائه ، وادواته في كل مكان من الوطن العربي ، وفيه انتفض الشعب الليبي بثورة الفاتح من سبتمبر التي اعادت النبض والحيوية في جسم الثورة العربية المثخن بالجراح من آثار طعنـــات عدوان ١٩٦٧ الصهيوني ـ الاستعماري الغادر ، وفي ٢٨ منه رحـل قائد المسيرة الثورية والقومية المجيدة والحديثة جمال عبد الناصر ، بعد ان شاد صرحا من النضـــال لا يهد ، وجيلا من الثوار لا يعد ، وعزيمة مضاء ثوري لا راد لها .

واذا كانت وفاة المناضل والزعيم القومي العظيم قد جاءت في واحد من الشهور التي اقترنت بأمجد انتصاراته وانتصـارات أمته العربية فانه ليس هناك أجل واروع في لحظات الاشـــــادة بذكراه العاطرة من ان نسمع كلماته الخالدة في تقييم الابعاد القومية لذلك الحدث الثوري الذي ارتعش به جنوب الجزيرة العربية في صــــبيحة سبتمبر عام ١٩٦٢ « اسرائيل الســـنة اللى فاتت كلنا نذكر كانت عاملة افراح بعد الانفصــال ، الكماشة اللى كانت معمولة عليها من

الجنوب والشمال انتهت ٠٠ الوحدة العربية الل هى عدوها الاساسى راحت ، القومية العربية اتفككت ٠

النهارده اسرائيل بعد ثورة اليمن فى حالة عصبية ، اسرائيل بتشعر بان التقدمية والعدالة الاجتماعية والكفاية والعدل هى اسلحة للمعركة ضدها ٠

الاستعمار السنة الل فاتت بعد الانفصـــــال قالوا خلاص دا جمال عبد الناصر انتهى ، والجمهورية العربية انتهت ، وفكرةالقومية العربية انتهت ، والثورة العـربية انتهت ، واللى كان يقرأ جرائد انجلترا السنة اللى فاتت يعنى ، كان يشعر بالغيظ ، ناس فرحانين فينا ، موقفهم كان واضح ، النهارده موقفهم ايه ؟ بعد ثورة اليمن برضه كانت حالتهم عصبية خايفين على مصالحهم خايفين على البترول ، خايفين على مســـــتعمراتهم ، مســــتعمراتهم فى الجزيرة العربية ، مســتعمراتهم فى عدن ، مســتعمراتهم فى الجنوب العربى المزيف ٠ عارفين ان الاستعمار لابد ان يلفظ انفاســه ، عدن لابد ان تتحرر ٠ الجنوب لابد ان يتخلص من الاستعمار، وكونهم يعملوا وسطه الجنوب العربى لا يمكن لعربى انه يقبلها لانه عارف ان السلاطين تحت حماية بريطانيا ٠ كل عربى عارف ان هناك اســـتعمار فى جنوب الجزيرة العربية لابد انّ ينتهى ٠ لابد ان تعود الارض الى اصحابها ، بيحارب الحركات التحررية بيحبس زعماءها ، ولكن هل يستطيع هذا ان يغير التطور الحتمى للتاريخ ٠٠ ابدا لابد للارض العربية ان تتحرر ٠ »
هكذا تحدث عبد الناصر فى ذكرى عيد النصر فى ٢٣ / ١٢ / ١٩٦٢ ويضـــــيف عبد الناصر فى خطاب أول مايو ١٩٦٤ : « قامت ثورة اليمن ، وكان لابد لثورة اليمن من ان تطالب بخروج بريطانيـا من عدن والجنوب المحتل ، كانت زيارتى لليمن عبارة عن تعبير عن وحدة الثورة العربية » التى « يجب ان تسير فى طريق الوحدة » ٠

ولم يرحل عبد الناصر قبل ان يرى بأم العين رحيل الاستعمار البريطانى من جنوب اليمن ، ونهاية اتحاد الجنوب العربى المزيف ، وقيام جمهورية وطنية متحررة مكانه موضـــوعة امامها اليوم مهمة تاريخية عاجلة وملحة هى انجاز وحدتها مع الوطن « الام » فى شمال البلاد الذى لم تستطع كذلك كل قوى الاســـتعمار وعملائه تنكيس علم جمهوريته التى وقد ارتوت بأغزر وانبل الدماء اليمنية والعربية، وقد ضربت بجذورها فى باطن الارض اليمنية والعربية ــ صعب على

الامبريالية وزبانيتها اقتلاعها ، والتطويح بها ٠

لقد كان عبد الناصر يقول : « معركة اليمن معركتنا ، ثورة اليمن ثورتنا » وكان يقول « ان تحرير اليمن هو خطـــوة فى طريق التخلص من الصهيونية » فوق انه خروج من دائرة « النفوذ الاجنبى» والتحكم السلاطيني ــ الامامى الاقطاعى ، وكان يرى ان هناك يمنـا واحدا جزأته المصالح الاستعمارية ، وقد عبر عن ذلك بوضوح فى خطابه فى صنعاء فى ٢٥ / ٤ / ١٩٦٤ « أهل حضرموت ، وحضرموت كانت دائما جزءا من اليمن ٠٠ وكانت عدن جزءا لا تتجزأ من اليمن » وقد استغلت قوى الاســـتعمار البريطاني تخلف البلاد « واحتلت عدن ، ثم بدأت تزحف لتحتل من اليمن شـبرا شـبرا » وكما كان يكرر القول فى اليمن ذاتها ــ وكما جاء فى خطاب ٢٦ / ٤ / ١٩٦٤ فى تعز ــ بأننا « هنا شـعب واحـد ، لا فرق بين يمنى ولا مصرى ، اننا امة عربية واحدة اراد لنا الاستعمار التفرقة ، وخلق الاستعمار الحدود بيننا » ٠

لقد رحل جيش عبد الناصر من اليمن ، ورحل هو نفســه الى حياة اخرى خالدة ، ولكن مهمته القومية والثورية فى اليمن استمرت من بعده ، وكل الخطوات والاتفاقات التى انجزت بين شطرى اليمن وفى اتجاه اعادة وحدتهـــا لم تتم بمعزل عن ثورة ٢٣ يوليو ، وعن دور قادتها فيها ٠ فمن اتفاقية الوحدة التى ابرمت فى ٢٨/١٠/٧٢ الى بيـان طرابلس فى ٢٨ / ١١ / ١٩٧٢ ، الى بيـان الجزائر الذى اذيع فى ٤ / ٩ / ١٩٧٣ كانت مصر من خلال جهود رئيســها أنور السادات تلعب اكثر من دور الوسيط ، حيث كانت ممثلة تمثيلا حيا وقويا ، ومسهمة اســـــهاما ايجابيا وفعالا فى انجاز هذه الخطوات والاتفاقات التى ينبغى لها ان تقود فى اخر الامر ــ وعبر مشـــاركة ووحدة الحركة الوطنية اليمنية ذاتها ، ودفع الثـــورة اليمنية الذى لايتوقف ــ الى ضرب سياسة استيعاب شمال اليمن واحتواء جنوبه والى اقامة صرح جمهـورية اليمن المركــزية الموحـــدة الوطنيــــة الديمقراطية التى ستشكل ركنا اخر من اركان بناء الوحدة العربية الشـــاملة ٠

عبد الناصر وكسر الحلقة الضعيفة فى اليمن

لم يكثر الجدل حول ثورة عربية ، كما كثر حول مدى أصالة ثورة ٢٦ سبتمبر فى اليمن ، ولم يستمر حول قضية ، كما استمر

حول قضية مدى جدوى الدور الذى اسهمت به ثورة ٢٣ يوليو فى تفجير ومساندة هذه الثورة •

ولقد بلغ الجدل احيانا حد انحكم على حركة ٢٦ سبتمبر بأنها لا تعدو أن نكون ـ فى أحسن الاحوال ـ انقلابا عســكريا ، دبرته من أعلى ـ وبايعاز من الخارج ـ مجموعة محدودة من الضباط التى ـ نظرا لفقدان جيش وطنى حديث تعتمد عليه ـ لم تجد غير القاهرة ، او لم تجد القاهرة غيرها ، للقيام بهذا الانقلاب ، نتغيير « شــكل » الحكم من ملكى الى جمهورى ، دون أن يمس مثل هذا التغيير حياة الناس مسا حقيقيا •

ويزكى البعض رايه فى تأكيد أن الامر ليس اكثر من انقلاب عسكرى ضد الاسرة المالكة ، واعوانها البارزين ، بالقول بأن الذين خلفوا هذه « الاسر الاقطاعية » المترئة المستهلكة ، هم مجموعة اخرى من « الاسر الاقطاعية » الاكثر قوة وحيوية ، وأن النظام الاقتصادى والاجتماعى بطابعه القبلى ـ الاقطاعى لم يتغير ، بل ازدادت قاعدته الاقتصادية اتساعا ، وان العلاقات الانتاجيــة الاقطاعية ، وأواصر العصبية القبلية لم تنتعش وتزدهر ، كما انتعشت وازدهرت بعد قيام هذه الحركة ، وان النتيجة الوحيدة لها هو سقوط حكم « الملك الاقطاعى » وقيام دولة اقطاعية ـ قبلية « مفككة العرى » مكانها ، مكونة من مقاطعات اقطاعية ، يحكم كلا منها اميرها او سلطادهــا الاقطاعى الجديد ، الذى لايدين للعاصمة صنعاء بأى ولاء ـ كما كان الحال مثلا بالنسبة للشيخ الاقطاعى الجديد الكبير ناجى بن عـلى الغادر الذى كانت منطقته « خولان » التى لاتبعد عن العاصــمة الا قليلا لا تعترف بحكام صنعاء ، ولا يملك هؤلاء ازاءها قليلا ولا كثيرا، وكما هو الحال بالنسبة لمقاطعات أخرى ، لا تســتطيع الحكومة أن تمس مشائخها الاقطاعيين كابن الاحمر حتى لو رغبت فى ذلك ، وكما هو الامر بالنسبة لمناطق أخرى لاتقــدم حتى « الزكاة » للدولة « كرمز » لولائها لها •

ويصل البعض فى الاستنتاج الى حد الحكم بان الحملة المصرية الى اليمن ليست سوى « مغامرة ناصرية عقيمة » لاتختلف الا قليلا عن الحملة المصرية التى ارسلها محمد على الى هناك فى الربع الثانى من القرن التاسع عشر ، حيث عادت كلتا الحملتين الى بلادهما دون أن تخلف أثرا يذكر ، عدا أوضاع اقطاعية ـ قبلية تسودها الفوضى، [illegible] الى اليأس !

بل أن البعض يرى أن ذهاب الجيش المصرى الى اليمن لم يكن غير عملية استدراج استعمارية لمصر ، للغوص فى متـاهة مجهولة المعالم ، مغبرة الانحاء ، حالكة الافق ، وللوقوع فى فخ اقطاعى ـ قبلى ـ استعمارى ، لاتخرج منه أى حملة ترسل الى هناك ـ حتى ولو كانت لمجرد الاستكشاف ـ الا مهيضة الجناح ، مستنزفة القـوى مثلومة الكرامة ، خائبة الرجاء ، فاقده الامل ، وان ذلك هو الدرس الذى وعاه الاستعمار الغربى واستخلصه من معاناة الاحتلال التركى فى هذه البلاد ، حيث كانت اليمن دون غيرها من الاقطار العربيـة « مقبرة للاتراك » ، واذا كان قد عز قبر عبد الناصر وجيشه ، ودعوته القومية فى مصر ، أو فى أى بلد عربى ، فان اليمن هى المكان التاريخى الملائم ـ كما تدل على ذلك الشواهد المادية ، وكل الدراســات التاريخية ـ التى بالامكان قبر هيبته ودعوته فيها بنجاح ، بل وقبر مستقبل حركته القومية الناصرية الثورية !

ويصل هذا البعض فى التخريج والتحليل الى القول بأن ذلك هو ما حدث بالفعل ، حيث لم يبق أمام اسرائيل الا أن توجه الضربة الاخيرة لذلك البناء العسكرى ، والاقتصادى ، والسياسى الناصرى الذى كان قد تآكل وامتص ، واستهلك فى اليمن ، وأثبت ـ بعـد تخبطه السياسى ، واستنزافه العسكرى ، وتبديده الاموال الطائلة هنك ، واحباطه النفسى ـ انه قد فشل ليس فقط فى اســلوب « تصدير الثورات الناصرية » وافتعال الانقلابات المحلية الفجة ، وفى امكانية حمايتها وتطويرها ، وانما أيضا فى امكانية الحفاظ على كيان وتوازن مصر نفسها ، وامكانية تقـدم عجلة التنميــة بها ، واستقرار الاوضاع السياسية فيها ، حيث ادت « حرب اليمن » الى اختلال فى سير الامور الاقتصادية ، والمالية ، والعسكرية والسياسية « داخل » مصر ، والى نشوء محاور متصارعة ، ومراكز قوى مختلفة ، والى فساد ادارى ، والى غير ذلك من المشاكل التى ليس أهونها تعثر حل مشاكل المواطنين الداخلية والملحة ، وتلكؤ عمليــة البناء فى البـلاد .

وفى الرد على مثل هذه الحجج وغيرها مما لم يذكر هنا ـ والتى يبدو كثير منها وجيها ـ يتعين علينا أن نسرد الحجج المضادة لها ، والكفيلة بتوضيح جلية الامر ، فى نقاط محددة ومرقمة .

١ ـ ان حدث ٢٦ سبتمبر فى صنعاء جاء فى وقت كانت مصر واقعة فيه تحت الحصار المباشر ، سواء من قبل القوى الاستعمارية

والرجعية ، أو من الانظمة الوطنية العربيـــة كالعراق مثلا ، حيث تمثل ذلك بصورة خاصة في نكسة الانفصال ، ومؤتمر شــتورا ، وتجميد مصر لنشاطها فى الجامعة العربية ، التى أظهرت فيها حينئذ فى مثل وضع اليتيم ، بدون صوت واحد يسندها ، أو حتى يجاملها، حتى بدا واضحا أن المراد ليس فقط عزل مصر عن أحـداث المشرق العربى ، وافقادها دعوى التحدث ـ من موقع القيادة القومية ـ عن مشاكله ، وتعبئة الجماهير العربية خلفها لمواجهة هذه المشـــاكل ، وانما أيضا قطع لسانها العربى من اساسه ، والحكم عليها بانتماء أخر غير انتمائها العربى ، ومواصله الضغط عليها من كل اتجاه ، حتى تنفجر كالبالونه من الداخل ، ويقوم حكم يمينى خانع ، يتولى محاكمة التجربة الناصرية ، ويدين مسارها القومى ، ويوجه سياسة مصر ـ انطلاقا من القومية الفرعونية المزعومة ـ صوب « سياسة البحر الاحمر » ، وفى اتجاه الغرب !

وكاد رد عبد الناصر الجرىء والعبقرى ، والمتسق مع الوضع الطبيعى للاشياء ، ومع الحقيقة التاريخية العميقة والمتأصـــلة فى الوجدان القومى والشعبى العربى ، ومع اتجاه حركة التحرر الوطنى والقومى والتحدى الثورى ، هو الانغماس فى مشاكل الوطن العربى، وكسر الاطواق الاستعمارية من حول مصر ، وخوض البحار الخطرة ، واجتياز السهول والجبال النائية ، وصولا الى الجماهير العربية التى أرادوا عزل عبد لناصر وثورة ٢٣ يوليو عنها ، ومشاركة لها فى آلامها ، ومعاناة معها فى حمل أثقـــالها ، وتحملا لمســـئولية مصر التاريخية ، والحضارية ، والقومية ، والقيادية ازاءها ، بالتصـــدى للجبهة الرجعية الاستعمارية ، ابتداء بكسر أضـــــعف حلقاتها فى اليمن ، ـ مرورا بمواجهة الاستعمار البريطانى فى عدن ـ وانتهاء بالاشتباك المباشر مع أقوى واخطر القوى الاستعمارية والرجعية على امتداد المشرق العربى ٠

٢ ـ ان حدث ٢٦ سبتمبر بدأ انقلابا عسكريا من أعلى ، شأن الكثير من الثورات العربية التى بدأت فى شكل انقلابات عسكرية ٠ ولكن الشرارة التى انطلقت فى هذا اليـــوم سرعان ما تحـولت الى حريق ثورى عظيم ، اشتعلت به اليمن كلها ، كما لم يحدث مع أى ثورة عربية أخرى ـ باستثناء ثورة تموز فى العراق ـ حيث انخرطت الجماهير اليمنية ـ وخاصة فى المدن ـ ابتداء من مستعمرة التاج فى عدن ، حتى أعتى حصون الائمة فى صـــعده ـ فى خضم الكفاح

الوطني المسلح لدحر جحافل قوى القبلية،والاقطاع والرجعيةالعربية، والاستعمار القديم والجديد عن أن تئد هذا الوليد الثوري الخطير الذي انبثق من حيث لا تحتسب كل هذه القوى ، وحيث اندفعت لدعمه وحمايته قاعدة الثورة العربية في القاهرة ، وكل التقدميين في لعالم ، وعلى رأسهم الاتحاد السوفيتي الذي لم يفته المغـــزى الثوري ، الوطني والقومي لهذه الحركة المباركة والفريدة ، التي جاءت ــ بحق ــ في مثل نداء جديد بالبشري تجود به جزيرة العرب من جديد ، وصيحة قوية عظمى تنذر طغاة القرون الوسطى بنفس المآل وبنفس المصير .

٣ ــ ان حركة ٢٦ سبتمبر اسقطت حصنا اقطاعيا عتيـــدا وعريقا ، كان يقوم على الحق الالهي المطلق في الحكم ، وعلى مذهبيه كهنوتية طائفية عريقة ، شديدة التخلف والتحجر ، ممثلة في النظام الاقطاعي ــ القبـــلي ــ الامامي ، الذي عجزت حتى كل التمـــردات الداخلية ــ المعززة من دوائر الاستعمار البريطاني في عدن ــ والتي قامت بها الاجنحة الاقطاعية ــ القبلية المعارضة له عن اسقاطه ، وما كان أحد يتوقع أو حتى يحلم أن يتم اقتلاعه أو تهديمـــه ــ نظرا للوضع الجنيني الذي كانت ما تزال تعيشه البورجوازية وغيرها من الفئات الوسطى ، وللظروف غير المواتية المحيطة به ــ بدون ضربة قوية يشترك في تسديدها الجسم العربي كله ، بكل طاقته العملاقة، وبكل قبضته الحديدية ، وبدون حماية كاملة من الثورة العربية !

٤ ــ ان البديل للحكم الامامي ــ الاقطاعي ــ الكهنوتي المسقط كان اقامة جمهورية وطنية تقدمية لأول مرة في تاريخ جزيرة العرب، جمهورية لم تصنعها القوى العشائرية والاقطاعية التي كان جـــزء منها في المعارضة للنظام المباد ، وانما صنعتها كل القوى الوطنية والشـــعبية النامية في اليمن ، انطلاقا من البورجوازية الصـــغيرة والمتوسطة ، الى جمـــاهير المدينة ، بمثقفيها ، وعمالها ، وطلابها ، وصغار موظفيها ، الى جماهير الفلاحين التي انخـــرطت في الحرس الوطني ، وضمن الجيش الحديث الذي انشأته ودربته مصر ، وسلحه الاتحاد السوفيتي ، والذي غدا أهم أعمدة وضمانات بقاء الجمهورية ، وأخطر اسلحتها الدفاعية ، والوطنية الفتـــاكة ، حتى بعد خروج الجيش المصري من اليمن ، وحتى الساعة ، وهو ما برهنت عليه كل الاحداث التي تعرضت لها الثورة بدأ من حصار السبعين يوما عام ١٩٦٧ ــ ١٩٦٨ ، حتى « الحصار السياسي » القائم والمســـتمر حول اليمن !

٥ ــ ان كل الاخطاء التى اقترفت ، وكل السلبيات التى حدثت ، وكل التضحيات التى بذلت ، وكل الاموال التى انفقت ، قد تمت أثناء غرس وحماية واحة خضراء فى قلب صحراء جزيرة العرب المجدبة ، وانها كلها اذاما قيست بذلك المنجز التاريخى العظيم ، المتمثل فى انتزاع شعب اليمن من براثن حكم اقطاعى ، جامد ، متوحش ، جهول ، ووضعه على طريق التحرر والتطور ، لما كانت سوى فى وزن حبة الخردل الصغيرة بالنسبة لوزن جبل مهيب !!

٦ ــ انه اذا كان التركيب الاقتصادى ــ الاجتماعى لم يتغير بقيام هذه الثورة ، فان التركيب السياسى تغير بها بالفعل ، وكان ذلك هو المدخل الطبيعى ــ شان كل ثورة وطنية ــ لتغيير البنية الاجتماعية ، خلال مسيرة الثورة . ويكفى القول انه فى ظل خمس سنوات من الحكم الوطنى تغيرت أشياء كثيرة ، وتغير الانسان اليمنى ذاته ، من حيث مستوى الوعى ، ووجدت مؤسسات حكومية ، وجماهيرية ــ كاتحاد العمال مثلا ــ ونمت البرجوازية اليمنية ــ كما نما الاقطاع أيضا ، وذلك هو الجانب السلبى ــ وأنه بفضل ذلك كله لم تتمكن كل قوى الردة ، والتخلف الداخلية والخارجية ــ رغم المواقع المهيمنة التى احتلتها ــ أن تقضى على هذه القوى ، أو تغير هذه الأوضاع ، او تنهى وجود النظام الجمهورى ، أو تستأصل « روح » الثورة !

وهل من شهادة أقوى فى هذا المجال مما قاله أحد خصوم الثورة البارزين ــ أحمد محمد الشامى ، وزير خارجية النظام الملكى المقبور ، الذى غدا ــ لفترة محددة قبل أن يصبح سفيرا فى لندن ــ عضوا فى المجلس الجمهورى ــ بعد ابرام الصلح مع الجانب الملكى فى مارس عام ١٩٧٠ ــ حيث لم يملك الا أن يعترف بهذه الحقيقة الشامخة ، وقد شاهد بأم العين التغير الكبير الذى طرأ على معالم البلاد ، ويقول: « لقد تركت اليمن قرية مهجورة ، فعدت اليها بعد أن أصبحت دولة كاملة ولاشك أن الدور الذى قامت به الجمهورية العربية المتحدة فى هذا المجال لن يمحى ولن ينسى ، بل سيظل على الدوام علامة مشرفة لما قدمته الشقيقة الكبرى لليمن » (الجمهورية القاهرة ١٩٧٠/٦/١١) .

٧ ــ ان المقاومة الضارية الداخلية والخارجية التى واجهت

ثورة ٢٦ سبتمبر شهادة لها ، وليس عليها،ودلالة على مدى أصالتها وخطورتها على مصالح الاستعمار والرجعية فى المنطقة التى نشبت فيها ، ومن هنا سر ذلك التكالب الشرس ضدها وضد الوجود المصرى الثورى فى اليمن !

٨ ـ انه بفضل ثورة ٢٦ سبتمبر ، وفضل الوجود المصرى فى أرض الجمهورية التى صنعتها هذه الثورة وبالاستناد الكامل الى أرضها ، وعلى شعبها ، وعونها ، وعلى العون والدعم القومى السخى والقوى من جيش القاهرة هناك ، امكن ان تنشب ثورة ١٤أكتوبر ١٩٦٣ فى جنوب اليمن ضد الاستعمار البريطانى ، وان تكون على ذلك النحو الجاد ، وبذلك الحجم المؤثر ٠ وبرغم كل الخلافات العارضة التى نشأت خلال النضال بين الجبهة القومية التى قادت الحركة الوطنية هناك بنجاح ، وبين الجهاز المصرى فى اليمن فانه لا الجبهة القومية ، ولا غيرها من القوى الوطنية فى طول اليمن وعرضها ينكر انه لولا وجود ثورة ٢٦ سبتمبر ، ووجود مصر ـ بكل ثقلها القومى فى الساحة اليمنية طيلة خمس سنوات من الكفاح ، لما سارت الامور ضد الاستعمار البريطانى بالشكل الذى سارت عليه ، ولما تهدم النظام الامبريالى فى عدن بهذه السرعة ، بينما كان يحلم ـ قبل اشتعال الثورة ضده ـ بعمر سياسى مديد فى جزيرة الاقطاع والقبلية ، والبترول !

وليس هناك ما هو ابلغ دلالة فى هذا الصدد من الاستشهاد بكلمات على ناصر محمد ، رئيس وزراء النظام الوطنى الديمقراطى فى جمهورية اليمن الديمقراطية حين تحدث عن هذا الدور الجليل الذى نهضت به مصر ازاء الثورة اليمنية فى شمال البلاد وجنوبها ، وعن « ذلك الانذار الذى اطلقه الزعيم الخالد عبد الناصر» أثناء زيارته للشطر الشمالى فى عام ١٩٦٤ حين قال ان على بريطانيا ان تحمل عصاها وترحل من الجنوب اليمنى ، حيث اكد ان هذا الانذار لم يذهب ادراج الرياح،بل كان معززا بدعم سياسى وعسكرى فعال لثورة ١٤ أكتوبر بقيادة تنظيمنا السياسى الجبهة القومية ، وهكذا استعاد شعبنا اليمنى كامل حريته ، فى الثلاثين من نوفمبر ١٩٦٧ » ! (جريدة ١٤ أكتوبر العدنية فى ١٩٧١/٩/٢٩) ٠

٩ ـ أما الرد على المنطق القائل بأن مصر استدرجت الى فخ استعمارى فى اليمن ، وانها استنزفت هناك ، وان ذلك كان من

أسباب النكسة التى حلت بها فى يونيو ١٩٦٧ ـ وهو منطق تردده قطاعات من البرجوازية اليمنية والوطنية المصرية ، واوساط قبلية ـ فى اليمن ـ الرد عليه هو أن مصر ـ كمركز ثقل قومى ، ورائدة طبيعية للنضال العربى ـ لم يكن فى مكانها ان تفر من نفسها . ومن دورها المفروض عليها بحتمية تاريخية وسياسية ، وكان لابد لها ـ ولاسيما بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو الفتية والرائدة وظهور زعامتها الوطنيه والقومية الجريئة والمقدامة ـ أن تواجه ما واجهت وأن تتحمل ما تحملت ، باعتبار ذلك ثمنا طبيعيا لا غرابة فيه لدورها الطليعى البارز فى مقدمة حركة التحرر الوطنى ، والتقدم الاجتماعى ، والتوحيد القومى !

ولا حاجة للقول بأن مصر لم تنتكس عسكريا عام ١٩٦٧! بسبب « حرب اليمن » التى ـ كما يقولون ـ استنزفتها واستنزفت جيشها هناك ، وانما انتكست لاسباب « سياسة داخلية » أكثر منها عسكرية ، ولم يكن العدوان الصهيونى ـ الاستعمارى الا الفصل الاخير لمسرحية مأساوية منسوجة ومرتبة سلفا ، كانت تدور عقدتها حول القضاء على الجوهر القومى التقدمى للمسار الناصرى المتمثل فى العمل بهمة ونشاط على ملاحقة النفوذ الاستعمارى فى كل مكان من الارض العربية ، وعلى التصدى للقوى الرجعية المستلقية فى أحضان الاستعمار ـ كما قال عبد الناصر حينئذ ـ وهى مؤامرة كان قد بدأ تنفيذها عام ١٩٦١ بنكسة الانفصال ، وبمحاولة عزل مصر ، وخنقها ، وتفجيرها من الداخل ، وهى نفس المؤامرة التى التف من حولها عبد الناصر ، وتخلص منها ، وقضى عليها بالقفز من فوق الاسوار الخانقة والعازلة ، والاندفاع ـ شأن الفارس المغوار الذى لا يقبل الهزيمة والاسر ـ نحو فتح جبهة جديدة مع الاستعمار والرجعية فى ميدان عربى اخر ، وذلك هو ما صنعه عبد الناصر فى اليمن ، وتلك هى خلاصة قصته مع ثورة ٢٦ سبتمبر ، ومع الثورة اليمنية ككل !

ومع ذلك فان المؤامرة القديمة ـ الجديدة التى عجز الاستعمار عام ١٩٦١ عن أن يقتحم بها حصن الثورة العربية الحصين فى مصر . أراد أن يحققها عام ١٩٦٧ عن طريق اسرائيل ذراعة العسكرى فى المنطقة ـ ولكنه رغم ذلك لم يستطيع الاستيلاء على هذا الحصن ، وان اصابة الشروخ آخذة اليوم فى الالتئام والالتحام ، تهيؤا ليس فقط للقيام بهجوم معاكس عى طول الجبهة الاستعمارية ـ الصهيونية ـ الرجعية ، وانما للقيام بعمليات اقتحام « ناصرية » وثورية جديدة ضد قلاع اقطاعية واوكار اخرى فى المنطقة العربية !

حرب اليمن قمة الصراع بين الثورة والثورة المضادة

منذ خيم العدوان الصهيوني ـ الاستعماري باثارة المظلمة على الارض العربية والنفس العربية ، واتجهت الامة العربية بأبصارها ، واجسادها ، وطاقاتها المعنوية والمادية الى حيث يجثم جيش الاحتلال والغزو ، تبني من نفسها سدا تاريخيا أمامه لوقف زحفه العدواني ، وتجمع وتحشد لملاقاته ودحره وتصحيح مسار التطور على الارض العربية كل ما اختزنه تاريخها من آيات الشجاعة والبطولة والفداء ، وكل ما يمتلكه حاضرها من توثب وتطلع وثورية ، وكل ما يعد به مستقبلها من تقدم وازدهار ومجد ، منـذ خيم هـذا العدوان بظله المقيت على الارض والنفس العربيـة ، تراجعت فجأة ملحمة الحرب الثورية البطولية التى كانت اليمن مسرحا لها ، والتى ظلت متقدة الانوار خمس سنوات بين قوى الثورة اليمنية والعربية من جهة،وبين الرجعية الاقطاعية والاستعمار من جهة أخرى ، والتى بقيت طيلة هذه الفترة مركز الاحداث العربية كلها ، بل وأحد محاور الصراع الرئيسية التى يحتدم فيها القتال وبكل الاسلحة بين قوى الجديد والقديم ، بين الحركة والجمود ، بين الحياة والموت ، بين قوى وطنية يمنيه ، انبعثت كالحمم الهادر الحارق من تحت الارض بعد عمليـة تفاعل عنيفة دامت مئات السنين ، وبين قوى اقطاعيـة اسـتبدادية كهنوتية متألهة ، بين المد الثورى العربى الذى اجتاز الحدودالاقليمية المصطنعة لمواجهة الاستعمار فيما تبقى له من مراكز نفوذه فى أشرف وأقدس معركة قومية حقيقية ، وبين الاحتكارات الامبريالية الدولية التى كانت تحارب معركتها الاولى والاخيرة فى شبه الجزيرة العربية ، حيث الثروات الاسطورية الهائلة الظاهرة والخفية ، وحيث تقبض القوى الاقطاعيـــة المتخلفة الغاشمة والقوى الامبريالية الطغيانيـة الظالمة على عنق الحركة الثورية للامة العربية فى المشرق العربى ، وتعرقل مسيرتها التاريخية ، وتحول دون انطلاقها وتقدمها وتحررها ووحـــدتها .

ولقد كان أمرا مفهوما ومبررا أن تتراجع أهمية الثورة اليمنية الى الخلف بعد ان اصبحت مواجهة عدوان ٥ يونية تمثل قضية العرب الاولى ، وهمهم المقيم ، وشغلهم الشاغل ٠

ولكن غير المفهوم وغير المبرر أن تخرج الثورة اليمنية فجأة ونهائيا من كل حساب ، وأن تلفها أسداف من الصمت المطبق ،وكأنها مسرحية درامية قضت الاقدار العمياء بتحريك فصولها الدامية الخمسة على ارض اليمن ليسدل عليها لستار ، بعد ان اصاب الناس الدوار والغثيان من احداثها المأساوية ، وكأنها وميض برق لمع في سماء الجزيرة بمحض الصدفة ، ليختفى فى ظلامها الدامس دون أن يحرك اختفاؤه لدى أحد شعورا من أى نوع ٠

واذا لم يكن الامر كذلك فلماذا لم تعد ثورة ٢٦ سبتمبر تذكر حتى مجرد الذكر بين الثورات العربية ؟ وأصبحنا نقرأ فى الصحافة العربية عن الاهمية التاريخية للثورة المصرية ، والعراقية والجزائرية والليبية دون أن يتعرض أحد لثورة سبتمبر اليمنية حتى ولو بإشارة واحدة ؟ افيكون اغفال ذكرها من باب السهو والنسيان ؟ بالتأكيد ٠٠ لا ٠٠

وأكثر من ذلك فان ذكرى الثورة تمر دون أن يكتب أو يحتفى أو يعبأ بها أحد ، وكأنها قد غدت ذكرى شؤم لا يريد أن يتذكر أو يتحدث أو يسمع بها بشر ، ولم تعد ثورة ٢٦ سبتمبر تحسب لا ضمن الثورات الحية فيحتفل بميلادها ، ولا ضمن الثورات الميتة فتؤبن بمناسبة ذكرى وفاتها ، وكأنها قد تحولت الى سقط بين الثورات العربية ، لا بداية له ولا نهاية ، وبالتالى فانه ليس لها تاريخ يذكر ، أو صفحات أعمال تنشر ، فلحظة ميلادها هى لحظة موتها ، اذ لم تكتمل لها فترة النمو الطبيعية فى باطن الارض اليمنية ، وانما استخرجت وقتلت فى رحم امها ، وسببت لأهلها وقابلتها الحزن والويلات !

أوليس هذا هو المعنى الذى يستخلصه المرء من انصراف الرأى العام العربى وصحافته عن ثورة ٢٦ سبتمبر هذا الانصراف المفاجىء والغريب والشامل ؟

أوليس هذا هو ما يفهمه المرء من اشارات الاستاذ محمد حسنين هيكل فى مقاله الاسبوعى بصحيفة الاهرام بتاريخ ١٩٦٩/١٢/٥ عندما عدد النكبات التى حلت بالثورة والقومية العربية فى الستينات،

فجعل من ثورة اليمن ثانية هذه النكبات بعد الانفصال ـ التي ربما كان من باب الحرج احجـم عن القول ـ مما يقضي به التسلسل المنطقي لحديثه ـ بأنها من أسباب نكبة عدوان ٥ يونيه ، كما يسمع المرء من آخرين غيره عن سذاجه او سؤ قصد ؟!

فبصراحة غير عادية قال في مقـاله « بصراحة » بأن « سنة ١٩٦١ كان الانفصال ٠٠ سنة ١٩٦٢ كانت حرب اليمن التي تحولت الى عملية استنزاف ٠٠ أضيف اليها الحصار الاقتصادى الامريكي في وقت بدأت فيه المشاكل الطبيعية للتنمية تظهر ٠٠ سنة ١٩٦٧ بلغ الهجوم المضاد للثورة مداه في ٥ يونية ٠٠ كانت تلك كلهـا ، الانفصال ، واليمن ، والنكسة معارك في حرب واحدة متصلة شنها الاستعمار في الستينات انتقاما لما أصـابه من الحركة الثورية في الخمسينات» ٠

ومن الجدير بالملاحظة هنا أن الاستاذ هيكل يناقض ـ بهذا الطرح الجديد والتقييم الغريب للثورة اليمنية كل تقييماته السابقة التي امتلأت بها عشرات المقالات الصحفية التي كتبها في الاهرام ، والتي كان من أبرز ما فيها من وجهة نظره أن الثورة اليمنية كانت التحدي الفوري والثوري والشجاع لنكبة الانفصال ، وانها كانت تمثل لحظة استعادة الامة العربية ليس لمقدرة الرد على المؤامـرة الاستعمارية الرجعية التي بدأت بمؤتمر شتورا وانتهت بعزل وتطويق القاعدة الثورية في مصر ، وانما كانت تجسد أيضا مولد اندفاع المد الثوري والقـومي العربي ، والتفـافه من الجانب الخلفي على قلاع الاستعمار المتبقية في الوطن العربي ٠

وليس في الامكان هنا ايراد نصوص ماكتبه الاستاذ هيكل حول الثورة اليمنية مما يمثل رداً على امثال مقالته هذه ، فهي من الكثرة بحيث تصـلح أن تظهر في كتاب ، وانما اكتفي هنا بذكر فقرة قصـيرة جدا تبين وجهة نظره حول الاهمية الوطنية للثـورة اليمنية ٠

ففي مقاله بصراحة بتاريخ ١٩٦٦/٧/١ من الاهرام كتب : «الثورة اليمنية كمظهر من مظاهر اليقظة القومية طردت أسرة حميد الدين من أرض اليمن ، وبدأت عهدا جديدا يحاول فيه شعب اليمن أن يجتاز التخلف وأن يتصل بنضـال امته العربيـة في مجالاته المتعددة» ٠

واذا كان الاستاذ هيكل قد تراجع عن كل ما كتبه عن الثورة اليمنية وعن قيمتها الوطنية والقومية التى اطنب فى شرحها والاشادة بها ، وأصبح ما كتبه عنها لغوا وهذرا صحفيا ، أو كلاما عاديا عابرا ، وهو بالتالى ابعد من أن يكون فى مستوى وثائق تاريخية محسوبة عليه يحاسب عليها وفى ضوئها ويناقش فى قضية الثورة اليمنية انطلاقا منها ، فاننا نرجو منه على الاقل أن يرجع الى خطب قائد الثورة العربية الراحل الرئيس جمال عبد الناصر ، ويقرأ مرة أخرى ما قاله عن هذه الثورة ، وعن تقييمه الموضوعى لها • ولأن المجال لا يتسع هنا لاعادة كتابة نصوص هذه الخطب فانه من المفيد اقتباس ولو فقرة واحد للتذكير فقط •

ففى الاحتفال بعيد العمال العالمى عام ١٩٦٦ قال المناضل جمال عبد الناصر : « ونعتبر ثورة اليمن ثورتنا ، ثورة العرب كلهم، والا مكناش بعتنا ابناءنا هناك ليقاتلوا ويستشهدوا ويضربوا أكبر صفحات البطولة • » (الاهرام ١٩٦٦/٥/٢) •

على أن ما يدعو الى الغرابة على نحو خاص أن الاستاذ هيكل بدلا من أن يذكر اسم الثورة اليمنية يتحدث عنها هكذا : (حرب اليمن) أو (اليمن) مظهرا اياها بطابع مأساوى ، مركزا الانظار بذلك على الدماء والتضحيات التى تسبب فيها الاستعمار ، دون أن يلتفت الى الجانب الآخر من الصورة ، وهو انه اذا كانت هذه الحرب –من ناحية – حرب تدخل رجعية استعمارية ، فانها من ناحية أخرى – كانت حرب تحرير وطنية ثورية • واذا كان للثورة اليمنية شهداء يمنيون وعرب ، واذا كانت قد استنفذت اموالا واستهلكت سلاحا ، فانها كذلك كبدت الاستعمار ومرتزقته الكثير من التضحيات والاموال والسلاح ، واحدثت زلزلة تاريخية كبرى وصحوة وطنية عظمى فى طول الجزيرة وعرضها تركت آثارها الواضحة على مجرى الاحداث العربية كلها •

ويدخل الاستاذ هيكل فى مفارقة عجيبة مع نفسه عندما يشيد بثورة اليمن الجنوبية فى معرض ذكر « الومضات المفرحة » التى تخللت السحب الداكنة لحقبة الستينات المرهقة الحافلة بالألم والعذاب • ورغم انه حتى فى هذه الحالة لايسمي الاشياء بأسمائها عند الاشارة ، حيث يكتب « تم استقلال الجنوب العربى سنة ١٩٦٧» – وليس اليمن الجنوبى – فان وجه المفارقة يتضح من واقع ان ثورة

اليمن الجنوبيـــة جاءت ـ كما يعرف الاســـتاذ هيكل ـ بعد ثورة ٢٦ سبتمبر ۰ وترتيب قيامهما واحدة اثر اخرى لم يكن من باب الاتفاق والصدف ۰ فاندلاع ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ فى الجنوب اليمنى بعد مضى عام من قيام ثورة ٢٦ سبتمبر في الشمال اليمنى كان تعبيرا عن التفاعل الثورى والوطنى بين جزئى اليمن ، وعن تأثير الثورة الام في الشمال على مجريات الاحداث فى الجنوب ۰ وما كان لثورة ١٤ أكتوبر أن تأخذ ذلك الطابع المتفجر ، وأن تجد الظهير الأخوى والامين والخلفية الثوريةاليمنية والعربية المكينة والراسخة، بدون حدوث ثورة ٢٦ سبتمبر ، وبدون انتشار حريقها الثورى الى كل مكان من الارض اليمنية ، وبدون تواجد الجيش المصرى على أرض ثورة ٢٦ سبتمبر ، وبدون موءازرته القومية المخلصة ، ونهوضـــه بدوره التـــاريخي البـــارز فى تمكين الثورتين اليمنيتين من تحقيق اهدافهما فى اسقاط وسحق انظمة الحكم الاستبدادية والاستعمارية فى شطرى اليمن ۰

وما كان ينبغى أن يخفى مثل هذا الترابط الموضوعيوالعضوى بين الثورتين اليمنيتين أو بين ثورة ٢٦ سبتمبر ، وامتدادها الثورى المتفجر ، ثورة ١٤ أكتوبر ، كما أنه ما كان ينبغى أن يغفل الاستاذ هيكل عن واقع أن (حرب اليمن) كانت قمـــة الصراع بين الثورة اليمنية والعربية ، وبين الثورة المضادة التى خاضتها قوى الاستعمار والرجعية ضدهما ، وضد المد الناصرى التحررى بالذات ۰

واذا كان رنين ثورة ٢٦ سبتمبر لم يعد مجلجلا كما بدأ واستمر لخمس ســـنين كاملة ، ولم يعـــد صوتهامســـموعا ومدويا فىالآفاق العالمية كما كان الامر خلال وجود الجيش المصرى فى اليمن ، فان ذلك لايعنى بأى حال من الاحوال بأنها قد نسخت من قائمة الثورات العربية ، وان شعلتها قد انطفأت واصبحت رمادا لا يستحق أى ذكر ، واذا ما ذكرت عرضا ، فانها لا تذكر باعتبارها ثورة تحررية ، وانما باعتبارها (حربا أهلية يمنية) أو بصفتها (حرب اليمن) التى تورط فيها الجيش المصرى ، والتى تبدو كما لو كانت قد قامت لغيرما هدف وطنى أو قومى واضح ومشروع ، مما يذكر بسلوك دعاة الثورة المضادة فى اليمن ، عندما كانوا يقولون عن الثورة اليمنية المدعمة بجيش مصر بأنها (حرب ضد مجهول) !

لقد مرت ثورة ٢٦ سبتمبر ـــ بعد نكسة ٥ نوفمبر ١٩٦٧

بحالة جزر ثورى ، وهو مايمكن أن تتعرض له أى ثورة وطنية تواجه ذات الظروف المعقدة الداخلية والخارجية التى واجهتها هذه الثورة .

وهل هناك من دليل ابلغ على مدى اصالة هذه الثورة من انها — وحتى بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ — حيث نشأت حالة جزر ثورى عربية عامة — وبعد خروج الجيش المصرى من اليمن — تمكنت بقواها الذاتية ، بالقوى الثورية الجديدة ، وبالمقاومة الشعبية ، وبالجيش الحديث من تحطيم حصار السبعين يوما الشهير الذى ضرب من حول عاصمة الثورة صنعاء مع نهاية عام ١٩٦٧ ومطلع عام ١٩٦٨ ، والذى جندت له الامبريالية الامريكية آلاف المرتزقة ، وحشدت له أحدث الاسلحة ، واعتمدت له حوالى مائة مليون دولار ؟ !

واذا جازت المقارنة فأنه ليمكننا القول بأن الثورة الفرنسية ظلت تعرف بهذه الصفة والى اليوم ، رغم حالات الجزر الثورى التى تعرضت لها كثيرا ، رغم سقوط جمهوريتها غير مرة ، وعودة الامبرطورية أكثر من مرة . لقد بقيت جذوة الثورة الفرنسية متقدة ، ولم يتمكن الاقطاع الفرنسي ، وحتى الاوربى من اطفائها ، رغم تمكنه من حصر اثرها وتطويقها ، بل والسيطرة على زمامها بعض الفترات .

ثورة سبتمبر —كما تؤكد كل الشواهد — لم تمت ولن تموت، مهما بدا عليها من سكون وهدوء وجزر مؤقت ، وحتى ولو بدا من سطح الاحداث وظاهر الاشياء ان هناك ما يدعو للتساؤل : اين هى الثورة اليمنية ، أو اين هى ثورة سبتمبر ؟ !

كذلك فان الجمهورية العربية اليمنية وليد هذه الثورة مازالت قائمة وستظل قائمة ، وستبقى الاطار التاريخى والسياسى للنظام الاجتماعى الذى اختاره الشعب اليمنى ، الذى يمتلك القدرة على اطلاق زخم وروح الثورة فى هذا الكيان الجمهورى من جديد وضرب محاولات استنابة من قبل القوى الرجعية العربية المحيطة به .

وطالما وهناك حركة وطنيةوشعبية فتية آخذة فى النمو والتقدم فان ثورة ٢٦ سبتمبر باقية ، وان امكانية تحويل هذه الثورة الام وتحويل وليدها الثورى ثورة ١٤ اكتوبر الىثورة وطنية عامةامكانية كبيرة ومؤكدة .

الثورة اليمنية والتجـربة الناصرية

ليســـــت هناك ثورة ارتجت وزلزلت الارض العربية لها زلزالهـــا ، كالثورة اليمنية ، وليست هناك ساحة قتال اصطدمت فيها الامة العربية ، واشتجرت بالسلاح بين جنباتها ، وانقسمت الى امتين متعاديتين متحاربتين ، امة قوى التقدم والتحرر ، وامة قوى الردة والتأخر ، كالساحة اليمنية ، ولم تكن هناك ساعة فريدة شهدت ولادة ثوريةبهيجة ومهيبة ، وسط مظاهرة تاريخيـة مسلحة ، ومن ثنايا ملحمة بطولية رهيبة ، كتلك الساعة الفريدة التى ولدت واكتملت فيهـا (ظاهرة) القوميـة العربيـة على أرض اليمن ، اليمن التى كانت الرحم الاول الذى خرجت وتدفقت منـه قوافل ومواكب العروبة ، والارض التى تجلت على جبالهـا — كما تجلت الحقيقة الآلهية لموسى فى الجبل — مرة أخرى ، وتحت شمس الثورة العربية المتوهجة ، حقيقة الانتماء القومى العربى ، عندما دفعت ثورة ٢٣ يوليو بزعامة قائد الثورة العربيـــة الملهم جمال عبد الناصر بجيشها العربى ، فى مطلـع الستينات ، للقيام بعملية اقتحام جريئة ، قطع بها البحر الاحمر حتى شاطئه الشرقى، حيث اشتبك مباشرة — من نفس الموقع الذى يقف فيه ثوار اليمن — فى معركة فدائية وطنية وقومية حامية الوطيس ، مع الرجعية الاقطاعية الامامية العتيدة فى اليمن بكل حلفائها الرجعيين فى المنطقة وخاص من نفس الموقع أيضا ، وضد الاستعمار البريطانى تلك المعركة التحررية المجيدة ، التى اعتبرتها الامبراطورية العجوز آخر معاركها فى الوطن العربى ، وكانت بالفعل آخر معاركها فيه ، وخاتمة وجودها الحقيقى على ثراه .

معركة اليمن محك الانتماء القومى :

ان حقيقة الانتماء القومى الواحد التى الهمت ثورة ٢٣ يوليو بقيادة عبد الناصر بأن تهب من القاهرة لنجدة الثورة اليمنيـــة ،

وتندفع صوب اليمن ممتشقة سيفها الاسطورى لتشـــاركها فى الاطاحة برءوس الرجعية اليمنية ، التى عزلت هذا الشعب العربى العريق عن حياة ونور العصر ، والتى جعلت عبد الناصر ــ وقد رأى مدى التخلف الفظيع الذى تعيشه البلاد أثناء زيارته التاريخية لها فى ابريل عام ١٩٦٤ ــ يزداد قناعة بجرأة وثورية الخطـوة العملاقة التى أقدم عليها فى المساعدة على تحطيم الاغـلال التى تكبل أقدام شعبها الابى وتكم عليه بالشلل والقعود ، ويؤكــد « أن الثورة اليمنية ضرورة يحتمها الضمير ، تمليها الانسانية ، لانقاذ هذا الشعب المحروم من أبسط مقومات الحضارة » هـذا الشعب الذى ماكادت نيران الثورة العربية تلامس معدنه الاصيل ، حتى تفجر ــ كما قال الرائد العربى ــ عن « طاقة بغير حدود » حيث أخذ « يخوض اليوم معركتين متقابلتين فى الشمال والجنوب ضد الرجعية والاستعمار » (١) ان هذه الحقيقة القومية هى نفسها

التى اكتشفها وفد الادباء المصريين اثناء زيارته لليمن بعد قيـام ثورتها ، وخلال حواره مع شباب اليمن المثقف والثائر ، والتى عبر عنها الاديب المصرى الكبير نجيب محفوظ بقوله : « تبادلنا الاحاديث عن الحرب والثورة والتاريخ والادب ، كشفت الروح اليمنية عن كنوزها ، فاستعدنا شـــعورنا بالانس ، والالفة ، وتفتحت قلوبنا بلا حدود ، وملت نحو زميلى هامسا : أشعر كأنما رأيت هذا المكان من قبل ! » (٢) .

برهان جديد على دور مصر الريادى :

ولم تبرهن مصر ــ على كثرة الميادين التى قاتلت فيها ومنها، والجبهات الثورية التى فتحتها ، أو لعبت دورا حاسما فى فتحها ــ على ثبات واستمرار مقاليد القيادة القومية والثورية فى يدها ، وأهليتها وجدارتها بالاضطلاع بمثل هذا الدور القيادى والريادى كما برهنت على ذلك بتلك الهجمة الثورية المقدامة والباســلة التى شـــنتها على الاقطـــاع والاستعمار القديم والجـديد فى جزيرة العرب ، وبعملية التصدى الحاسمة التى نهضت بها فى مواجهة كل جحافل الظلام والتخلف ، فى معركة ضارية وشرسة اتصلت حوالى سنوات ست ، لم تنته الا بخلع الف عام من التاريخ الامامى ــ الكهنوتى ــ الاقطاعى ، والا باسدال الستار نهائيا والى الابد على اكثر من قرن وربع قرن من التاريخ الاستعمارى السلاطينى الاسود هناك .

محاولات تشويه لدور مصر القومي :

صحيح ان البعض من محترفى الكتابة ، ومروجى الدعايات الاستعمارية ، وغيرهم من الاوساط السياسية المشبوهة حاول ان يختزل دور مصر الشامل القومى والتاريخى والحضارى والثورى فى المنطقة العربية بأنه لايعدو أن يكون «مغامرات ناصرية فاشلة او محبطة » كتلك المغامرة التى قام بها جمال عبد الناصر فى اليمن ، وان ثورة ٢٣ يوليو لم تصنع الى عام ١٩٦٧ غير اهدار طاقاتها فى معارك عقيمة فى المنطقة العربية !

وصحيح ان هؤلاء لم يتورعوا عن التطاول على أمجاد حقبة ثورية كاملة ، بتصوير وزعم أن فشل سياسة مصر فى اليمن جزء من فشل سياستها القومية العامة ازاء الوطن العربى كله ، حتى بلغ الامر حد انهم دابوا على الترويج « لنظرية أن سياسة الوحدة العربية القومية بمضمونها التقدمى الديمقراطى هى السبب الاساسى فى هزيمة ١٩٦٧ وانهم — بالتالى — هم مبعوثو العناية الالهية لانقاذ الوطن العربى من الهزيمة ، وذلك «بتطهير » الغرب مما اسموه « بأصحاب الافكار المستوردة » وبالتخلى عن قيمهم ومبادئهم الثورية حتى يكون فى الامكان كسب القوى القادرة « على الجام العدوان الاسرائيلى » (٣) غير مدركين أن انجازات الثورة المصرية « وانطلاقتها كانت بعض ما أستدعى العدوان » حيث « تحالفت قوى عالمية ، لتضرب مصر عبد الناصر سنة ١٩٦٧ كما تحالفت أوربا كلها لضرب مصر محمد على قبل قرن ونصف قرن » (٤) وغير متنبهين الى أن قيام الثورة اليمنية من أساسه كان من الناحية الاستراتيجية هجوما ثوريا عربيا معاكسا للهجوم الرجعى الذى انتزعت به القوى الاستعمارية دمشق من حضن الوحدة ، حيث انه بعد عام واحد فقط من الانفصال بدات تتحرك و « ترد الثورة العربية الضربة » ، ولكن هذه المرة فى الجنوب ، فى اليمن ، ويكون التفسير الامريكى لذهاب القوات المصرية لليمن لمساعدة الثورة « انهم يطوقون بترول الخليج والجزيرة من الجنوب » ! (٥) ومتجاهلين ان الذى هزم فى ٥ يونية ١٩٦٧ لم يكن خط دعم الثورة اليمنية ، وخط دعوةالقومية العربية ، ولم تكن ارادة الجماهير ، « ولم تكن ايجابيات حركتها الممتدة عبر التاريخ ، ولم يكن نضالها العظيم ، وانما الذى هزم فى ٥ يونية هو كل السلبيات والمعوقات التى أضيفت عبئا على نضال هذه الجماهير ، وهو كل

القيود التى وضعت على حركتها وعلى تقدمها للحصـــول على حقوقها ، وهو كل القوى التى تصورت انها يمكن أن تكون بديلا عن الشعب فى تقرير مصيره وتوجيه حركته » (٦) .

ولقد تجرأ هذا البعض على القول بأن جهد مصر الثـورى فى اليمن كان أحد أسباب نكسة يونيو سنة ١٩٦٧ ، هذا الجهد الذى انتهى بسحب جيش عبدالناصر من اليمن دون أن يترك أى أثر يذكر، عدا وجود جمهورية شكلية فى صنعاء ، سيطرت عليها آخـر الامر وتحكمت فيها نفس القوى الاقطاعية ، الموالية للغرب ، التى كانت قد سئمت حكم الامامة منذ عشرينيات هذا القرن ، والتى طمحت منذ هذا الوقت الى ادخال اصلاحات ادارية فى أجهزة الحكم تتسع لصالح ومطامح «كل الطبقة الاقطاعية اليمنية» ، حتى ولو اقتضى الامــر اصطناع « قالب » نظام جمهورى يستجيب لهذه المصالح الاقطاعيـة العشائرية ، ويستوعب هذه المطامح الطبقية المتخلفة .

انقلاب الرجعية اليمنية على الثورة وعلى دور مصر ازاءها :

وصحيح ان هذا البعض ـ بعد أن صور دور مصر ازاء الثورة اليمنية وغيرها من الثورات العربية بأنه ليـس أكثر من «استعمار مصرى ، سيطرة ، هجرة توسع جديدة . طمع فى الثروة ، اقتسام للأرزاق ، هذه الكلمات المسمومة (التى) كانت سلاح العناصر التى من مصلحتها أن تفسد كل صورة لجهد نبيـل قام به المصريون ، أو موقف دفاع عن مبدأ وقيمة ، حتى ولو كان المصريون قد قدموا فى اليمن ٢٠ ألف شهيد من أغلى الأبناء وأكفأ الرجال » (٧) ـ أراد أن يزكى فهمه المبتسر والمبتور والمشوه والمغرض لهذه الملحمة النضالية والبطولية التى دارت على أرض اليمن بعد اشراق ثورة ٢٦ سبتمبر، ولتاريخ الثورة اليمنية والعربية ، وذلك بالاستشهاد بما تنطق به ألسنة بعض محترفى العمل السـياسى التقليدى فى اليمـن من انه بثورة ٢٦ سبتمبر توهم «اليمنيون أن الفرصة جاءت لخروج بلادهم من العزلة ، وللبدء فى الاصلاح والتطوير والسير فى ركب الحيــاة الحديثة ، ولكن البلاد تعرضت لما تعرضت له من متاعب يعرفها الجميع وعاشت ثمانى سنوات فى نزيف دمـوى أضر بها ، وأضر بالعرب، وأهدر الأمكانيات ، ولعل ماحدث فى اليمن قد كان سببا من أسباب نكسة يونيه/حزيرين التى نعيشها اليوم » ومن انه على يد مثل هذه القوى التقليدية فقط أمكن انقاذ اليمن من هــذه الدراما الدمـوية

المدمرة ، حيث تم عقد «المصالحة الوطنية» مع الجانب الملكي الذي كان قد ادار الحرب ضد الثورة منذ لحظة هبوبها ، وتمكنت اليمن اخيرا من الوصول الى تسوية حققت وحدتها الوطنية ، وأعادت علاقاتها مع الدول جميعها الى وضعها الطبيعي » حتى ولو كانت هذه الدول هي نفسها لتي سقت ليمن كئوس المنون خلال سنوات الحرب الرجعية الاستعمارية التي فرضتها عليها ، بغية اجهاض ثورتها والقضاء على خطرها . وصحيح اخيرا أن هـــذا البعض ـ استند تبريرا لمواقف وتصرفاته ـ الى مايقوله مثل هؤلاء من محترفي العمل السياسي في اليمن ، الذين غدوا يمتلكون من الجرأة مايكفي للقـــول بأنهم غير مستعدين لاتخاذ أي موقف عدائي ضد الاستعمار وركائزه معللين ذلك بقولهم : «وصنعاء غير مقتنعة بحمل أي رسالة لتحرير الجزيرة العربية » من آثار الوجود الاستعماري وركائزه «وغير قادرة على هذا» وان «نصيبها في محاربة الامبريالية» هو الانكفاء على نفسها مرة أخرى والى ماكانت عليه قبل انفجار ثورتها ، والاهتمام بمشاكلها الداخلية الخاصة ، التي خلقتها الحرب واللجـوء الى التعاون مع نفس القوى التي قاومت هذه الثورة ، وتسببت في هذه الحرب، «والعمل للحصول على كل عون» منها وفتح أبواب البلاد لرؤوس الاموال الاجنبية (٨)، محققين بذلك نفس الشروط التي كانت عاصمة الاستعمار الجديد . واشنطن ، قد اشترطتها بعد قيام ثورة سبتمبر مباشرة ، للقبـول والاعتراف بوجود الجمهورية اليمنية ، والتعامل معها ، والتي أفصح عنها بدون لبس أو التواء رئيس الولايات المتحدة الامريكية السابق جون كنيدي في احدى رسائله الى عبد الناصر ـ في ١٩٦٢/١١/١٧ وكان مما جاء فيها أن على صنعاء أن تؤكد الالتزام بالسعي « لاعادة العلاقات الودية مع جيرانها الى مجراها الطبيعي ، وبصرف جهودها الى الشئون الداخلية ، والتركيز عليها ، بالاضافة الى اصدار نداء من جمهورية اليمن العربية الى اليمنيين في المناطق المجاورة ، بأن يكونوا من المواطنين الذين يعيشون في ظل احترام القانون » وذلك بغيـــة «ايجاد ظروف طبيعية لعمل بعثة المساعدة الامريكية في اليمن »(٩)

ثبات الجمهورية رغم الردة :

ولكن عندما يستند مثل هذا البعض من محترفي الـكتابة الى مثل هذه الاقوال والمواقف المرفوضة والمدانة ، والى ماآلت اليه الامور بالفعل في أحد شطري اليمن ووصولا الى تشويه ومسخ وهضم دور مصر الجبار في قيام وتفجير ودعم الثورة اليمنية ، وبقصد الاساءة الى

هذه الثورة نفسها ، ونكران كل اصالة ثورية لها ، وكل مبرر سياسى وموضوعى ، أو ضرورة اجتماعية وانسانية لقيامها ،فان الردالبديهى المتواضع والخالى ن كل غرور وطني وادعاء ثورى على ذلك هو ـ ولماذا لم تستطع كل قوى الاقطاع فى اليمن وفى الجزيرة العربية وكل قوى الاستعمار القديم والجديد ـ ورغم الحرب الضروس التى شنتها سنين عددا ـ القضاء على جمهورية ٢٦ سبتمبر التى صنعتها هذه الثورة اليمنية المدعمة بقوى الثورة العربية ـ أيا كان محتوى هذه الجمهورية اليوم ، ـ ولماذا تحطم حصار السبعين يوما من حول صنعاء عام ١٩٦٧ ـ ١٩٦٨ دون النيل منها ، ولماذا لم يتمكن الاستعمار وزبانيته من تدمير «كل» منجزاتها التقدمية ، وكل قواها الاجتماعية والسياسية التى نشأت وتفتحت فى ظلها ، رغم شدة وطأة الضربات المتلاحقة التى تعرضت لها هذه المنجزات وهذه القوى ، وكيف أمكن استمرار وصمود الحركة الوطنيةاليمنية رغم مشيئة القوى الاقطاعية والعشائرية المهيمنة على مقاليد الامور نتيجة لردة ٥ نوفمبر ١٩٦٧ ؟!

ثم هل صحيح ـ «الحملة المصرية» ـ كما يحلو للدوائر الاستعمارية أن تسمى دور مصر الثورى فى اليمن ـ لم تخلف غير جمهورية اقطاعية لاتختلف من حيث الجوهر الطبقى والأيديولوجية الاجتماعية ، والتوجه السياسى ، عن الامامة الاقطاعية المبادة ، ولم تترك غير قوى اجتماعية وسياسية جديدة هزيلة وعاجزة ؟ ٠ ان الذى لاشك فيه انه بقيام الثورة فى اليمن ـ بشقيها ـ بمؤازرة مصرية كاملة حدث تحول سياسى وتاريخى كبير فى جنوب الجزيرة العربية ، والذى لاشك فيه أيضا انه ـ لو وضعت صيغة ديمقراطية لتنظيم وحشد قوى البلاد الوطنية لكان فى الامكان أن يكون هذا التحول أعمق وأخطر ٠ وتتحمل القيادة العربية فى اليمن مسئولية خاصة فى عدم حدوث ذلك !

نصف الكأس المليان :

وحتى بعد التسليم بحدوث ردة سياسية لثورة سبتمبر ـ وذلك يحدث لكثير من الثورات ـ فان ذلك لايعدو أن يكون جزءا من الحقيقة الموضوعية ، وتأكيدا لها فى نفس الوقت ، ذلك أن الحركة الشعبية والثورية اليمنية التى تكونت بعد قيام هذه الثورة ماتزال ـ رغم الضربات التى لحقت بها ـ آخذة فى النمو والتصاعد والانتشار ! وعلى الذين لايرون من الكأس الا نصفها الفارغ، أن يديروا

البصر بامعان ليروا النصف الملء منها ، على الناحيـــة الجنوبية من اليمن ، حيث تنتصب راية ١٤ أكتوبر الشامخة ، وتنهض جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية الفتية ، التى ـ وان لم تقيم حتى الآن وبشكل موضوعى وايجابى كامل دور مصر العظيم ازاء الثورة اليمنية، وتضعه فى مكانه التاريخى ، الصحيح ، الا انها لاتقوم بتشـويهه ، بتصوير انه لم يكن له من نتيجة غير أحداث حرب أهلية مدمرة فى اليمن ، وغير استنزاف مصر وتسبيب نكسة يونية لها !

فهذه الجمهورية اليمنية الفتية والصامدة التى استعصت على كل زوابع الثورة المضادة العاتية وثبتت لـكل مؤامرات الاستعمار وقوى التخلف ، وتقدمت بخطوات راسخة واثقة ، على طريق الثورة الوطنية الويمقراطنية لم تكن ـ فى واقع الامرـ وان تجاهل البعض من العناصر الاقليمية فى جنوب اليمن ذلك ـــ غير ثمـرة ناضـجة لغرسة الثورة العربية المجيدة ، والتى اغتــذت من تجارب النضال اليمنى والعربى الطويل ، والتى ارتوت من كل الدماء التى سفحت على الارض اليمنية ، والتى تقف اليوم شاهدا بليغا على اسهام ثورة ٢٣ يوليو التاريخى والعظيم فى قيام ونجاح الثورة اليمنية .

تأكيد قادة ٢٦ سبتمبر على دور عبد الناصر القومى :

أليس ذلك هو ماتشهد به كلمات الزعيم اليمنى عبدالله السلال الذى ـ عرف فى لحظة الحسم كيف يتسنم ويتسلم قيادة ثورة ٢٦ سبتمبر ـ عندما كتب عن ـ قائد ثورة ٢٣ يوليو جمال عبد الناصر ودوره ازاء هذه الثورة ـ سواء قبل أو بعد قيامها ـ وازاء غيرها من الثورات بأنه هو «الذى ألهمنا جميعا أسس ومبادىء العمل الثورى» وانه هو القائد « والمعلم العبقرى الفذ الذى علمنا السير فى طريق المبادىء السامية والاهداف النبيلة ، الذى لم يتردد فى أية لحظة من اللحظات من الوقوف بصلابة مع الحركات الوطنية العربية والعالمية، وتقديم العون المادى والمعنـوى ، حتى لقد ضرب أروع الامثـلة فى التضحية ، ونكران الذات ، عنـدما اسـتنجدت به ثورة السـادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢ فى يمن العـروبة ، ليشارك فى حمايتها من الاخطار التى أحدقت بها ، فلبى النداء ، ووضــع كل الامكانيات المادية والبشرية تحت تصرف الشعب العربي فى اليمن، وخاض الشعبان اليمنى والعربى معركة الدفاع المقدسة عن الثورة اليمنية طيلة ست سنوات ، لم يبخل فيها الجندى العربى بروحـه

ودمه . فجاد بالروح فى سبيل المبادىء التى أسسها الزعيم عبد الناصر ، لتظل رمزا حيا ، تروى للاجيال المتعاقبة أسطورة البذل والعطاء ، وكيف يجب أن تكون التضحيات التى يتطلبها نضال شعب أحدقت بثورته الاخطار ، فلم يجد سندا ولا عونا سوى ذلك العملاق العربى الذى يتبع القول بالعمل» (١٠) .

تشديد قادة ١٤ اكتوبر على اسهام عبد الناصر التاريخي :

وشأن ثورة ٢٦ سبتمبر فى شمال اليمن فان نشوب ثورة ١٤ اكتوبر فى جنوبها كان مرتبطا منذ البداية بوجود الثورة الأم فى القاهرة ، وتفجر فى ظلها ، وباشتراكها المباشر والفعال . وحتى تكوين وميلاد الجبهة القومية في صنعاء عام ١٩٦٣ ، التى قادت حركة التحرير الوطنى المسلحة في اليمن الجنوبية لم يتم بدون مساعدة وتشجيع ودفع الوجود الثورى المصرى فى اليمن ، وقد ظلت الجبهة القومية متأثرة (بالخط الناصرى) ايديولوجيا وسياسيا لفترة غير قصيرة . بل وعن طريق وبفضل اتسامها فى لحظات الولادة والبداية بالصيغة الناصرية أمكنها اكتساب الجماهير الناصرية فى اليمن من صنعاء الى عدن . ومنذ أطلق عبد الناصر صرخته فى تعز – العاصمة الثانية للجمهورية العربية اليمنية – بأن على الاستعمار البريطانى ان يرحل من جنوب اليمن ، وقبل أن تأتى عليه ثورة التحرير – ومصر منغمسة بالفعل في النضال الى جانب حركة التحرير الوطنى اليمنية ، وحتى آخر لحظة .

صحيح ان علاقات مصر بجمهورية اليمن الشعبية التى لم تقم بغير هذا الدعم العربى لم تكن – منذ مطلع الاستقلال والى وقت قريب – على مايرام ، نتيجة – بالدرجة الاولى – للسياسة الانعزالية والمنغلقة التى اتبعتها الجبهة القومية ، بزعامة قحطان الشعبى ، والتى يتم التخلص منها «نهائيا» الآن ، الا أن ذلك لم يمنع أحدا من ذكر بعض الحقائق التاريخية التى لاتقبل الجدل !.

وذلك ماسجله التقرير السياسى للقيادة العامة الذى ألقاه فى ٢ مارس ١٩٧٢ عبد الفتاح اسماعيل الأمين العام للجبهة القومية أمام المؤتمر العام الخامس حيث جاء فيه (ص ٣١) : «لقد مكن انتصار شعبنا فى الشطر الشمالى من الاقليم فى قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ، وكذلك الوجود المصرى فى الشمال اليمنى على بدء النضال المسلح فى الشطر الجنوبى من « الأقليم » ويحلل « برنامج التنظيم السياسى

الجبهة القومية لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية . على ص٣ـ٤ .
هذه العلاقة الجدلية بين ثورة ٢٦ سبتمبر وثورة ١٤ اكتوبر فى ظل الدعم المباشر للثورة العربية على النحو التالى :

«ولقد كان لانتصار ثورة ٢٦ سبتمبر عام ٦٢ تأثير كبير على مجمل الاوضاع اليمنية فى الاقليم شماله وجنوبه ، فشكلت بذلك قاعدة أساسية لانطلاق ثورة ١٤ اكتوبر عام ٦٣ التىوجدت العوامل المساعدة فى الظروف الجديدة ، التى هيأتها ثورة ٢٦ سبتمبر .وبعد سنة من انتصار ثورة ٢٦ سبتمبر أخذت جماهير الشعب اليمنى فى الشطر الجنوبى ، تفجر النضال المسلح ضد الاستعمار البريطانى وعملائه ، بقيادة التنظيم السياسى للجبهة القومية ، من قمم جبال ردفان حتى الاستيلاء على السلطة وتحقيق الاستقلال الوطنى فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ م . وبذلك استطاع الشعب اليمنى أن ينتصر من أجل تحرره من الحكم الملكى الاقطاعى،والحكم الاستعمارى السلاطينى الاقطاعى ، ليبدأ مرحلة جديدة ، لا من أجل الدفاع عن الثورةاليمنية فحسب ، ولكن من أجل استكمال تحرره ومقدمة الاجتماعى » وبذلك «انتصرت ـ كما كتب الاستاذ محمد عودة فى جريدة الجمهورية القاهرة فى ٢٢ ـ ٦ ـ ١٩٧٢ ـ الثورة فى جنوب اليمن ، وبدلا من سلسلة من المشيخات والامارات والمحميات التى كانت مثلا تاريخيا للتخلف ، والتجزئة ، والعبث الاستعمارى بمقدرات العرب ، قامت دولة ديمقراطية تقدمية جديدة . وقد كانت ثورة جنوب اليمن امتدادا للثورة التى قامت فى اليمن . والتى ذهب الجيش المصرى ، وقاتل فى معركة باسلة حتى استتبت ، وتوطدت دعائمها ، وذلك أيضا هو ما اشار اليه عضو المكتب السياسى للجبهة القومية ورئيس حكومة جمهورية اليمن الشعبية على ناصر محمد فى كلمته الهامة والوثائقية التى القاها امام اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى ، بمناسبة مرور عام على وفاة الزعيم الخالد جمال عبد الناصر ، والتى حدد بها فى وضوح وحسم ، وصدق وموضوعية الموقف والتقييم الحزبى والرسمى للجبهة القومية والحكومة لدور ثورة ٢٣ يوليو الام ازاء ثورة ٢٦ سبتمبر و ١٤ أكتوبر معا ، عندما تحدث بقوله : « اننا حين نريد التحدث فى مناسبة اليمة ، مثل هذه عن ثورة ٢٦ سبتمبر ، وعما لحقها من أحداث وتطورات بالغة التعقيد فاننا لنؤكد على أن شعبنا اليمنى بأجمعه ، لن ينسى مدى التاريخ بأن ثورته لم تكن لتقف على قدميها أسبوعا واحدا ، لولا الزعيم

الخالد جمال عبد النـاصر والشعب المصرى الشقيق • فمنذ اللحظة الأولى لهذه الثورة سارعت الامبريالية العالمية بقيادة أمريكا •• الى شن حرب عدوانية شرسة ضـدها ، فى محاولة لاسـقاط النظـام الجمهورى ، واعادة الشعب اليمنى الى براثن الحكـم الامامى ، من جديد • ولكن الموقف التاريخى المأثور الذى اتخذه الرئيس جمـال عبد الناصر فى اوقت المناسب بأمداد هذه الثورة بفـرق كاملة من القوات المسلحة للمشـاركة فى الدفاع عنها ، وترسـيخ دعائمها ، اضافه الى دعم المعسكر الأشتراكى الصديق من خلال امدادها بالاسلحة والمعدات ، كل ذلك كـان عـاملا مسـاعدا من العوامل التى حققت انتصار اردة شعبنا اليمنى للتحرر والتقدم ، منذ ذلك الوقت حتى الآن والى الابد • وبفضل هذا الموقف تمكن شعبنا اليمنى أيضا من مواصـلة النضـال لاسـتكمال تحرير أراضيه التى كان يغتصـبها الاستعمار البريطانى فى الشطر الجنوبى من الاقليم » أن « ذلـك الانذار الذى اطلقه الزعيم الخالد عبد الناصر أثناء زيارته للشـطر الشمالى فى عام ١٩٦٤ حين قال ان على بريطانيا أن تحمل عصاها وترحل من الجنوب اليمنى ! •• لم يذهب أدراج الرياح • بل كان معززا بدعم سياسى وعسـكرى فعال لثورة ١٤ أكتوبر ، بقيـادة تنظيمنا السياسى ، الجبهة القومية ، وهكذا استعاد شـعبنا اليمنى حريته فى الثلاثين من نوفمبر ١٩٦٧ » (١١) •

وتعبيرا عـن نفس الموقف ، وردا عـلى حملة التشـكيك ، والتضليل ، والطعن فى ذلـك الدور القومى والثورى المجيـد الذى أضطلعت به ثورة ٢٣ يوليو القومية الرائدة أزاء الثورة اليمنية قال عبد الفتاح اسماعيل : « الحقيقة ان هنـاك الآن حملة مـن البلبـلة والتشكيك تستهدف تشويه قضية الثورة اليمنية ، والانتقاص من الدور الثورى التاريخى العظيم الذى قام به الشعب المصرى ممثلا فى قواته المسلحة ، لدعم انطـلاق مسـيرة ثورة ٢٦ سـبتمبر ، و ١٤ أكتوبر فى الجنوب ، ونحن نؤمن بأن العلاقة بين مصر الشـقيقة والشعب اليمنى لا يمكن أن تنفصم أو تنقطع ، وسوف يظل الشعب اليمنى على مر التاريخ يتذكر باعتزاز وامتنان ذلـك الدور الباسل الذى ساهمت به مصر دفاعا عن الثورة اليمنية ، وتمكينا لهـا مـن مواجهة المؤامرات الامبريالية الشرسة » (١٢) •

تناقض ثانوى محكوم :

واذا كانت قد شـابت دور مصر النضـالى فى اليمن تكتيكات

سياسية خاطئة أحيانا ، كتلك التحالفات المصطنعة وغير المدروسة التي كانت تدعو لها في شمال البلاد أو جنوبها ، وتحرم من المشاركة فيها قوى وطنية ناضجة ومتقدمة ، وتتورط في افتعالها القيادات العسكرية العربية ، وتقيمها على أسس غير ديمقراطية مثل « الاتحاد الشعبي الثوري » في الشمال ومثل ذلك التحالف الذي اعلن قيامه في يناير ١٩٦٦ ، والذي « سرب » الاستعمار البريطاني بعض اتباعه فيه ، - كما « سربهم » داخل الجبهة القومية ، والذي رفضته الجبهة القوميه في آخر الامر ، التي كانت بدورها لاتخلو قيادتها من عناصر يمينية مزروعة ، وموضع رضا لدى السلطات البريطانية في عدن ، مما أدى الى سلسلة من الافعال وردود الافعال العنيفة منذئذ، ولاسيما في مطلع الاستقلال ، حتى بدا كما لو أن الجبهة القومية قد دخلت في تناقض مع الخط الناصري نفسه ، وفي عداء شبه مكشوف مع القاهرة نفسها - وهو ما كان الاستعمار البريطاني يطمح في الوصول اليه - اذا كان ذلك قد حدث ، فان واقع الامور يؤكد أن (جوهر) فكر ثورة ٢٣ يوليو - كما جسده « الميثاق » بصورة خاصه - وليست تطبيقاته السيئة التي كانت تتم أحيانا على يد القوى « البيروقراطية » لم يبق بدون تأثير على الجبهة القومية .

موقع ثورة ٢٣ يوليو الطليعي :

وليس هناك ما هو ابلغ دلالة على مدى تأثير ثورة ٢٣ يوليو على مجرى الثورة اليمنية مما قاله في تلك الكلمة الصادقة رئيس مجلس الرئاسه لجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية سالم ربيع علي - وبمناسبة الذكرى الاولى لوفاة جمال عبد الناصر ، حيث قال في برقية له الى منظمة التضامن الافرو - آسيوية في القاهرة : « لقد عاهدنا شعوبنا على السير في خط فقيدنا الرائد المرشد البطل » الذي ترك اعمالا ومآثر « تعبر عن أمجد صفحات تاريخنا القومي والانساني ، وعلينا أن نواصل السير على طريقه ، ونسترشد بما تركه من مآثر » (١٣) .

وقد قيم الاتحاد العام لعمال جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية في تقرير له بتاريخ ١٩٧٢/٥/٢٤ ثورة ٢٣ يوليو ، ودورها في دعم الثورة اليمنية بقوله : « وقد جاءت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لتشكل قفزة نوعية على طريق النضال المعادي للاستعمار والرجعية والصهيونية ، وشكلت هي الاخرى شروطا موضوعية لدعم

القوى الوطنيـــة والثورية فى الوطن العـربى ، ودعمت كافة قوى التحرر العربية ، وكان لها دور ايجابى فى دعم ثورة ٢٦ من سبتمبر عام ١٩٦٢ ، وثورة ١٤ آكتوبر ١٩٦٣ » .

تقييم هيكل لثورة اليمن :

وكم كان الاستاذ محمد حسنين هيكل محقا عندما تحدث ـ فى معرض استعراضه للمنجزات الثورية العربيـــة التى تحققت بدعم وتأييد ثورة ٢٣ يوليو الرائدة ـ عن أن التحولات لم تكن لهـا أن تحدث بغير متناقضات بين القوى الاجتماعية فى العالم العربى ، ـ حيث « مشت هذه المتناقضات طويلا من الحرب الباردة فى شمال العالم العربى ـ سوريا والعراق والاردن ـ الى الحرب الساخنة فى جنوب العالم العربى ـ اليمن » وعندما لفت الانتباه الى ماتركته ثورة ٢٣ يوليو من آثار هنا « وفى النظام الجمهورى فى اليمن » وأشار الى دور مصر التى كانت « تشارك عسكريا فى صنع استقلال اليمن ـ الجنوبية » والى «استقلال الجنوب العربى سنة ٧٦٩١ » باعتباره ومضة من « ومضات فرح عظيم » عرفتها الستينـات التى « كانت حقبة مرهقة حافلة بالالم والعـــذاب » ولكنـــه كم كان مبالغا فى التشـاؤم ، واحادى النظرة ـ بعد ان كـان فى البداية مغرقا فى التفاؤل ومبالغا فى التصوير والتجسـيم ، كمـا تجلى ذلك فى احاديثه السابقة والكثيرة عن ثورة ٦٢ سبتمبر ـ عندما اخرج هذه الثورة فيما بعد من حساب الثورت العربيـــة ـ

وعد ما بذل فيها من جهود خارقة ، وما انفق فى سبيلها مـن وقت ثمين ، جهودا عابثة ، ووقتا ضائعا ، واعتبرها ـ وذلك أيضـــا هو رأى التيـــار الاقليمى البيروقراطى فى مصر ـ حلقة أساسية من حلقات النكسة العربية العامة التى تعيشها الامة العربية اليوم ، وذلـك حين أطلق على الحرب الوطنية التى شنت ضد الاستعمار والرجعية فى اليمن ، بمبادرة قومية مبدئية ، وشجاعة ثورية نادرة كان وراءها الزعيم الخالـــد جمـــال عبـــد النـــاصر والرئيس انور الســادات الذى تولى منذ ئذ شئون « القضية اليمنية » لكسر الطوق الرجعى الامبريالى الذى كان قد ضرب من حول مصر بعد نكسة الانفصال ومؤتمر شتورة ، حينما اطلق عليها ـ أى هيكل ـ اوصافا سلبية محضة مثل « حرب اليمن » و « الحرب الاهلية فى اليمن » وحين تحدث عن أن عبد الناصر « استدرج الى

ميدان اليمن الذى بدا فى مبدأ الامر يسيرا هينا ، ثم ثبت انه أمر عسير حقا » وحين قال عن أن الاستعمار وحلفاءه كانوا فى بداية الستينيات « قد استطاعوا تحويل التيار ، ووضعوا الحركة الثورية على مواقع الدفاع ، ١٩٦١ كان الانفصال ، سنة ١٩٦٢ كانت حرب اليمن ، التى تحولت الى عملية استنزاف ، اضيف اليها الحصار الاقتصادى الامريكى ، فى وقت بدأت فيه المشاكل الطبيعية للتنمية تظهر ، سنة ١٩٦٧ بلغ الهجوم المضاد للثورة مداه فى ٥ يونيو . كانت تلك كلها ، الانفصال ، واليمن ، والنكسة ، معارك فى حرب متصلة شنها الاستعمار فى الستينيات ، انتقاما لما أصابه من الحركة الثورية فى الخمسينات » وحين قرن قيام ثورة ٢٦ سبتمبر وما أدت اليه من صراع لاهب مع الاستعمار والرجعية بتلك الهجمات الامبريالية والصهيونية التى تعرضت لها مصر ، فكتب عن أنه كان من خطط « حلف الاستعمار والصهيونية » « خطة ضرب مصر بأقسى العنف ، ضربها مباشرة ، كما حدث سنة ١٩٥٦ و ١٩٦٧ ، أو جرها الى ميادين بعيدة لاستنزافها ، كما حدث سنة ١٩٦٢ الى سنة ١٩٦٦ فى اليمن » وحين أوجز القيمة التاريخية لهذه الملحمة النضالية التى صنعتها مصر على أرض اليمن ـ معبرة بذلك عن أوج عنفوانها الثورى ، وحيويتها القومية الفائقة ـ فى كلمات تفصح عن خيبة الامل فقط من نتيجة هذه الملحمة ، ولاتعكس التحليل الموضوعى المفترض الذى يبين أسباب تعثر ثورة سبتمبر ، حيث كتب : « ان حرب اليمن كانت ماتزال تجر أذيالها بكل اثقالها النفسية والمادية على الشعب المصرى وعلى قواته المسلحة ، وكانت المشكلة أن هذه الحرب قد جرى تدويلها من الجانب الآخر ، وانتقل كل المرتزقة الاجانب بمقدرة تنظيم وكالة المخابرات الامريكية ، وباعتمادات لاتنفد من المصالح المسيطرة فى شبه الجزيرة العربية ـ الى ذلك البلد الغامض والموحش الذى توقف تطوره « قبل عدة قرون » وحين صور حصيلة هذه التجربة الثورية بمثل هذه الكلمات : « وحين بدأت تجربة مصر فى التنمية تنجح ، فقد جرى استدراجها الى بالوعة اليمن » ! وحين لخص حصيلة عمل مصر فى اليمن بأنها ذهبت اليها « وتركت على جبالها أربعة آلاف شهيد » وحين اغفل الحديث نهائيا عن الجوانب الايجابية المضيئة والمشرفة والعظيمة التى أحدثتها وشقت لها مكانا فى الصخر ثورة ٢٣ يوليو بذهابها الى اليمن ، والتى تركتها أيضا ثورة ٢٦ سبتمبر فى حياة وكيان ووعى الشعب اليمنى ،

حتى وان بدا بعضها مطموسا ومهالا عليه التراب بفعل الردة التى لحقت بالثورة ـ وحين لم ير بين قوافل قوى الثـــورة والتقدم فى اليمن ، سوى ذلك النفر من الزعماء التقليديين ، الذى سوف يذكر بالحكم اليمانية « اكثر مما يذكر بأى دور سياسى قام به » ـ قاصدا بذلك الاريانى ! (١٤) ٠

على أن ماتجدر الاشارة اليه هو أن الاستاذ هيكل الذى لايمكن اتهامه بالأقليمية نبه ـ وكأنه أراد ان يدخل بعض التعـــديل على أفكاره السالفة ـ نبه فى مقاله الهام « الخطر فوق البحر الاحمر » الذى نشر فى اهرام ١٩٧٢/١٠/٢٧ الى الاهمية الفائقة لقيام ثورة ٢٦ سبتمبر ، وعملية التداعى الثورية التى ترتبت على نشوبها فيما يتعلق بمواجهة الاحتلال البريطانى فى جنوب البلاد ، كما نبه الى الاثر الباقى الذى تركه تواجد الجيش المصرى فى الساحة اليمنية لمدة خمس سنوات ، والى التغييرات الايجابية التاريخية والسياسية التى احدثها على مجرى الاحداث فى جنوب الجزيرة العربية ٠

فرغم أنه كان « واحدا من الذين تحفظوا بشدة على التدخل العســـكرى المصرى فى اليمن » حيث كان « رأيى أن الظروف فى اليمن ليست مهيأة لنجاح الثورة فيه الا بتكاليف باهظة » الا أنه ـ وقد حدث التدخل العسكرى المصرى ـ ورغم أن « التجربة فى بعض جوانبها كانت شبه كابوس لايريد أحد أن يتذكره » أكد الدواعى المشروعة والاسباب الوجيهة لهذا التدخل ، والنتائج البالغة الاهمية التى نجمت عنه ، وجاءت فى خدمة الثورة اليمنية والعربية معا ، وحدد هذه الاسباب والنتائج على النحو التالى :

« منها اننا لايجب ان نسمح بضرب ثورة قامت فى شـــبه الجزيرة ، مهما بدت فرص الحياة صعبة وعسيرة ٠

ومنها أن تدخلنا سوف يدفع رياح التغيير الى شـبه الجزيرة العربية ، وهذا مهم بالنسبة للموازين العامة للقوة العربية ، وبالفعل فان الامامه زالت من اليمن ، كما أن الجنـوب العربى تحـــول من مستعمرة بريطانية الى دولة عربية مستقلة ٠

ومنها ـ وهـــذا هو اهم الاعتبارات فى رأيى ـ ان التغييرات المحتملة فى الجنوب يمكن أن تساعد على وضع استراتيجية عربيـة تكفل سيادة عربية كاملة على البحر الاحمر ، واهميته الاستراتيجية لاتنكر كطريق مابين البحر الابيض والمحيط الهندى ٠ وكانت سلامة

البحر الاحمر خطا استراتيجيا ثابتا فى كل عصر من عصور القوة المصرية ، منذ امبراطورية تحتمس الثالث الفرعونية ، والى جمهورية جمال عبد الناصر العربية » أكثر من ذلك فان الاستاذ هيكل وضع الامور فى وضعها الصحيح ، عندما كتب فى أهرام ١٩٧٢/١٢/٢٢ :
« يناير سنة ١٩٦٤ كانت الامة العربية منقسمة على نفسها ، بسبب التناقضات الاجتماعية ، ووصلت حدة هذه التناقضات الى حد الحرب الاهلية فى اليمن ، ولم تكن الحرب في اليمن حربا أهلية يمنية ، وانما كانت فى الحقيقة حربا اهلية عربية ، لأن الجمهورية الوليدة فى اليمن كانت وقتها تمثل معنى اجتماعيا محددا ، كما أن النظام الملكى المنهار بأسرة حميد الدين فى اليمن كان يمثل معنى اجتماعيا محددا ، وحددت كل القوى العربية مواقفها ، وكان الاختيار اجتماعيا بالدرجة الاولى ، وبصفة عامة فان الجمهوريات فى العالم العربى وقفت وراء أسرة حميد الدين المنهارة ، بدرجات متفاوتة أيضا .. ولعلى أقول بأمانة وموضوعية أن مصر تتحمل جزءا من مسئولية التعثر والتوقف، لأنها فى ذلك الوقت حاولت أن تستعمل روح مؤتمرات القمة لانهاء الحرب فى اليمن لصالح الجمهورية فى صنعاء ، وكان ذلك أكثر مما تتحمله الظروف ، وأولها حقيقة قوة النظام الجمهورى فى صنعاء ! »

وعلى أى حال فقد تولى الرئيس محمد أنور السادات بدوره ــ وهو الذى تابع قضية اليمن منذ البداية متابعة خاصة ــ مهمة حسم الأمر ، وتوضيح العلاقة بين محاولات المساس بسيادة مصر ، وثورة اليمن ، وعدوان ١٩٦٧ ، واعتبر كل ذلك حلقات فى سلسلة الصدام الواسع مع الاستعمار الامريكى ، حيث قال فى خطاب ١٩٧٢/٧/٢٤ :
« أن حرب سنة ١٩٦٧ لم تبدأ فى الحقيقة سنة ١٩٦٧ ، وانما بدأت قبل ذلك بسنوات ، ان معارك الايام الستة بدأت قبل ذلك بكثير بمعارك ساخنة ومعارك باردة ، وكانت هنــــاك معركة اليمن مثلا ســــاخنة ، وفى نفس الوقت كانت هناك معــــركة باردة تدور فى القاهرة ، حيث طلبت الولايات المتحدة الامريكيــــة ســنة ٦٣ حق التفتيش على مصانعنا الحربية بدعوى التأكد من وجــــود توازن فى القوى المسلحة بيننا وبين اسرائيل » (الاهرام ٧٢/٧/٢٥) .

صحيح أنه فيما يتعلق بثورة ٢٦ سبتمبر فان المقومات الذاتية والشروط الموضوعية وغيرها من العوامل الاجتماعية والسياســـية الداخلية لم تكن قد أخذت فرصتها الطبيعية والضرورية للاختمار والنضج والاكتمال ، حتى تستغنى الثورة بقواها عن كل دعم خارجى

حاسم ، ولكن ذلك لايمنع من القول بأنه بفضل دعم ثورة ٢٣ يوليو الفعال والقوى أمكن استكمال كثير من جوانب النقص فى هذه الثورة ، التى لم يكن تكالب الاستعمار وقوى التخلف ضدها الا برهانا على مدى اصالتها وخطورتها عليها ، والتى لم يكن انتكاسها يدل فقط على ضعف مكوناتها الداخلية اللازمة ، وعدم كفاية وغناء العوامل الخارجية المساعدة ، وانما دل أيضا على انها كانت حركة وطنية معادية للاستعمار والرجعية الاقطاعية والكهنوتية . ولذلك فانها رغم حرب التدخل الشرسة والطويلة التى شنت عليها ، ورغم النكسة التى لحقتها ، ونجاح الثورة المضادة فى الاحاطة بها ، فانها تمكنت بفضل موقف الشجاعة والاستماتة الذى أظهرته القوى الشعبية ، والجيش الحديث ، الذى ساعدت مصر فى تكوينه من الحفاظ على منجزاتها التقدمية ، وعلى رأسها النظام الجمهورى .

تقييم عبد الناصر للثورة اليمنية :

وليس هناك من هو أجدر بتقييم ثورة ٢٦ سبتمبر من عبد الناصر نفسه ، الذى كانت له اليد الطولى فى نشوبها وقيام نظامها الجمهورى فى صنعاء ، وفى تحقيق الاستقلال للجنوب اليمنى ، فبمثل هذه اللهجة القومية الواثقة والصادقة يتحدث عن الثورة اليمنية ، وعلاقة مصر بها : « الشعب اليمنى فرض الثورة ، وبارادة التغيير قامت الثورة ، وحين ما طلب الينا أن نساند هذه الثورة ، فقد ذهبت قواتنا الى اليمن ، وهى تعتقد أنها تقوم بهذا بواجب أصيل فى ارادة التغيير العربية » ويؤكد بحزم اننا « صممنا على أن نقوم بدورنا الطليعى ، دورنا النضالى ، دورنا الثورى ، وذهبنا الى اليمن لمساندة ثورة اليمن ضد الاستعمار والرجعية » وان وقوفنا « وانتصارنا الى جانب الثورة اليمنية ، وتأييدنا لثورة الجنوب العربى » استلزم مساعدة « القوى الوطنية فى الجنوب المحتل بكل امكانياتنا » (١٥) وانه « كما ذهبنا الى اليمن ، كنا نشعر أننا نؤدى واجبا علينا ، تستدعيه المبادىء التى نادينا بها .. وحدة النضال العربى » (١٦) .

الثورة اليمنية فى مفهوم القوى الديمقراطية المصرية :

وليس هناك ما هو اقرب الى الحقيقة فى تقييم ثورة ٢٦ سبتمبر، التى احبطت محاولات احتواء ومحاصرة وضرب ثورة ٢٣ يوليو ، ودور مصر ازاءها مما كتبه الاستاذ محمد عودة فى هذا المجال : «وفى

سنة ١٩٦٢ وقع الحدث الذى قلب كل الخطط ، قامت الثورة حيث لايتوقع احد ولا يخطر بباله ، فى اليمن · وكانت دلالة على خصوبة وأصاله الثورة العربية ، وعلى امتداد جذورها في كل مكان ، وانها اذا انحصرت فى الشرق ، انفجـــرت فى الغرب ، واذا حوصرت فى الشـــمال ، انبثقت فى الجنوب ، ولكن كانت (كان) لثورة اليمن مغزى أخطر ، وهى لم تقلب اشد المجتمعات تخلفا فحسب ، ولكنها نقلت الخطر الزاحف الى قلب مصر بعيدا جدا ، وعلى الطرف الآخر ، وهى حملت الثـــورة الى قلب الامبراطورية الامريكية ، امبراطورية البترول ، وهى القلعة واثمن ما تملك ، وارسلت الجمهورية العربية المتحدة الجيش المصرى ، وكان الطريق الوحيد لحماية الثورة ، وكان التزاما تاريخيا ، تفرضه وحدة الثورة ، وكان عملا جديدا من نوعه، أكد صدق المبادىء والقدرة على تحقيقها ، وتبصيرها · وقل هنرى كيسنجر ان هذا هو اخطر ما حدث ، وانه يحـــدد كل شيء ، حتى آخر حدود ايران !» (١٧) ويستطرد الكاتب المصرى فى مكان آخر فى شرح الابعاد الثورية لقيام هذا الحدث الفريد والاول من نوعه فى جزيرة العرب ، وعلاقة وجود جيش الثورة العربية داخل هذه الجزيرة باشتداد سعار الامبريالية ، وجنون قوى التخلف المحلية قائلا : «فى سنه ١٩٦٢ قامت ثورة اليمن ، فى اشد البلاد العربية تخلفا وانغلاقا، وسقط نظام عتيق ، بال ، واعلنت جمهورية ثورية · ولم يكن كل مغزى الثورة فى اليمن أنها اطاحت بنظام شديد التخلف ، ولكن انها وقعت فى قلب امبراطورية البترول ، ومحور كل المشاريع والمطامع الامبريالية الكبيرة ، وهذه مواقع جوهرية حصنتها وأمنتها الامبريالية بسلسلة من النظم الملائمة ، حتى تحـــدتها جميعا الثورة الجديدة » حينئذ « سارعت القوى الامبريالية للقضاء فورا على ثورة اليمن ، ولكن الثورة استنجدت بمصر ، وسارع الجيش المصرى الى هناك ، حيث رد القوى المعادية ، واستطاع تثبيت وتأمين الثورة والجمهورية، وكان مثلا تاريخيا للعمل الثورى العربى ، قدمه جيش مصر من أجل المبادىء والمثل ، وكان انتصار ثورة اليمن ، وقيام وجود عسكرى مصرى فى قلب امبراطورية البترول حافزا للانتعاش وازدهار القوى الوطنية والثورية فى كل المنطقة ·

وكانت قوى مقهورة مكبوتة ، ولكن عارمة ، واقوى مما تصور الجميع ، ولهذا فاض الحقد والحنق على مصر وعلى جيش مصر»(١٨) ·
وكم كانت جريدة الجمهورية القاهرية محقة وصائبة ، عندما

تصدت بالرد على القائلين بأن سياسة مصر خلال حياة عبد الناصر كانت تقوم فقط على اثارة المتاعب هنا وهناك ، دون أن يكون لهـا مردود ايجابى داخل مصر وخارجها ، فكتبت فى عدد ١٩٧٢/٥/٢٢ « وليس من شك فى أن هذه السياسة قد جرت على مصر كثيرا من المتاعب ، الا أن هذه المتاعب نفسها كانت دليلا واضحا على نجاح هذه السياسة ، وانها سببت للاستعمار متاعب أكثر فضلا عن ذلك فان شعب مصر كان يحقق ذاته من خلال هذه السياســـــة ، فتـاريخه ونضاله ودوره الحضارى لم يكن يتيح له موقفا غير هذا الموقف ، تعبيرا عن اخلاصه لمبادئه ، والتزاما بها ٠ وذلك ما اعطى لحركة مصر فعالية كبيرة ، وجعل صوتها مسموعا فى الساحة الدولية » ٠ وحتى بعض الكتـــاب الليبراليين الذين ينطلقون من مفهوم « مصر أولا » و « مصر للمصريين » ـ كالاستاذ احسان عبد القدوس ـ فانه يرى أن تحـــرك الجيش المصرى نحو اليمن لم يكن بدون هـدف ثورى مشروع ، وهو الدفاع عن الثـــورة المصرية ذاتها ، حيث كتب فى فى جريدة أخبار اليوم ، عدد ١٩٧٢/٧/٨ : « وقد مدت الثـــورة المصرية خطوتها الى كل العالم العـــــربى وكان ايمانها فى فترة من الفترات يقوم على ان نوع نظام الحكم داخل كل بلد عربى يشكل مركزا من مراكز الدفاع لذلك اشتركت الثورة فى ثورة الجزائر ، وفى سوريا ، وفى لبنان ، ووصلت الى اليمن فى حرب مع السعودية ٠٠ و ٠٠ و ٠٠ وكل ذلك تحت الحاح الايمان بأن القوى الاستعمارية والقوة المضادة فى أى بلد هى خطر على مصر » ٠

وعلى عكس ما يرى الذين يعتبرون الحرب التي دارت فى اليمن من أسباب نكسة يونيو ١٩٦٧ فأن جريدةالجمهورية فى مقالها الآنف الذكر تحلل قضية العدوان من اساسها من منظور تقدمى على النحو التالى : « ولو أننا نظرنا بالتحليل لعدوان ١٩٦٧ على مصر لوجدنا أن أحد اهدافه الرئيســـية هو « اعادة مصر الى حجمها الطبيعى » وشغلها بقضـــيتها الخاصة عن اثارة المتاعب للاســـتعمار فى العالم الثالث ٠ وليس من شك فى أننا لو استســـلمنا لذلك لكنا نحقق للاستعمار هدفا مزدوجا هو هزيمتنا من ناحية ، والقضاء على حركة التحرر العالمى » كما أشار الاستاذ أحمد بهاء الدين فى الاهرام عدد ١٩٧٢/٤/٣٠ الى أنه كان من اهداف الاســـتعمار واسرائيل بشن عدوان ١٩٦٧ على مصر هو تدمير قوتها العسكرية ونفوذها السياسى، بعد أن جاوز حدودها الى بقاع منالوطن العربى «خصوصا وان امريكا

وجدت أن هناك حالات ذهبت فيها قواتنا العسكرية خارج مصر : فى اليمن على نطاق واسع ، وفى العراق ، وافى الجزائر فى بعض الظروف على نطاق محدود • كما وجدت أمريكا لهذه التحركات أثرها « المعنوى » الخطير فى المنطقة ، جعلت مصر فى بعض الظروف على قمة قيادة المنطقة ، شريكا يحسب حسابه فى كل حركة يتحركها احد من المحيط الى الخليج » •

تقييمات برجوازية صغيرة :

واذا كان هنـــاك اليوم من يريد لصنعاء ــ التى لم تصـــنع جمهوريتها ، ولم تستخلص ثورتها ، الا بعملية جراحية تاريخيـــة دامية ، مزقت بها احشاء القرون الوســـطى ، والا بعملية مواجهة قومية شاملة حازمة ، مادت لها جزيرة العرب ، وانشطر بها العالم العربى ، وكبحت بصدمتها قوى التخلف المحلية ، وهدمت مواقع الاستعمار ــ من يريد لها أن تعود الى مثل ما كانت عليه فى عهد الامامة الكهنوتى المقيت ، عضوا اشل فى الجسم العربى ، وبلدا معزولا عن الركب التحررى ، ومبتعدا عن قضايا النضال القومى ، ليس له رسالة ازاء أمته العربية ، التى ساهمت بدور رئيسى وحاسم فى انتزاعه من كهوف التخلف ، وبراثن الجهالة التى كانت تطبــق عليه والتى تواجه اليوم معركة حياتها ووجودها ومصيرها مع قوى الاستعمار والصهيونية ــ من يريد لهذا البلد سوى الانكفاء مرة أخرى على نفسه ، والاستغراق فى النوم الطويل من جديد ، والتلذذ الابله بدفء مضاجعة « السادة » الجدد ، القادمين من خلف الحدود،وفتح الابواب على مصاريعها ، والاحضان على اتساعها ، « لدخول الحضارة الغربيـــة » التى طال التطلع اليها ، والحـــرمان منها ، ومطارحة الامبريالية الغرام اللاهب ، اقول اذا كان هناك اليوم من لايتصور لصنعاء مصيرا غير هذا المصير المشئوم ، ومن يدفعها اليه دفعا ، فأن جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية تبقى ــ موضوعيا ، وايا كانت تحفظاتنا على سياســـتها العامة ــ هى رمز حيوية الثورة اليمنيـــة بافاقها الديمقراطية والتقدمية ، وهى تستطيع اذا ما حملت مسئوليتها فى بناء حركة وطنية يمنية موحدة ان تحـــافظ وتنمى كل تقاليد شعبنا الثورية ، وكل منجزات الثورة العربية فى اليمن ، وان تلعب دورها الوطنى الكامل فى توفير واستكمال الشروط اللازمة لبنـاء وقيام دولة اليمن الوطنية الموحدة •

ولذلك لا ينبغي ان نغضـب كثيرا عندما نقرأ لغو الحديث عن الثورة اليمنيه ، وعن دور مصر ازاءها ، كذلك اللغو الذى يصـور امجاد شعبنا اليمني والمصرى فى اليمن على هذا النحو غير المقبول : « رحل الامام • قامت ثورة بالغلط ، نجحت بدون تخطيط ، جاء ٧٠ ألف عسـكرى مصرى لدعم الثورة ، الوجود العسكرى المصرى ، نتيجة لغياب وجود الادارة اليمنية تسلم هو الحكم فى اليمن ، كان هم الحكم المصرى عسـكرى (عسـكريا) ، ولذا فلم يعر الادارة أى اهتمام ، وبالتالى فقدت المشاركة الاسـاسية لليمنيين فى الحكم ، اسـتمرت الحـرب ، واسـتمر معها الاسـتنزاف ، جاء عام ١٩٦٧ فأنسحب الجيش المصرى تاركا اليمن » حيث انفسـح المجال لايقاف و « انهاء حرب الاستنزاف ، وقيام المصـالحة » مع « جميع الملكيين كاخوة ومواطنين » وحيث « كان علينا من جهة أخرى ان نقنع اخواننا ايضا بمثل هذا الامر وهم الذين لثماني سـنوات خلت يقاتلون « محقونين » بالشعارات الثورية » وان نواجه من حولنا ممن « هو صيني سوفياتي لينيني ماركسى ، ولذا فنحن بالنسبة اليه رجعيون متواطئون » وان ننبذ شـعارات العرب القومية والثورية الفارغة المتمثلة فى واقع اننا « نحن العرب عرب شعارات » وان نستبدل بها شعارا يمنيا واحدا يلخص كل مبادئنا وخط سيرنا ومجمل سياستنا الداخلية ، الا وهو « اننا يمنيون واعباء اليمن ومشاكلها وظروفها لا تسـمح لنا بأن نكون غير ذلك ، أو اكثر من ذلك » (١٩) من الواضح أن مثل هذه التقييمات تعكس اقليمية وضـيق أفق بعض فئات البورجوازية الصغيرة الرثة !

ومن الجـدير بالملاحظـة هنا ان امثـال هـذه التقييمات غير الموضوعية لثورة سبتمبر ودور مصر ازاءها ، لم تختلف ـ عمليا ـ قط عما ركزت عليه الدعاية الخارجية حتى الاسرائيلية التى كانت أسبق من غيرها فى اعتبار ان مساعدة مصر للثورة اليمنية كانت أحد عوامل تدهور الاوضاع فى مصر ، حيث « كانت حرب اليمن أحد هذه الاسباب » ـ كما نقلت اخبار اليوم القاهرية فى ١٩٧٢/٢/٢٦ عن المصادر الاسرائيلية •

ان مما يدعو الى الدهشة أن مثل هذه التقييمات الذاتية لم تعد تجرؤ حتى ألسـنة الملكيين اليمنيين على النطق بها ، وهم الذين حاربوا الثورة منذ لحظة قيامها وحتى لحظة التصالح معهم فى مارس ١٩٧٠ ، والذين لم يملك وزير خارجيتهم السابق احمد الشامى ـ

بعد ان اصبح عضوا فى المجلس الجمهورى بصنعاء قبل أن يعين سفيرا فى لندن ثم باريس ــ أثناء حديثه عن الانجازات التى تحققت فى ظل ثورة ٢٦ سبتمبر ، بفضل الدعم الاخوى والقوى لثـــورة ٢٣ يوليو الا أن يعترف بالحقيقة الساطعة التى حاول طمسها مثل هؤلاء الجمهوريين الذين بمثل هذه التقييمات بدوا كما لو كانوا قد أصبحوا « ملكيين أكثر من الملك » فقد قال الشــامى فى تصريح له نشرته الجمهورية القاهرية فى ١١ / ٦ / ١٩٧٠ ، لقد تركت اليمن قرية مهجورة ، فعدت اليها بعد ان اصبحت دولة كاملة ! ولا شـــك أن الدور الذى قامت به الجمهورية العربية المتحدة فى هذا المجـــال لن يمحى أو ينسى بل سيظل على الدوام علامة مشرفة لما قدمته الشقيقة الكبرى لليمن » .

لقد كانت حصيلة تعامل الثورة اليمنية ــ بشقيها ــ مع الواقع اليمنى المتخلف والمعقد ، ونتيجة تفاعلها مع تيار الثورة العربية أن أصبحت هناك على المستوى الرسمى ــ رؤيتان ، رؤية أميل ما تكون الى « التقليدية » فى شـــــمال البلاد ، ورؤية أميل ما تكون الى « اليســارية » فى جنوبها ، وان ما يهمنا هنا هو التعرف على ملامح الرؤية اليسارية .

الرؤية اليسارية :

فانطلاقا من واقع « ان العصر الراهن من حيث جوهره التاريخى هو عصر الثورة الاشتراكية وانتصـــارها فى اكثر من بلد ، عصر نهوض حركة التحرر الوطنى ، وانهيار النظام الاســتعمارى عالميا ، ودخول معظم شعوب العالم مرحلة الثورة الاشـــتراكية على النطاق العالمى » فان الثورة فى اليمن الديمقراطية الشعبية التى « تنطلق فى سياستها الخارجية من طبيعة هذا العصر ، وموقعهـــا فيه » تعتبر نفسها جزءا لا يتجزأ من القوى الثورية الاساسية الثلاث فى عصرنا ، المعسكر الاشـــتراكى والحركات العمالية العالمية ، وحركة التحرر الوطنى العربية والعالمية » وهى لذلك تعمل من أجل تحقيق ترابط وحدة فصـــائل الثورة العربية » و « اقامة الجبهة العربية التقدمية الديمقراطية لتوحيد نضـــالها المشترك ضد الامبريالية والرجعية العربية والصـــهيونية ، ممثلة بقواعدها العسكرية واحتكاراتها الرأسمالية » . وهى تؤيد «١» .

« كافة الجهود من اجل توحيد كافة القوى الوطنية الديمقراطية

من أجل النضال العادل ضد الاستعمار البريطاني وسيطرة الاحتكارات الامبريالية العالمية ، وضد كل الركائز العميلة ، وفي سبيل الاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي .

«ب» حركة التحرر الوطني في الجزيرة العربية ضد القواعد العسكرية الامبريالية وسيطرة الاحتكارات .. » ولأن « اليمن الديمقراطية تعتبر المعسكر الاشتراكي هو الحليف الثوري لها ، وتحرص على خلق امتن العلاقات النضالية معه » فانها ـ شأن ما فعلته الثورة الام في مصر من قبل ـ تدعو الى « وحدة المعسكر الاشتراكي » وان لم تحدد مركز الثقل فيه ، باعتبار ان هذه الوحدة « ليست ضرورة من أجل تقوية النفوذ المتعاظم للاشتراكية في العالم فحسب ، بل ضرورة لدعم الحركة العمالية واحزابها الطليعية ، وكذلك حركة التحرر الوطني العالمية ، من أجل تصعيد النضال ضد القوى الامبريالية ، وفي سبيل انتصار الاشتراكية في العالم بأسره » (٢٠) .

تأثير الفكر الناصري في فكر القومية :

ان تأثير ثورة يوليو الواضح على فرع حركة القوميين العرب السابقة في اليمن ـ وفي الجبهة القومية بالذات ـ اذا ما استثنينا بعض نزعاتها اليسارية المتطرفة ـ التي أخذت تتلاشى الآن يتجلى ـ اضافة الى ماتقدم ـ في مسألة الموقف من « التنظيم السياسي » ، الذي تأثر فيه تنظيم الجبهة القومية أعمق التأثر بالفكر الناصري ، وفي مسألة ما ينبثق عنه من تنظيم طليعي ، ويتبناه من افكار اشتراكية .

فمنذ صدور الميثاق الوطني في ١٩٦٢ كانت ثورة يوليو الرائدة قد اعلنت تبنيها للمفهوم العلمي للاشتراكية باعتبار « ان الاشتراكية العلمية هي الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم » (٢١) في نفس الوقت الذي شدد فيه عبد الناصر بالحاح وباستمرار ـ بقصد حسم الجدل الذي احتدم في المنطقة العربية حول مفهوم الاشتراكية العلمية والاشتراكية العربية ـ على القول : « انا رأيي تطبيق عربي للاشتراكية ، مش اشتراكية عربية ، اعتقد أن فيه اشتراكية واحدة ، وفيه مبادىء للاشتراكية » (٢٢) واعاد التأكيد غير مرة بأنه سبق أن « نص الميثاق على انها اشتراكية علميه ، ولا يمكن أن نجعلها بخلاف ما هو منصوص عليها في

الميثاق ، وليس هناك ما يوصم الاشتراكية العلمية بالكفر » (٢٣) ٠
كما أكد على ضرورة قيام تحالف وطني ديمقراطي اسـمي « بالاتحاد الاشتراكي العربي » يضم قوى الشعب العاملة من العمال والفلاحين والمثقفين والبورجوازية الوطنية والجنود على شرط « تكوين حزب اشتراكي داخل الاتحاد الاشتراكي » ـ وهو « الذى عبرنا عنه في الميثاق بأنه الجهاز السـياسي ٠٠ ومعنى ذلك ان يكون عندنا تنظيمان ، التنظيم العام وهو الاتحاد الاشـتراكي والتنظيم الخاص وهو الجهاز السياسي ، وفي تصوري ان الجهاز السياسي لابد ان يكون عبارة عن حزب اشتراكي ٠٠ يجمع الصفوة من الاشتراكيين الذين يمكن ان يكونوا الدعاة الحقيقيين للاشـتراكية ، والذين يعتبرون بمثابة العمود الفقري للاشتراكية » وذلك قياساً على ماهو « موجود في يوغسـلافيا مثلا ، حيث يوجد اتحاد الشـيوعيين ، والاتحاد الاشتراكي ، واتحاد الشيوعيين ، يضم عددا قليلا ، واستطاعوا بذلك ان يسيروا الاتحاد الاشتراكي ، ومن هنا أهمية التنظيم الاشتراكي الطليعي الذى ينبثق من داخل الاتحاد الاشتراكي ، والذى يقود مرحلة الأنتقال الى الأشتراكية ، مرورا بمرحلة التطور غير الرأسـمالية ، وبدون هذا الجهاز لسياسي ، والذى اسميه الحزب الاشتراكي فلن نستطيع أن نقود الجماهير أو نتصدى للقوى المضادة » (٢٤) ٠

اخذ الجبهة القومية بالصيغة التحالفية والحزبية الناصرية :

ومن جهة اخرى ، وكصـدى طبيعي لتأثير تجربة ٢٣ يوليو الثوريه واندفاعها الثورى فان الجبهة القومية لم تنشأ وتنطلق الا في ظل الوجود المصرى القومي في اليمن ، وبمساعدته ، وتحت جاذبية المفاهيم الناصرية ، وبانخراط المجاميع الناصرية فيها ، اضـافة الى مجـاميع حركة القوميين العرب في اليمن ، التي كانت هي الاخرى متأثرة بالفكر الناصرى حتى النخاع ، حيث « مكنت علاقاتها الحسنة بالناصرية من ازدياد نفوذها وقوتها » كما جاء في التقرير السياسي الذى ألقاه عبد الفتاح اسماعيل ، الامين العام للجبهة القومية ، في المؤتمر العام الخامس للجبهة القومية في ٢ / ٣ / ١٩٧٢ (ص ٢٩) وحيث كانت « تعيش الحركة مدا في ظل امتـداد التيار الناصرى » كما كتب عبد الله الخامرى ، عضو اللجنة المركزية للجبهة القومية في جريدة الثورى العدنية ، عدد ٢٩ / ٦ / ١٩٧٢ ٠
وقد ظل تأثير الفكر الناصرى في الجبهة القومية مستمرا وقائما

حتى الآن ، سواء من ناحية التمسك بالاختيار الناصرى فيما يتعلق باقامه « التنظيم الســـــياسى » الواحد الذى يجمع قوى التحالف الوطنية الديمقراطية والذى كانت وظلت « الجبهة القـــومية » هى التعبير التنظيمى له ، أو من ناحية اعتماد الصـــــيغة الناصرية فى ضرورة انبثاق حزب اشــــتراكي من حضن التحالف الديمقراطى (الجبهة القومية) ، يتبنى الاشتراكية العلمية ، ويقوم بتطبيقها فى ضــــوء الواقع فى اليمن الديمقراطية ، حيث ينص برنامج الجبهة القومية (ص ٣٨ ـ ٤٠) على أن « التنظيم السياسى للجبهة القومية فى بلادنا هو أداة مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، باعتبـارها الاطار العريض للتحالف الواســـع بين كل القوى الديمقراطيــــة ، صاحبة المصــلحة الحقيقية فى الثورة الوطنية الديمقراطية من عمال وفلاحين ، وجنود ، ومثقفين ، ثوريين ، وبرجوازية صغيرة » وحيث يشير الى ان كل التجارب الثورية قد أكدت بقوة « الاهمية التاريخية لدور الحزب الطليعي فى قيادة الثورة ، ومدى المخاطر الجسيمة التى يمكن ان تتعرض لها أى ثورة فى ظل غيـــاب الحزب الطليعى ، وان الثورة فى بلادنا تؤمن اكثر من أى وقت مضى بأن الحزب اطليعى هو الضـــــمان الوحيد لتحقيق قدرتها على قيادة الثورة ، وانجاز المهام المرحلية والتاريخية لها ، ولذلك فان العمل من اجل قيـــام الحزب الطليعى من داخل اطار التنظيم الســـياسى ـ الجبهة القومية ـ وفى سبيل قيام الحزب الطليعى اليمنى الموحد ، قضية اســــتراتيجية ضرورية ٠ أنه القيادة المسلحة بأيديولوجية الاشـــتراكية العلمية ٠ القيادة المنظمة والواعية والقادرة على تحقيق المهام المرحلية المرتبطة بالمهام الاستراتيجية للثورة اليمنية » ٠

وفى ضوء هذا المنهج حل كل من « الاتحاد الشعبى الديمقراطى ـ تجمع شيوعى ـ و « حزب الطليعة الشعبية » ـ تجمع ماركسى ـ نفسيهما ـ كما حدث فى مصر تماما ـ ودخـــــلا فى اطار التنظيم السياسى الموحد ـ الجبهة القومية ، تمهيدا لقيام حزب طليعى من داخل الجبهة خاص بجمهورية اليمن الديمقراطية ٠

بصمات الميثاق الوطنى على برنامج الجبهة القومية :

وعن العلاقة بين النظرية الاشتراكية العلمية والتطبيق المحلى لها فى ضوء ظروف وخصائص المجتمع فى اليمن الديمقراطية يتحدث برنامج الجبهة القومية (ص ١٨ ـ ١٩) قائلا : « فالفكر الاشتراكى

العلمى لا يمكن أن يؤخذ بشـــكل مجرد عن الواقع • والتجارب الأشـــتراكية لايمكن النظر اليها كقوالب ألية يمكن استيرادهـــا أو نسخها • ان ثورتنا مع الاســـتفادة من ايجابيات كل التجارب الاشتراكية يجب ان تناضل من أجل تطبيق الفكر الاشتراكى العلمى بصورة صحيحة وخلاقة على واقعنا اليمنى ، لنتمكن من صنع تجربة يمنية تقدمية ، ولنتمكن من اعادة بناء المجتمع اليمنى الجديد ، ومن أجل خلق أفضـــل العلاقات الايجابية مع حركة الثورة العـــربية والعالمية » •

ترى هل هناك فارق جوهرى فى المغزى العام بين مثل هـــذه الفقرة وبين ما نص عليه الميثاق المصرى بقوله : « ان التجـــارب الاجتماعية لا تعيش فى عزلة عن بعضها ، وانما التجارب الاجتماعية ـ كجزء من الحضارة الانسانية ـ تعيش بالانتقال الخصب وبالتفاعل الخلاق ، ان مشعل الحضـــارة انتقل من بلد الى بلد ، ولكنه فى كل بلد كان يحصل على زيت جديد يقوى به ضوءه على امتداد الزمان ، انها قابله للانتقال ، ولكنها ليســـت قابلة لمجرد النقل ، قابلة للدراســـة المفيدة ، ولكنها ليست قابلة لمجرد الحفظ عن طريق التكرار » (ص ١٩) وما ذكره الميثاق ايضـــا عن ضرورة ان يكون لدى المواطن « فكر مفتوح لكل التجارب الانســـانية يأخذ منها ويعطيها ، لا يبعدها عنه بالتعصب ولا يصد نفســـه عنها بالعقد » (ص ١٠) وما ركز عليه « عن عمـومية » المبـادىء والقوانين العامة « وخصوصية » الاساليب المناسبة لتطبيقها بقوله : « وليس معنى ذلك ان النضال الوطنى للشعوب وللامم مطالب اليوم بأن يخترع مفاهيم جديدة لاهدافه الكبرى ، ولكن معناه أنه مطالب بأن يجـــد الاساليب المســـايرة لاتجاه التطور العام ، والمتفقة مع طبيعة العالم المتغيرة » (ص ١٦) وهو ما اوضحه كذلك عبد الناصر شخصـــيا عندما رد على الذين يريدون « ان يكون نظامنا وسطا بين الشيوعية والرأسمالية » مؤكدا بأن « اتخاذ موقف وســـط فى مجال العقائد الاجتماعية أمر مستحيل » وان لم تكن هناك « بابوية فى الاشتراكية » حيث انه لا توجد « نصـــوص جامدة ، ولا نصـــوص ناشفة » (الناصرية ـ عبد الله امام ، ص ١١٢ ـ ١١٣) •

من ذلك كله يتضـــح أن ما أخذه الزعيم الليبى العقيد معمر القذافى على بعض ثوار اليمن لقولهم بأن « الاشـــتراكية واحدة ، وتطبيقاتها تختلف ، مثلما يقول « عبد الفتاح اسماعيل » فى اليمن

الشعبية لم يكونوا فيه مبتدعين ، وانما متبعين لعبد الناصر والميثاق ، وذلك ما أشار اليه عبد الفتاح اسماعيل عندما قال : « فاذا كنا قد اعلنا الاشتراكية العلمية فى المؤتمر الخامس فقد اعلنتها الجمهورية العربية المتحدة قبل خمس سنوات » ، (الثورى العدنية ٢٦ / ١٠ / ١٩٧٢) .

انعكاس النظرة الناصرية العامة فى وثائق الجبهة القومية :

وكما اشار عبد الناصر فى الجلسة الافتتاحية لمجلس الامة يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٦٤ – بقوة وحسم – الى الدور السياسى الخاص الذى تلعبه الطبقة العاملة فى طليعة قوى التحالف الوطنى والشعبى فى مرحله بناء الاشتراكية قائلا « وهذه الطبقة العاملة تمثل فى النظام الاشتراكى المركز القيادى » (٢٥) فان برنامج الجبهة القومية يتحدث فى (ص ٣٨ – ٣٩) عن الاهمية الخاصة للطبقة العاملة فى قيادة التحالف الثورى عبر المرحلة الديمقراطية والاشتراكية معا بمثل هذه العبارة : « أن المرحلة الراهنة فى بلادنا تستوجب تعزيز التحالفات الوطنية ، الا أن هذا يجب أن يتم فى ظل تحالف القوى الأساسية للعمال والفلاحين الفقراء مع صعود وتنامى دور الطبقة العاملة وطليعتها لتتمكن من التقدم نحو تحقيق التغيرات الضرورية فى بنى المجتمع التحتية ، والتى لايمكن أن تحقق بالممارسة العفوية والتجريبية أو بمجرد الاخلاص الذى لايدرك حقائق العالم الموضوعى ، ودرجة نمو الشروط الذاتية ، والمنفصل عن الالمام بالمهام اليومية والتاريخية للثورة » وتتضح تأثيرات « الميثاق » على فكر الجبهة القومية فى اكثر من صياغة وأكثر من ميدان ، واذا كان الميثاق يتحدث عن « ابرز التغييرات التى طرأت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية » والتى بتفاعلها « مع الارادة الثورية الوطنية لم يعد أسلوب المصالحة مع الاستعمار ومساومته هو طريق الحرية » والتى كان من أعظمها « ظهور المعسكر الشيوعى كقوة كبيرة يتزايد وزنها المادى والمعنوى يوما بعد يوم فى مواجهة المعسكر الرأسمالى » (ص ١٦ – ١٨) فان برنامج التنظيم السياسى – الجبهة القومية – يتحدث عن نفس المقولة بصيغة مشابهة مؤكدا أن « انتصار الاشتراكية فى فى العديد من انحاء العالم قد وفر شرطا عالميا جديدا لتطوير نضال الشعوب فى مختلف القارات ضد الرأسمالية والاستعمار العالمى بشتى أشكاله ، ونحو تقدم هذه الشعوب وتطورها فى اتجاه انهاء استغلال الانسان للانسان » (ص ٢١) .

ولقد عبرت جريدة صوت العمال العدنية في عدد ٧١/١/٣ بأمانة وعلمية عن المكانة التاريخية الفذة للمناضل الخالد عبد الناصر وعن الدور الريادى والطليعي الذى مثلته التجربة الثورية الناصرية بين تجارب حركات التحرر الوطنى والاجتماعى العربية والعالمية ، بتأكيدها أنه ـ اضافة ـ الى تصديه الجرئ والشجاع ، وعلى مختلف المستويات لقوى الاســتعمار ، مهما كانت ضراوتها ـ فقد « كان عبد الناصر أول من وجه ضربة للاقطاع في الوطن العربى ، وأول من بدأ يتوجه نحو الاشتراكية ، ويوثق العلاقات مع المعســكر الاشتراكى » .

علاقة الثورة اليمنية بثورة ٢٣ يوليو الرائدة :

وقد زاد الأمين العام للجبهة القومية عبد الفتاح اســماعيل الأمر وضوحا عندما وضع الثورة اليمنية ـ من الناحية النظرية ـ فى اطارها الطبيعى ضمن حركة الثورة العربية الشــاملة التى تمثل ثورة ٢٣ يوليو مركز الثقل القومى فيها بقوله : « ان الثورة اليمنية، هى فى الواقع جزء من الثورة العربية ، وهى بذلك تؤكد اصــالة انتمائها الى الوطن العربى الكبير » ، وعندما أشــار الى العــلاقة القومية والثورية الخاصة التى تربط بين الثورة اليمنية والثورة الأم فى مصر « ونحن فى علاقتنا بمصر الشقيقة نصدر من هذا المنطلق وبأعتبارها القــوة الرئيســية فى حــركة الثــورة العربية ، ولبلادنا علاقات تاريخية لا يمكن أن ينســاها شــعبنا اليمنى على الاطلاق ، فنحن لن ننسى شهداءنا المصريين فى الشــمال ، ولن ننسى المساعدات السخية من مصر لابناء الجنوب ، وهم يخوضــون نضالهم ضد الاستعمار ، ونحن نعمل باستمرار على تطوير وتوطيد علاقتنا بمصر الشقيقة رسميا وشعبيا لمصلحة النضــال المشترك ، والمصير الواحد » (٢٦) .

ثورة ٢٣ يوليو أفق ثورى لكل النجوم الثورية :

على أنه ينبغى التأكيد فى نهاية هــذا الحــديث الى أن فكر « الميثاق » المصرى لم يؤثر فى الجبهة القومية فحسب ، وانما أثر فى كل الحركات الوطنية ، والتنظيمات القوميــة العربيــة ، كما ألقى باشعاعاته على ساحة مايسمى « بالعالم الثالث » الواسع الارجاء . وما يهمنا التشديد عليه هنا بصورة خاصة هو أن ثورة ٢٣ يوليو ـ

ولا سيما منذ أخذت تســـير وفق منهج نظرى ، وتنتقـل بذلك من المرحلة التجريبية ، الى المرحلة التى يقودها عبرها دليل فكرى ممثل فى « الميثاق » الذى رفع شعار الاشـــتراكية العلمية لأول مرة فى تاريخ التنظيمات القومية العربية ـ غدت تمثل باصالة وعن جدارة الافق الثورى المضىء الذى يحتضن الارض العربية من جميع أقطارها، والفلك الوطني والقومي والاجتماعي ، الذى تقتبس الشعاع منه كل النجوم الثورية الصاعدة والسائرة فى سماء الوطن العربى ، ابتداء من حركة القوميين العرب ، الى حزب البعث ، وانتهـــاء بغـيرها من التنظيمات الوطنية الصغيرة ذات الطابع القومى .

وتبقى بعد ذلك كله ملاحظة أخيرة ، وهى أنه ـ كما ان لكل بلد خصوصية سياسية نابعة من طبيعة أوضاعه الداخلية ، حتى ولو كان ينتمى الى نفس الامة الواحدة ، وكما أن لحركة القوميين العرب خصوصيات ، بعد أن تطورت واصـــبحت عدة أحزاب وتنظيمـات قطرية ، وكما أن لحزب البعث خصوصيات أيضا ، بعد أن أصبح عدةأحزاب قومية وقطرية،فأنه كانت للجبهةالقومية سمات خاصةمتميزة أيضا ـ ومنها سمات سلبية ، انفردت بها وكادت تعزلها عن التفاعل الخصب والخلاق والحيوى مع جميع اطراف الحركةالثورية والتقدمية اليمنية والعربية العالمية ، وكادت ـ بالتالى ـ تبعـدها عن مجراها العام والرئيسى ، وتدفع بها الى دروب فرعية ومسدودة الا انهـــا بفعل حصاد التجربة المريرة والنقد الموضوعى والرفاقى من القوى والعناصر الحليفة قد أخذت تصحح مسار حركتها الثورية .

فهى ـ على سبيل المثال كانت تدرك أنه لانجاح للثورة اليمنية فى جزء من اليمن دون آخر ، ومع ذلك فانها لم تظهر ـ فى البداية ـ من الحماس الوطنى والاهتمام الفعلى بالساحة اليمنية كلها مايبرهن على سلامة ادراكها هذا ، وهى كانت تؤكد أن المرحلة مرحلة تحرر وطنى ديمقراطى فى اليمن الشعبية ، ومع ذلك فانها اتخذت ـ فى بعض الحالات ـ اجراءات بالغـــة اليســارية والتطرف تجاوزت بها طبيعة وامكانية وطاقة المرحلة ، وكانت لها ـ غالبا ـ نتائج غير ايجابية سواء على النطاق الوطنى العام ، أو حتى لدى أطراف الحركة الوطنية اليمنية فى شمال البلاد وجنوبها ، اجراءات كان مردودها المبـاشر توسيع الهوة بين الوضع فى شمال البلاد وجنوبها ، واقامة جـدار عازل بين شـــطريها ـ ولو لم يقصـــد ذلك أحد ـ وتصـــعب امكانيات تحقيق الوحدة اليمنية ، حتى نظر قطاع واسع من المثقفين

الثوريين اليمنيين الى هذه الاجراءات بانها لاتعدو أن تكون محاولات « هروبية » من الوحدة الوطنية اليمنية ، أكثر منها اجراءات اجتماعية مدروسة ومتفق عليها مع فصائل الثـورة اليمنية . وهي بينما كانت تقبل بعقد (اتفاقيات) للوحدة اليمنية معالجهات الرسمية في شمال البلاد ، فانها لم تعمل - شعبيا - على خلق وحدة وطنية وثورية مع فصائل العمل الوطني في شمال البلاد ، تقرب بها يـــوم الوحدة اليمنية ، وتجعله ممكنـــا بالفعل ، وهي بينما كانت تدعو علىالنطاق العربي - الى جبهة عربية تقدمية - فانها لم تتقبل أو تتحمس حتى الآن على الاقل لفكرة اقامة جبهة وطنية ديمقراطية على نطاق اليمن كلها ، تقود عملية توحيد اليمن ، وعملية تقدمها الاجتماعي ، وبدلا من أن تلعب دورها الوطني والتوحيدي القيادي المفترض على امتداد القطر اليمني ، وعلى مستوى جميع منظماته وقواه الوطنية ، فانهـا ركزت جهدها علىادماج المنظمات السياسية فيجنوب البلاد فياطارها حتى تحقق لها ذلك ، ولم تبذل حتى الآن ذات القدر من الجهـــد في اتجاه توحيد القوى الاشتراكية اليمنية في حزب اشتراكي طليعي واحـــد ، وفي عـــزل العناصر « الانعزالية » والتيـــــارات الاقليمية في صفوفها وخارجها حتىيتيسر حسم هذه القضية الوطنية اليمنية بالذات .

ضرورة قيام جبهة وطنية يمنية عريضة :

واذا كانتمصر تعيد النظر فيالنظام الداخليللاتحاد الاشتراكي، وتقيم التنظيمات السياسية داخله بحيث يتسع لجميع القوى الوطنية على اختلاف منابعها الاجتماعية ومواقعها الفكرية وبحيث يقتربالاتحاد الاشتراكي باعادة ترتيب مواقعة القيادية من صيغة تحـــالف وطني حقيقي ، وحتى لا يتاح - حسب تعبير الرئيس السادات في اجتماعة بمجلس الوزراء في ١١/٥/٩٧٤ -) .

« لقوة من قوى التحالف الخمس أن تفرض رأيها منفردة عــــلى بقية قوى التحالف ، حتى يسير العمل في توافق وانسجام ، وحتى يكون « سبيلنا هو الحوار والمناقشـــــة وتبادل الرأى داخـــــل اطار التحالف » واذا كانت تقوم في العراق وسوريا ولبنان جبهات وطنيه تقدمية ، واذا كان منحى التطور كله يســـير في هذا الاتجاه الطبيعي والحتمي - الذي من داخله وعبر النضال المشترك يمكن انبثاق الحزب الطليعي - فان الجبهة القومية مطالبة اليوم بالعمـــل

على اقامة مثل هذا التحالف الديمقراطى أو الجبهة الوطنية على نطاق القطر اليمنى وقيادة عملية توحيد القوى الاشتراكية فى حزب طليعى واحد ، من حيث انها تمثل الفصيل الثورى الرئيسى والاساسى بين جماع قوى الحركة الوطنية اليمنية ، وعليها تعلق آمال كبيرة فيما لو وعت دورها التاريخى هذا جيدا ، ونهضت بواجبها الوطنى والقومى والاممى على أفضل وجه ، وربطت نفسها ـ بادىء ذى بدء ومن أجل تحقيق ذلك كله ربطا محكما بالحركة الثورية اليمنية كلها ، وعملت على توحيدها ، ومضت بها ومعها نحو احباط مخططات الأستيعاب لشمال اليمن والأحتواء لجنوبه ، ونحو اقامة دولة اليمن الوطنية الديمقراطية ، المركزية الموحدة ، التى تشكل لبنة اساسية فى صرح الوحدة العربية الديمقراطية الشاملة ٠

---

(١) أخبار اليوم القاهرية ١٩٧٠/١٠/٣ ، ذكرياتى مع عبدالناصر ، عبدالله السلال ٠

(٢) الاهرام ١٩٦٨/٩/٢٠ ٠

(٣) الاهـرام ١٩٧٢/٥/٢٩ عـودة الربيع الى حركة التحرر العربية ، لطفى الخولى

(٤) الاهرام ١٩٧٢/٦/٤ خواطر ليلـة ٥ يونية ، أحمد بهاء الدين ٠

(٥) الجمهورية القاهرية ١٩٧٢/٦/٨ ، البترول العربى امضى سلاح فى المعركة ، مصطفى كمال ٠

(٦) الجمهورية ١٩٧٢/٦/١٠

(٧) الاهـرام فى ١٩٧٢/٤/١٦ ، قضايا ليبية ، فهمى هويدى ٠

(٨) من بيـان ١٩٧٢/٣/٢٨ لمحسن العينى رئيس حكومة صنعاء السابق ٠

(٩) عبد الناصر والعالم ، محمد حسنين هيكل ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٢٩٧/٢٩٦

(١٠) المصدر الاسبق ٠

(١١) جـريدة ١٤ أكتـوبر العـدنية ، ١٩٧١/٩/٢٩ ٠

(١٢) روز اليوسف ١٩٧٢/٥/٨ ٠

(١٣) الاهـرام ١٩٧١/٩/٢١ ٠

(١٤) الأهرام ١٩٦٩/١٢/٥ ١٩٧٠/١/٩ ، ١٩٧٠/١/٩ ، ١٩٧٠/٩/٤ ، ١٩٧٠/١١/٢ ، ١٩٧٠ ، ١٩٧١/٢/١٩ ، ١٩٧١/٧/٧ ، ١٩٧١/١٠/٢٢ ، ١٩٧٢/١/١٤ ، عبد النـاصر والعالم ، محمد حسنين هيكل ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٤٩ ٠

(١٥) عبد الناصر والثورة ، من اقوال الزعيم الخالد ، يوليو ١٩٥٢ سبتمبر ١٩٧٠ ، ص ٢٨٨/٢٨٧ ٠

(١٦) الناصريه ، دراسة فى فكر جمال عبد الناصر ، عبد الله امام ، القاهرة ص ٤٣٥ ٠

(١٧) الجمهورية القاهرة ١٩٧٢/٣/٢ ٠

(١٨) الجمهورية ١٩٧٢/٦/١٥ ٠

(١٨) الجمهورية ١٩٧٢/٦/١٥ ، عدوان لم ينته ، محمد عودة ٠

(١٩) مجلة الاسبوع العربى البيروتية ، ١٩٧٢/٤/٣ ، من حديث لمحسن العينى رئيس حكومة صنعاء السابق ٠ مهما كانت ملا حظاتنا على سياسة الاخ العينى وهو فى السلطة فانه وهو الان خارجها يستطيع ان يلعب دورا سياسيا مفيدا ، وان يركز على قضية تنفيذ اتفاقية الوحدة التى كان طرفانى عقدها اثناء تولية مسئولية الحكومة ٠

(٢٠) برنامج التنظيم السياسى ، الجبهة القومية لمرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية عدن ، مارس ١٩٧٢ ص ١١٧ فما بعد ٠

(٢١) الميثاق ، ٣٠ من يونية سنة١٩٦٢ ، القاهرة ص ٦١ ٠

(٢٢) عبد الناصر والثورة ، ص ١٦٩ ٠

(٢٣) الناصرية عبد الله امام ص ٣٧ ٠

(٢٤) الناصرية عبد الله امام ، القاهرة ١٩٧١ ص ٤٧٤ (من حديث لعبد الناصر أمام اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ص ١٧٤ ٠

(٢٥) الطليعة يوليو ١٩٧١ (القاهرة وموقعها من النضال العربى) د ٠ محمد على الشهارى ٠

(٢٦) الاهرام ١٩٧٢/٤/٢٨ ٠

(٢٧) جريدة ١٤ اكتوبر العدنية ، ١٩٧٢/٤/٣٠ ٠

عبد الناصر وكسر الحلقة الضعيفة فى اليمن

ليست هناك ثورة عربية جمعت الخاص والعام ، والجزئى والكلى ، والقطرى والقومى ، فى ذاتها كما جمعت ذلك كله ثورة اليمن . وبتعبير آخر ، ليست هناك ثورة عربية فى اى قطر عربى ، اكدت « وحدة » الثورة العربية ، و « قومية » المعركة العربية ، كما اكدت ذلك ثورة اليمن !

ففى الوقت الذى كانت فيه قوى الاستعمار والرجعية تطبق بكلتا اليدين على المركز القيادى للثورة العربية — مصر — بعد نكسة انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة — نواة دولة الوحدة العربية الاولى فى تاريخ العرب المعاصر — وبعد مؤتمر شتورة الذى تحولت به جميع الدول العربية تقريبا الى طوق حديدى محكم يكاد يخنق عنق طليعة وقائدة النضال العربى — القاهرة — فى هذا الوقت الدقيق والحرج بالذات انفجرت — بدعم حاسم وقوى من القاهرة ذاتها — ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ فى صنعاء ، من حيث لم تحتسب كل قوى الرجعية والاستعمار ، وانفجر فى العام التالى مباشرة امتدادها الثورى والحيوى ثورة ١٤ اكتوبر فى جنوب البلاد ، وانتقلت ثورة يوليو المناضلة والثورة والقومية العربية معها بذلك كله وعلى الفور من مركز الدفاع الى مركز لهجوم .

وعبر الخمس سنوات الاولى من عمر الثورة واليمن — من صعده فى اقصى الشمال الى عدن فى اقصى الجنوب — ساحة صراع لاهب وضار وغير مسبوق فى تاريخ المنطقة العربية الحديث بين قوى الاستعمار القديم والجديد والرجعية ، وبين قوى التحرير والتقدم العربية ، المسنودة كذلك بدعم المعسكر الاشتراكى وعلى راسه الاتحاد السوفيتى .

ومنذ حملة محمد على الكبير — والى مصر — فى القرن التاسع عشر لم تعرف الجزيرة العربية حدثا كهذا الحدث القومى الذى اهتز له كيانها كله ، بل واهتزت به المنطقة العربية كلها ، واصطرعت على ساحته قوى محلية وعربية ودولية شديدة متباينة المصالح والرؤية ، وتعلق به مسار الثورة العربية ، بل والمصير العربى ، ومصير دور القاهرة بالذات ازاء المنطقة العربية كلها ..

وكما راهنت القوى الاوربية كلها على دحر الجيش المصرى من اليمن وكل جزيرة العرب أيام محمد على ، وقتل هذا التحرك « القومى » المبكر الذى شرعت القاهرة فى قيادته منذ هذا الوقت ، وارجاع مصر الى حدودها الاقليمية ، والحيلولة بالتالى دون نموها الطبيعى وامتداد قامتها التاريخية ، فان كل القوى الاوربية — مضافة الى الامبريالية الامريكية ، وكل الاحلاف الاستعمارية ، وكل الدول الرجعية قد اجمعت امرها فى عهد عبد الناصر على أن تجعل اليمن « مقبرة » القومية العربية ، ومقتل الناصرية ، ومكان هزيمة مصر ، ونقطة ارتداد مدها الثورى الى الخلف وانطوائها — من ثم — على نفسها وانكفائها على مداواة كلومها ولعق جراحها ، وانتهاء دورها التاريخى والقومى العربى نهائيا والى الابد !

ومع ذلك فقد تحطم هذا المخطط الامبريالى الرجعى الواسع المدى على صخرة المقاومة الضارية والباسلة التى اظهرتها الثورة اليمنية والعربية بقيادة القاهرة ، وبفضل استراتيجية النفس الطويل التى أعلنها عبد الناصر والتى اكد فيها العزم القاطع على البقاء فى ساحة الصراع القومى فى اليمن لعشرين سنة قادمة «حتى نقطع نفسهم » جميعا !

من هنا كان وضع الخطة الاستعمارية الصهيونية الرجعية الجديدة القاضية بضرب مركز وقلب الحركة الثورية والقومية العربية — مصر — حتى يصاب بالتوقف أو الخلل ، أو حتى تضطر قاعدة الثورة العربية ليس الى سحب قواها الطليعية من اليمن ومن منطقة المصالح الاستراتيجية والبترولية الفريدة على امتداد الخليج العربى التى كانت قد غدت تحت التهديد المباشر لهذه الثورة الجائحة وانما أيضا « للخروج » من القضية القومية نهائيا ، كما خرج منها من قبل محمد على باشا !

نعم : لقد هزمت مصر عسكريا فى حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ الصهيونية الامبريالية الغادرة ، واضطرت بالتالى الى الخروج من

اليمن ، ولكن لم تسقط القاعدة ولا توقف نبضها القومى والثورى ، ولم تخرج مصر من دورها العربى ، ولا من مسئوليتها التاريخية ، كما أن آثار ما قدمته لكل قطر عربى ظل محفــورا فى كل أرض ، ومنقوشا على كل وجدان .

ومن هنا خطأ مثل تلك التقييمات القاصرة والجاهلة والمغرضة التى تصور دور مصر فى اليمن وفى المنطقة العربية كلها بأنه لم يكن سوى عبث فى عبث !

وليس هناك ما هو أبلغ فى تقييم دور ثورة يوليو القــــومى والتاريخى فى اليمن وفى الوطن العربى كله ، وفى الرد على أمثال هؤلاء المتطاولين على أمجاد وانجازات الثورة العربية المعــاصرة والمشوهين لجلال هذا الدور المصرى القيادى فيها من تلك الـكلمات المحددة والحاسمة التى تضمنها خطاب الرئيس العربى أنــــور السادات فى الذكرى الرابعة لرحيل الزعيم الخالد جمال عبد الناصر والتى جاء فيها :

« عندما تبينت الثورة الهوية العربية لمصر ، وحين نقلت هذا الانتماء من مجرد اجتماع الحكام الى حركة شعبية واسعة للقومية العربية ، تربى عليها جيل بأكمله من المحيط الى الخليج ..لقد كلفنا هذا أيضا معارك كثيرة ، ومنا من يضع قوائم حساب لما قدمنــاه وما بذلناه فى هذا المجال ، ولكن فوق ان هذه القضايا المصـــيرية لاتوضع لها قوائم حساب ، الا أن نضــالنا عــلى هذا المستوى كان له دور بارز فى المكانة التى تحتلها الامة العربية اليوم » .

وفوق ذلك كله فانه سقط بالنسبة لليمن والى الأبد نظام كهنوتى اقطاعى رجعى ظل يحكم اليمن ـــ أو بعضا منها ـــ لاكثر من ألف عام ، وخرج من جنوب البلاد نظام استعمارى ظل يهيمن عليه لأكثر من قرن وربع قرن ، وقامت هنا وهناك جمهوريتان وطنيتان ، بقطع النظر عن أى انحسار ثورى مؤقت وزائل فى هذا الموقع أو ذاك ، وغدا جنوب البحر الاحمر ذو الموقع الاستراتيجى الفريد والعالمى الاهمية ـــ شأنه شأن شماله ـــ فى قبضة الثورة اليمنية والعربية التى لا تتراخى ولا تتزعزع ! .

حقا أنه أصاب الثورة اليمنية من النكسات والهزائم ما يفوق تلك النكسات والهزائم التى تعرضت لها الثورة العربية وأنظمتهـــا الوطنية ، ولا سيما بعد اختلال توازن القوى نتيجة انسحاب مصر من اليمن ، وحقا أن ثورة يوليو الرائدة والمجاهدة لم توفق قبل خروج

جيشها الشجاع من هناك من الاسهام الجاد والباقى فى وضع تلك الصيغة التنظيمية والسياسية الملائمة والمرتجاة التى يلتئم بمثلها شمل فصائل الحركة الوطنية اليمنية ، والتى تتمكن بها من ملء الفراغ الثورى الذى تركه خروج مصر من ساحة اليمن ، ومن المضى بالثورة اليمنية قدما الى الامام فى اتجاه تحقيق مهامها التاريخية والجليلة المتمثلة فى تحقيق وحدة اليمن السياسية ، واستكمال تحررها الوطنى ، والسير بها فى طريق التقدم الاجتماعى ، والنهضة الحضارية الشاملة .

وحقا أن تلك القوى الاقطاعية والكومبرادورية المفككة والمهترئة التى كانت قد تراخت قبضتها ، وانخلعت جذورها الطبقية من باطن التربة اليمنية ، بسبب ارتباطها وعمالتها المكشوفة للاستعمار البريطانى ، وتحولها الى ظل باهت وخادم ذليل له ، منذ عقدت معه معاهدات الحماية والاستشارة الشهيرة والمخجلة ، وباعت نفسها ولوطن معها بابخس الأثمان ، قد امكن — نتيجة لذلك كله — دحرها بسهولة ويسر من جنوب البلاد ، مع اندحار الاستعمار الانجليزى ، فاختفت معه — بالتالى — كما يختفى الشىء وظله ، بينما بقيت على الناحية الاخرى من اليمن تلك القوى الاقطاعية الاخرى الضاربة جذورها فى باطن التاريخ والقبلية اليمنية العتيدة والمتماسكة والمتكلسة ، وغدت حصنا حصينا تحتمى به كل فلول الاقطاع والكومبرادورية فى طول اليمن وعرضها .

ولكن هذا « الاقطاع القبلى » العتيد والطامح الى تطوير وتمتين أوضاعه الطبقية والاقتصادية ، والظامىء الى السلطة السياسية التى استأثرت بها عنه طيلة عدة قرون فئة محدودة من الكهنوت الاقطاعى الامامى ، وذلك الطراز من «الاقطاع الزراعى» المحروم — منذ سقطت آخر دويلة له تحت سنابك الغزوة التركية الاولى — من كل شىء ، والمتحلب بالتالى لعابه الى كل شىء ، وتلك الشريحة الهشة من البرجوازية الكومبرادورية الذيلية المتلهفة الى أى فتات متساقط من موائد الاقطاع والاستعمار معا ، ان هذه القوى المتخلفة المسنودة بجبهة واسعة من الرجعية والاستعمار ما كان لها جميعا — مهما بلغت قوتها ووحدتها ، ومهما اتسع حلفاؤها — ان تستطيع استعادة زمام الامور تماما ، لو أن قوى الثورة اليمنية نفسها قد وعت مهمتها النضالية والتاريخية وعيا وطنيا ناضجا وسليما ، ولو أنها قد بادرت فور انسحاب الجيش

المصرى من اليمن الى سد المكان الشاغر الذى تركه باعلان وحدتها الوطنية ، وبتشكيل جبهة نضال وطنى عريضة موحـــدة بامتداد الارض اليمنية ، ورص وتوحيد جماهير الشعب اليمنى وجرها خلفها وتقدم مسيرتها الكفاحية ، ولوانها قد وضعت منذ اســتقلال عـدن بالذات « استراتيجية وطنية » واحدة تجتمع عليها كلمتها ، وتتحول بها ثورة ٢٦ سبتمبر و ١٤ اكتوبر الى ثورة يمنية واحدة ، وتغـدو بها اليمن كلها ساحة نضال مشتركة ، وتناضل تحت لوائها الحركة الوطنية اليمنية الموحدة من أجل اقامة دولة اليمن الحديثة الموحدة الوطنية الديمقراطية الناهضة المتقدمة .

ولو ان شيئا ما من هذا القبيل قد حدث ، لما توقف ســـير الزمن والكفاح عند قيام جمهورية يمنية هنا ، واخرى هناك ، يقوم بينهما من الخلاف الاجتماعى والنزاع السياسى ما لو بقى واستمر لتحول الى خطر داهم ، لا يهدد كل اثر لثورة سبتمبر ، وكل منجز لثورة اكتوبر فقط ، وانما يهدد ايضـــا الكيان الوطنى والهيــكل الاجتماعى والوحدة الشعبية للقطر والشعب اليمنى !

ولو ان شيئا مامن ذلك قد حدث ، لما بقى الوطن اليمنى المقسم ــ والضعيف بالتالى ــ مطمعا سهلا لكل طامح وطامع من خارج البلاد ، ولما بقيت كل منظمة وطنية يمنيـــة منقسمة الى منظمتين ، فزادت البلاد بذلك ضعفا على ضعف ، لما تحول ــ على سبيــل المثال ــ « فرع » حركة القوميين العرب فى اليمن الى « فرعين » دون أن ينتهى أثر ذلك حتى اليوم رغم تحول وتطور هذه الحــركة واختفاء اسمها من الاساس و « فرع » البعث فيها الى « فرعين » اخرين ، وفـق نفس التجـزئة الاقليميـة ، والاتحـاد الشـعبى الديمقراطى ذو الاتجاه الماركسى المبكر الى منظمتين « اقليميتين » ولما ظلت الحزازات والحساسيات الموروثة منذ الخمسينيات ــ أيام التخاصم والتقاتل بين هذه القوى فى الساحة العربية ــ تقيد وتشل أطراف هذه الحركة الوطنية اليمنية المزقة المفتتة وحتى الساعة عن الاتفاق والاتحاد ، أو حتى عن العمل الوطنى المشترك ضد نفس الاعداء ولنفس الغايات الثورية العظيمة ، ولما ظلت ــ نتيجـــة لذلك كله ــ عاجزة عن تجسيد انتمائهـــا الوطنى الواحد الى ذات الشعب والقطر اليمنى الواحد !

لقد تقدم وعى المنظمات الثورية اليمنية « الاممى » وغـــدت تتجادل ـــ وبالصوت العالى ـــ فيما بينها حول مدى انتماء كل منه

الى « الدولية الثالثة » أو « الدولية الرابعة » أو المساوية ، أو الجيفارية ، أو الماركوسية « من هربرت ماركوس » وغيرها من مدارس اليسار الجديد ، ولم يبق الا أن نسمع — حتى بعد ذلك كله — عن مدى انتماء كل منظمة منها الى قضية اليمن الاولى والبسيطة والبديهية ، والتى لا تحتاج الى قراءة مطولات ولا موسوعات ولا حواشى أو شروح معقدة لفهمها واستيعابها والنضال من أجلها : قضية وحدة اليمن الثورية والوطنية والسياسية !

ان الف باء هذه القضية هو « الوحدة الوطنية » لقوى الثورة اليمنية ذاتها ، وصولا — فيما بعد — الى « وحدة » اليمن القطرية والسياسية ، ثم الى « وحدة » العرب القومية ، ومن ثم الى « وحدة » الانسانية .

وهل من حاجة الى القول بأن التغلب على التخلف المريع فى اليمن ، وانجاز الثورة الوطنية الديمقراطية فيها بنجاح واقتدار ، وتفويت الفرص على القوى المشبوهة من الاستمرار فى اللعب على التناقضات الثانوية بين قوى الثورة ، وقطع الطريق على التيارات الرجعية المختلفة من الامعان فى المزايدة والمناورة على القوى الوطنية بقضية الوحدة اليمنية وضرب سياسة الاستيعاب والاحتواء المرجعية العربية وان تحقيق نهوض اجتماعى واقتصادى وثقافى وحضارى شامل لليمن ، ان كل ذلك متوقف على وحدة القوى الوطنية والشعبية فى اليمن ، على تحول ثورة ٢٦ سبتمبر و ١٤ أكتوبر الى ثورة وطنية يمنية واحدة ، وعلى تحقيق دولة اليمن الحديثة الموحدة ، الوطنية الديمقراطية ، الناهضة المتقدمة ؟!

تلك هى — فى الواقع عبرة التاريخ ، وذلك هو درس الثورة الاول ، وهو منطق الوطنية اليمنية الصميمة ، وقانون الحقيقة الموضوعية الراهنة ، وحتمية المستقبل كله .

وذلك هو ايضا خير جزاء ثورى تقدمه اليمن ويقدمه ثوارها لثورة ٢٣ يوليو الرائدة وللثورة العربية كلها ، مقابل ما قدمته من دعم قومى شامل من اجل بقاء وانتصار الثورة اليمنية ، وهو افضل وارشد خطوة تتخذ فى اتجاه تعزيز مواقع الحركة الوطنية العربية ، وتوحيد الامة العربية ، وفى اتجاه تمتين وحدة الكفاح لكل قوى الثورة العالمية !

انسحب الجيش من اليمن ولم ينسحب عبد الناصر

عندما نجحت قوى الرجعية والاستعمار فى فك وحـــدة مصر وسوريا ، ووجهت بذلك ضربة خطيرة الى حركة التوحيد القــومى وانحسرت من جرائها موجة المد الثورى العربى ، وبدا أن قاعدة وقائدة حركة التحرر الوطنى ، والقومى ، والاجتماعى — مصر — قد وقعت هى نفسها تحت الحصار ، وأوشكت على الاختناق كانت اليمن هى الرئة التى تنفست منها القلعة المحاصرة ، والثورة العربية المنحسرة ، وكانت الميدان الذى دارت فيه جولة أخرى بين قــوى السيطرة الاستعمارية والرجعية ، وقوى التحرير القومية .

هكذا كان ميلاد ثورة ٢٦ سبتمبر فى صــنعاء ، وتلك كانت أبعادها منذ البداية ، فلم تكن ثورة اقليمية تستهدف خلع عـــرش الاسرة العتيقة الاثرية من بيت حميد الدين ، بقدر ما كانت تحركا قوميا شاملا ضد جبهة الرجعية العربية والاســتعمار التى كانت تمتد من سوريا عبر الرياض الى صنعاء فعدن ، كانت ثورةسبتمبر اختراقاثوريا وجريئا لهذه الجبهة،العريضة والمعادية ،وتحطيماشديدا لاكثر حلقاتها انغلاقا وجهنمية وكانت عملية هز قوية ، وخلخلـة عنيفة للجبهةكلها ، بكلحلقاتها ، وعلى طولامتدادها ، كانت ثورة سبتمبر هىالردالثورى والفورى،الحازموالقوى علىالدوائرالاحتكارية، والاقطاعية التى ظنتانه باخراج مصر منسوريا يكون وجه المشرق العربى قد خلا الا منها،وتكونساحته قد صفيت وصفت لها،وتكون حركة البعث ، والتوحيد ، والتحرير القومى التى تصدى المناضل الهمام عبدالناصر لقيادتها قد دمرت ، أو أصيبتبنكسة مميتة.كانت وثبة سبتمبر — اذن — انتفاضة قومية باسلة على حصـــون الاستعمار فى جزيرة العرب ، وهجمة وطنية مظفرة عـــلى قلاع الرجعية فيها ، كانت عملية اقتحام شجاعة وغير مسبوقة لغـــابة الوحوش الضارية التى لم يستطع او يجرؤ أحد قبل عبد الناصرحتى

على الاقتراب منها . قبل سبتمبر كانت اليمن والجزيرة العربية كلها غارقة في بحار من الظلام الدامس ، ومن الظلم المهين ، ورازحة تحت حكم استعماري ــ استبدادي قاهر غشوم . قبل سبتمبر كانت اليمن والجزيرة منطقة نفوذ امبريالي مقفلة ، ودائرة تحكم اقطاعي مغلقة ــ ولذلك فانه ليس من المبالغة في شيء القول بأنه بثورة سبتمبر سددت طعنة نجلاء الى مجمل النظام الاستعماري ــ الاستبدادي الذي كان مخيما على مختلف انحاء الجزيرة ، فبهذه الثورة كسرت دائرة من أخطر دوائر التحكم الاقطاعي ، وبها زلزلت دوائر ومناطق نفوذ وتحكم أخرى .

ولقد كانت اليمن بذلك هي نقطة البدء الجديدة لمسيرة النضال العربي بعد أن سدت طرقها ، أو بدا انها قد سدت بنكسة الانفصال في سوريا ، وكانت منطلق الحركة القومية والثورية العربية كلها نحو استعادة زمام المباداة والمبادرة والفعل ، وميدان الالتحام الحقيقي والصادق مع قوى الرجعية العربية والاستعمار ، وموطن الميلاد الثوري ، والتجلي التاريخي ، والظهور العلني لحركة القومية العربية ، باعتبارها ــ على عكس ما كان يروج من قبل ــ حركة ثورية تقدمية مناضلة ، تستهدف تخليص الوطن العربي من هيمنة الاحتكارات الامبريالية ، ومن سطوة الانظمة الاقطاعية ــ القبلية الدائرة في فلكها ، وتتجه نحو ضرب التجزئة الاقليمية المفروضة بحراب الاستعمار والاقطاع، وضرب الرأسمالية الكومبرادوية وتتطلع الى اقامة دولة قومية كبرى موحدة ، متحررة متقدمة ، ديمقراطية ثورية .

في هذه العملية الثورية كانت اليمن هي الشاهد الحق على هذه المواجهة التاريخية لحركة القومية العربية ، ومحك الاختبار على مدى ثوريتها ، وصدقها الموضوعي ، وأصالة ما تمثله ، وتعبر عنه .

وفي هذه العملية الثورية كان عبد الناصر هو الرائد المبصر لحقيقتها ، المستشف لجوهرها ، وكان هو القائد المؤهل لادارتها ، وخوض مجاهلها ، وكان هو الفارس المغوار الذي لا يتراجع أمام ضراوة العدو ، والذي يعلن على الملأ ولكل قوى الاستعمار والرجعية التي تكالبت عليه ، وارادت استنزافه ، وانفشال دعوته وحركته القومية في اليمن ، بأنه لن يلقي سلاحه المسلول المشتبك في معركة

الامة العربية الدائرة على ارض اليمن ، حتى ولو ظلت محتدمة الاوار لعشرين حولا أخرى .

بثورة اليمن ، وبالمعارك الساخنة التى دارت على أرضها ، وبالدماء اليمنية والعربية الغزيرة التى اختلطت على ترابها ، وبالمواجهة الشاملة والكاملة التى ارتبط فيها مصير الثورة القومية الام فى مصر بمصير هذه الثورة الوطنية فى اليمن فان مجرى جديدا للنضال القومى شق وحفر ، وثورة عربية حقة ولدت وشمخت ، وقيادة قومية تاريخية تجلت وسطعت .

فى ذلك كله برهنت القاهرة ـ كما لم تبرهن من قبل ـ على انها عن حق وعن جدارة مركز الثقل التاريخى والقومى والحضارى والثورى لحركة البعث والنهوض العربى المعاصرة ، ولحركة التحرر الوطنى والقومى العربية الفتية ، وفى ذلك كله لم يظهر عبد الناصر كبطل قومى لامع فحسب ، وانما كان اضافة الى ذلك ـ بالنسبة للجزيرة العربية بالذات التى كانت واقعة فى قبضة الاستعمار والاستبداد الحديدية ـ « فاتحا قوميا وثوريا » لا يشق له غبار ، « ورسول انقاذ » ليس له نظير « وداعية بعث » لا ينازع «وسيف» تحرير لايفل «ورمز» أمة حية أصيلة ، أدركت بوعيها الثورى والتاريخى والحضارى مقومات وجودها ووحدتها ونهضتها ومكانتها بين الامم ، ودورها فى حياة عصرها ، فسعت الى تحقيق ذلك كله والنهوض به عبر خلق وتجسيد كيان قومى دولى متكامل سامق ، وعبر اشعال ثورة وطنية وقومية واجتماعية لاهبة ، شاملة عارمة .

يقولون : فكيف انتكست ثورة اليمن ، ولم انسحب عبدالناصر منها مهزوما ؟

ونقول : لم تنتكس ثورة اليمن ، ولن تنتكس ، ولم ينسحب منها عبد الناصر ولن ينسحب !

فما كانت ثورة اليمن مجرد حكومة وطنية فى صنعاء ، ولا كان عبد الناصر مجرد جيش رابط هناك .. كانت ثورة اليمن تيار عصر وحركة تاريخ ، وروح شعب ، ويقظة وعى ، وصحوة وجدان ، وهبة فؤاد ، وتلك كلها باقية ، بل وآخذة فى النمو والتصاعد والاطراد .. وكان عبد الناصر فجر أمة ، وصيحة ثورة ، واطلالة مستقبل ، وبشارة فال ، واشراقة حقيقة ، وطلعة الهام ، وكل

أولئك باق فى اليمن ، بل وأخذ فى الاتساع ، والامتداد طولا وعرضا .
وللذين لا يرون من سبتمبر الا الردة الانقلابية السوداء التى وقعت ضده فى نوفمبر ١٩٦٧ ، والا الرموز الاقطاعية الكالحة التى جاءت بها ، والتى حاولت محاكمة تاريخ الثورة ، ومحاكمة عبدالناصر فى قبره معها ، واعتبرت مضيها فى الخط الوطنى الناصرى خروجا على تقاليد اليمن واعرافها ، وانحرافا عن مسار ماضيها الاقطاعى « المجيدة » والتى اعتبرت خروج عبد الناصر الى اليمن عمــــلا من أعمال الاستعمار ، أفضل منه واولى اباحة البلاد للاستعمار الامريكى والرجعية السعودية ، والتى تعلل حركتها الرجعية التى قامت بها مع يوم ٥ نوفمبر ١٩٦٧ المشئوم ، وامسكت ولــوت بها عنق الثورة ، وفرضت بها دكتاتوريتها الطبقية الغاشمة الحمقــاء بانها عودة الى ماضى السلف الصالح ، لهؤلاء نقول : ان النكسات المؤقتة والعابرة فى تاريخ الثورات أمر اعتيادى لا غرابة فيه ، مهما صاحبها من عمليات قمع وبطش بالثوار وسال خلالها من دمــاء ، وانتهكت اثناءها من كرامات ، فالنكسات لا تعدو أن تكون جمــلا اعتراضية فى كتاب الثورات ، وفواصل فى جملها ، وذبذبات مرتعشة زائلة فى تيارها الهادر المتدفق الكاسح ، ولا تعدو فى آخر الامر أن تكون محاولات رعناء عابثة لاتوقف حركة ، ولا تعطل مســـيرة ، ولا تدفع بالتاريخ خارج مجراه الطبيعى والحتمى .
فكل حركات الردة التى قادتها قوى الاقطاع الاوربى ضـــد الثورة البرجوازية الفرنسية ــ على سبيل المثال ــ ذهبت ادراج الرياح ، وبقيت الثورة الفرنسية علامة مضيئة من علامات التــاريخ الفرنسى والاوربى والعالمى معا .
وذلك هو حال كل ثورة مضادة على الاطلاق ، من قبل ومن بعد . فالثورة المضادة غير قادرة على البقاء والاستمرار والنمــاء مهما امتلكت من وسائل القهر والفتك ، لانها مضادة لحركة التاريخ ، ولانها تعترض سياقة الطبيعى ، ولانها تريد أن تكون تلا من الرمــل فى وجه نهر الحياة الفياض المنــــدفع ، نهر التجديد ، والتطوير ، والثورة .
وللذين لايرون الا الاعلام السوداء التى رفعت مع نوفمبر ١٩٦٧ على صوارى صنعاء ، ولايمدون نظرهم الى أبعــد وأكثر من ذلك ، فيبصرون حركة الجماهير الشعبية هناك ، ولا يتحسسون دبيب الثورة الذى لا يتوقف ولا يتجمد ، لهؤلاء نقول : فلتديروا النظر نحو

عدن ، حيث اعلام الثورة الخفاقة الشامخة ، اعلام ثورة ١٤ اكتوبر التى لم تستطع اسقاطها كل رياح الحرب الاقطاعية الاستعمارية الساخنة .. الجامحة التى هبت ضدها والتى ماتزال تهب عليها وبأشكال مختلفة حتى الساعة .

فثورة ١٤ اكتوبر التي انحدرت من صلب الثورة الام السبتمبرية والتى تمخضت بها الحركة الوطنية اليمنية طويلا ، والتى كانت فى نفس الوقت مأثرة خالدة من مآثر الفتح الناصرى الثورى ليمن الاستبداد والاستعمار ، والتى تمثلت تجارب النضال العربى ، واحتكت بمختلف تياراته ، وارتوت من شتى ينابيعه ، والتى هضمت ذلك كله واعتصرته ، وادارته فى كيانها ، وتخلقت به ، وخرجت منه ظاهرة ثورية جديدة آخذة فى النمو والتبلور والامتداد ، هذه الثورة اليمنية التى تدمدم بها اليوم عدن هى اجابتنا ، اجابة اليمن كلها على المتسائلين عن مصير الثورة والثورية فى جزيرة العرب ، واجابتنا على المشفقين والمتباكين على مآل ثورة اليمن ، وعلى الجهد العربى « الضائع » الذى بذل فى سبيلها !

لعلنا نقول ــ بعيدا عن كل ادعاء أجوف ، وفخار عقيم ــ ان **الثورة العربية تحت قيادتها الناصرية الشجاعة لم تؤثر فى بلد** عربى كما اثرت هنا فى اليمن ، ولم تثمر فى قطر ، كما أثمرت فى العربية السعيدة ، ولعلنا نقول أيضا أن الثورة العربية بتياراتها اليسارية المختلفة لم تنعكس وتتبلور وتتمحور فى منحى ثورى تقدمى ديمقراطى ثابت ورصين ، كما انعكست وتبلورت وتمحورت هنا فى اليمن .

وهل هناك من حاجة الى الرجوع الى ماجرى ويجرى اليوم فى اليمن للاستشهاد به على صحة هذا القول .

لقد خرج الجيش المصرى من اليمن تحت تأثير النكسة العربية العامة ، وكان فى تقدير الرجعية العربية والاستعمار ان الثورة « الناصرية المصدرة » و « المفروضة » كما قيل دائما ــ ستخرج من حياة هذا البلد خروج الجيش المصرى منها .

واذا كانت هذه التقديرات قد صحت ــ نسبيا ــ بالنسبة لشمال البلاد ، حيث تراخت الثورة اليمنية والعربية معا خلال الخمس السنوات الاولى من عمرها عن مواجهة أعدائها الطبقيين فى الداخل ، وتركتهم ينمون فى ظلها ، حتى غدوا اكبر منها ، او اكبر

من جهازها الرسمي ، فان ثورة ١٤ اكتوبر التى استخلصت عبر ذلك كله ، وعبر الثورة العربية كلها ، لم تترك أعداءها الطبقيين ينمون ، بل لم تتح لهم حتى حق الوجود السياسى الشكلى ، وانما باغتتهم فى عقر دارهم ، وانتزعت منهم حصونهم ، وجردتهم من أسلحتهم الاقتصادية ، وسحبت الارض من تحت أقدامهم ، وتركتهم فى العراء ، ليتحولوا الى مرتزقة رخيصين ، وخدم تافهين لدى الرجعية العربية والاستعمار .

بذلك أجرت ثورة ١٤ اكتوبر عملية جراحية استأصلت بها الديدان الاجتماعية الفاسدة والضارة التى كانت تمتص رحيق الحياة فى جسم الشعب ، فاسترد الشعب بذلك عافيته ، واستعادشبابه واكتملت قدراته على الصراع مع أعدائه الداخليين والخارجيين معا .

وذلك هو سر الاسرار فى أن ثورة ١٤ أكتوبر لم تنتكس ، وان الثورة اليمنية بها ومن خلالها لم ولن تنتكس ..

ولقد غدت ثورة ١٤ أكتوبر راية النضال المسحورة والظافرة التى يستظل بها ، ويتحرك تحتها كل المكافحين اليمنيين ، بل وكل المكافحين فى جزيرة العرب .

فمنذ أعملت هذه الثورة سيف الاصلاح الزراعي ،والتأميم الاقتصادى ، وخلعت الطبقة الاقطاعية ، والارستقراطية الريفية ، والبرجوازية الاجنبية ، والكومبرادورية من مواقعها ، وطهرت الجيش ، والامن ، والادارة من عملاء وايتام الاستعمار البريطانى ؛ واقفلت الطريق بذلك على الاستعمار الجديد وعملائه ، ومنذ ثارت الجبهة القومية على نفسها ، وأحدثت بذلك ثورة فى الثورة ، ومنذ حققت الاستقلال الوطنى الناجز ، والسيادة القومية الحقة ، ومنذ أن انتهجت طريق التنمية غير الراسمالى ، وطريق التطور الاقتصادى المستقل ، والتقدم الاجتماعى الحقيقى ، والثورة الديموقراطية الوطنية ، ومنذ سلكت سبيل العداء الصريح والمرير للامبريالية العالمية والرجعية العربية ، وسبيل التعاون الصادق والمخلص مع الثورة والانظمة العربية التحررية ، وحركات التحرير الوطنى العالمية ، والمعسكر الاشتراكى ، منذ فعلت ذلك كله ، والدوائر الامبريالية والرجعية لا يقر لها قرار ، ولا يهدأ لها بال ، ولا تستقر على حال .

لقد فوجئت انها أمام ثورة لاتعنو لها جبهة ، ولا يطأطىء لها رأس ، ولا يتقوس لها ظهر ، ثورة منصوبة القامة ، مرفوعة الهامة، شامخة الانف ، شديدة الاعتزاز بكبريائها الثورى والوطنى ، ثورة هى الى التحدى والاستفزاز أقرب منها الى الثورة ، أو هى ثورة استفزازية ، متحدية ، بل وممعنة في استفزازها ، وتحديها أشد الامعان بحيث لا سبيل الى مهادنتها ، أو احتوائها ، أو الالتفاف عليها ، ثورة لا بديل عن مبارزتها فى ميدان مكشوف ، وباسلحة عارية ، ولا بديل عن أن يكون الصدام معها رأسا برأس وفى وضح النهار .

وهكذا اتحدت كل قوى الاقطاع ، والارستقراطية القبلية ، والكهنونية فى جزيرة الملوك والسلاطين التابعين ، والاستعمار المتألف فى جبهة واحدة ضد جمهورية ١٤ أكتوبر الفتية الباسلة ، وانتدبت الاقطاع اليمني ليكون فرقتها الصدامية المتقدمة ، وجعلت من شعار الوحدة اليمنية راية لهذه الحرب الاقطاعية ــ القبلية الاستعمارية الرجعية التى شنت فى ٢٦ سبتمبر ١٩٧٢ ولمدة شهر تقريبا ضد النظام الوطنى الديمقراطى فى اليمن الشعبية .

وبذلك دخلت قوى البطش والطغيان الامبريالية والاقطاعية فى معركة حياة أو موت مع حصن الثورة اليمنية فى عدن ، ولم يعد هناك مجال لحلول وسطى ، ولم تعد اليمن تتسع لنظام رجعى ، وآخر تقدمى ، ولم تعد جزيرة الاستعمار والاقطاع تحتمل وجود جزيرة ثورية على ظهرها ، أو فى أحد أركانها ، ولم يعد هناك سبيل لتحقيق الوحدة اليمنية الا على جماجم رؤساء القوى الاقطاعية والكومبرادورية ، وتحرير اليمن كلها من النفوذ الرجعى الخارجي الاستعمارى .

لقد عزمت نفس القوى الظلامية التى ــ حفاظا على مصالحها الاحتكارية الهائلة فى جزيرة الذهب الاسود ، وعلى عروش ملوكها وسلاطينها الخاوية فيها ــ جاهدت حتى أطبقت بقبضتها الغادرة على عنق الثورة العربية فى القاهرة وحتى تمكنت بحركة الالتفاف الغادرة هذه من اخراج الجيش المصرى من مواقعه الحساسة التى كان قد احتلها بالقرب من منابع البترول الاسطورية فى الجزيرة ، وحتى دفعت بقوى الاقطاع اليمنى الى مراكز السلطة فى صنعاء من خلال حركة ٥ نوفمبر الانقلابية الرجعية ــ وأجهضت بذلك ثورة ٢٦

سبتمبر الوطنية اقول عزمت هذه القوى على ان تستكمل مهمتها غير المقدسة هذه بتصفية اليمن من اى حركة تحـررية ماتزال فيها ، وقطف اى زهرة حرية نبتت على ظهرها ، واستتصال اى جذر ثورى مغروز تحت أرضها ، وتطهيرها تطهيرا تاما وشاملا ، أفقياورأسيا، من اى خطر تقدمى يهدد مصالحها الخاصة فيها ، وارجاعها الى حظيرة التبعية الامبريالية الكاملة ، وبسط سيادة قوى الاقطـاع الهمجية عليها كلها من جديد ، وتمكين سيف الاستبداد والبربريه للرجعية العربية المسلط عليها من حولها والذى غدا يتحكم فى رقاب جماهيرنا فى شمال اليمن ، من أن يمتد بنصله الغادر والاجير الذى يقطر بدماء شعبنا اليمنى والمصرى ، الى عدن أيضا ليذبح ثورة الشـعب البطل هناك ويذبح ثواره المغاوير معها فى نفس الوقت ٠

وفات الرجعية العربية والاستعمار أن الثورات الشـعبية الحقة لا تهزم قط ، ولو اجتمعت عليها كل قوى الاعداء .. وفاتها أن ثورة ١٤ اكتوبر واحدة من هـذه الثـورات التى لم تبدأ بحركة انقلابية من أعلى ، وانما بدأت بثورة شعبية مسـلحة مدمدمة من أسفل ، وانها فى اللهب شبت وترعرعت ، وبه كويت وصهرت ، ومن حممه صيغت وصنعت ، وان فرض الحرب الاهلية الاسـتعمارية عليها كلها من جديد ، وتمكين سيف الاستبداد والبربرية الرجعية العربية الشعبية الثورية الطويلة الامد ، وتجيد ممارستها ، وتصبر عليهـا وتقدر على ادارتها وحمل أعبائها ، والتصـدى بها للحرب الاهليـة الرجعية الاقطاعية القبلية الاستعمارية التى يراد اغراقها فيها ، والقضاء عليها بها .

لقد ثبت ان ثورة واجهت جحافل الامبراطورية البريطانية، ودخلت معها فى معارك متصلة مجيدة ، حتى اجلت جيوشها ، وحررت البلاد من رجسها ، لقادرة ــ وقد غدت دولة ثورية يعترف العـــالم كله بها ، وتمتلك علاقات ثورية متنوعة مع القوى الشعبية والانظمة التحررية العربية ، ومع حركة التحرر الوطنى العالمية ، ومع القوى والدول الاشتراكية فى العالم كله ــ لقادرة عـلى خـوض المعـارك تلو المعارك ضد جيوش الاقطاع والقبلية المتهاوية ، وفرق المرتزقة المتساقطة ، وتكبيدها مجتمعة مصـيرا أسوأ من ذلك المصير الذى لقيه جيش الامبراطورية التى لم تكن تغرب عنها الشمس .
وكما تمكنت من دحر الاستعمار القديم من جنـوب البـلاد ،

واقامة دولة وطنية ديمقراطية متحررة فيه ، تحظى بمؤازرة واحترام كل قوى التقدم في العالم ، فانها لقادرة بتحويل اليمن كلها الى ساحة حرب شعبية ثورية ، تنخرط فيها حركة التحرر الوطني اليمنية بمجملها ، وبكل قواها الثورية والتقدمية ، ضمن جبهة وطنية ديمقراطية عريضة على اتساع اليمن كلها ، متعاونة ومتظافرة مع كل قوى الثورة فى الجزيرة العربية والوطن العربى والعالم أجمع — لقادرة ليس فقط على دك حصون وأوكار التخلف والظلام التى تنطلق منها حركات الردة ، تحت قيادة الرجعية القبلية والاقطاعية ، المتحالفة مع البرجوازية الكومبرادرية الذيلية ، والتى طالما أشقت شعبنا وجرعته الامرين ، وليس فحسب على حرمانها من مجدها التافه والضائع الذى تتشبث وتحلم باقامته فى لحظة غروبها واحتضارها بمساعدة الرجعية العربية والاستعمار العالمى ، وانما أيضا على تحطيم سياسة الأستيعاب والاحتواء الخارجية وعلى ضعضعة مواقع الرجعية الاقطاعية فى طول الجزيرة وعرضها وتهديد الامبراطورية الاحتكارية الاستعمارية فيها ، واحب طمخططات الامبريالية القديمة والحديثة المسعورة بها ، ودحر موجة الثورة المضادة المجنونة التى تعربد اليوم فيها ، بل وقادرة قبل ذلك وفوق ذلك على المضى قدما فى طريق التصفية الجذرية والكلية ، للاسس المادية والمعنوية ، الطبقية والايدلوجية ، التاريخية والاجتماعية للثورة المضادة المتحكمة اليوم فى شمال وطننا ، والمهيمنة على اقدار صنعاء ، والتقدم حثيثا فى طريق اقامة وحدة يمنية أصيلة وسليمة وتأسيس جمهورية يمنية موحدة ، متحررة مستقلة ، وطنية ديمقراطية ، تكون بحق واقتدار خطوة ثورية عملاقة ، وانطلاقة وحدوية جبارة فى اتجاه بعث وتحقيق وحدة عربية شاملة ، شامخة متقدمة ، ديمقراطية تقدمية .

ولن تنجح قوى الاستعمار والرجعية حتى بعد التصالح والتعايش مع الانظمة التقليدية فى المنطقة — فى اخراج عدن واليمن عموما عن هذا المجرى الوطنى التقدمى ، وعن هذا المسار التاريخى والحتمى ولن تتمكن من استيعابها واحتوائها ولن تعزل اليمن عن حركة التحرر العربى ، وقاعدة النضال القومى ، مصر . أن مضى اليمن على درب الثورة الوطنية الشاملة والتحامها بركبت الثورة القومية العامة ، هو المكافأة التى لم يكن ينتظر غيرها المناضل الراحل عبد الناصر بدعمه لثورة اليمن

ثورة اليمن باقية بقاء دور عبد الناصر فيها

ليست هناك ثورة او حدث ثورى أثار من التساؤلات والخلافات مثل ماأثاره ذلك الحدث الثورى الذى فوجىء به العالم ينطلق من صنعاء فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ، والذى لم تكف اذاعة أو وسيلة اعلام فى الدنيا عن تسميته باسمه الصحيح ، باعتباره ثورة وطنية ، ولم تخطىء فى تقييمه على هذا النحو طيلة الفترة التى كانت فيها اليمن مركز الاحداث العربية والتى تحولت خلالها الى ساحة صراع لاهب بين حركة التحرير الوطنى اليمنية والعربية ، وبين حركة الردة والثورة المضادة التى قادتها قوى الرجعية والاستعمار ضدها ، والتى امتدت زمنيا الى لحظة عودة الجيش المصرى الباسل الذى جاء لنجدتها ونصرتها ، عودته من اليمن فى اكتوبر ١٩٧٣ — تحت تأثير نكسة يونيو ١٩٦٧ — الى القاهرة ، لحماية قاعدة الثورة العربية هناك ، والى لحظة حدوث انقلاب ٥ نوفمبر الرجعى بعيد ذلك مباشرة ، بفعل اختلال توازن القوى بين قوى الثورة وقوى الثورة المضادة فى اليمن والجزيرة بعد انسحاب الجيش المصرى وبعد وقوع نكسة يونيو القومية التى ألقت ظلالها القاتمة على هذه الساحة النضالية فى اليمن .

لقد اتسعت علامات الاستفهام واستعر الخلاف أكثر حول هذا الحدث الثورى ، وحول مدى علمية ومنطقية تسميته بالثورة ، بعد سقوطه وسقوط صنعاء معه — فور خروج الجيش المصرى — فى يد تحالف اقطاعى — قبلى ضارب ، مدعم بخلفية رجعية واستعمارية عريضة ، تحالف اتسع نطاقه فيمابعد — بمقتضى ماأسمى (بالتصالح الوطنى) بين القوى الجمهورية والملكية — باستثناء بيت حميدالدين — الذى تم فى نهاية مارس ١٩٧٠ — وضم ممثلى الرجعية القديمة والجديدة معا .

ان هذا المنحنى المنحدر الذى سارت فيه الثورة اليمنية — بعد

انتهاء الوجود القومي المباشر فى اليمن ـ هو ماجعل البعض يعتبر أن ماقام به عبد الناصر فيها باسم دعم ثورتها لايعدو أن يكون عملا محبطا من أعمال (تصدير الثورة) ولايعدو أن يكـون ـ فى أحسن الاحوال ـ تكرارا ـ بدونما اعتبار بأحداث التاريخ ـ لحملة محمـد على الفاشلة فيها فى القرن التاسع عشر !

وكما شوهت هبة مصر القومية (المبكرة) تحت قيادة محمد على وابراهيم باشا ، والتى استهدفت ـ تاريخيا ، ولو بدون وعى كامل منهما ـ اقامة دولة عربية موحدة ومتحررة من النير العثمانى، وصورت بأنها ليست سوى نمط نموذجى لطموح الزعامة الفردية الذى غالبا ماتقع الشعوب ضحية له وتدفـع ثمنه · فقـد اعتبرت انتفاضة مصر القومية الحديثة ـ بفضل قيام ثورة ٢٣ يوليو ـ ومضيها تحت قيادتها الناصرية فى حمل راية التحرير الوطنى ، والتوحيـد القومى ، وفى مطاردة قوى الاستعمار ، واقتـلاع ركائزه الرجعية من كل ركن من أركان الوطن العربى ـ اعتبرت مجرد شكل آخر من أشكال (جنون العظمة) والبحث عن (المجد الشخصى) الذى عانى منه الشعب المصرى ما عانى من المتاعب والآلام ، والذى لم يفض مع ذلك ـ قوميا ـ الا الى البوار والخسران المبين !

والغريب ـ أكثر من ذلك ـ أن دور مصر فى اليمن ـ ناهيك عن الثورة اليمنية ذاتها وما تمثله ـ لم يتعرض لسوء الفهم ، وأحيانا التجريح ، من قبل القوى اليمينية والوسطية العربية فحسب ،وانما أيضا من بعض القوى اليسارية ، بل وبعض القوى التى كانت مقربة من عبد الناصر ، ومحسوبة على الناصرية !

ولا محيص هنا من ايراد بعض أقوال هذه الاطراف التى تبين الى أى مدى غدا دور مصر القومى ودور الزعامة الناصرية ـ من وجهة نظرها ـ ولا سيما فى اليمن ـ يصنف ضمن قائمة الاعمال الفاشلة والخاسرة وليس ـ كما تؤكد الحقيقة الموضوعية والتاريخية ـ صفحة من أنصع صفحات المنجزات والأمجاد الثورية التى حققتها ثورة ٢٣ يوليو ، أيا كانت السلبيات التى صاحبت هذا الدور !

فتعبيرا عن وجهة نظر القوى اليمينيـة والرجعيـة المصرية والعربية يقول مصطفى أمين فى عدد ١٩٧٥/٩/١٣ من أخبار اليوم: «ولقد عشنا سنوات طويلة نتبادل التهم ، ونهاجم الملك فيصـل ، ونتآمر على عدد من الدول العربية ، ونقسـم العرب الى تقدميين ورجعيين ، وانتهزت اسرائيل هذا الخلاف ، وحرب اليمن التى كان

العرب يقاتلون فيها العرب ، وأنزلت بنا هزيمة ٥ يونيه ، ولولا هذا الخلاف لما حدثت هذه الحرب ، ولما جرؤت الولايات المتحدة أن تساعد اسرائيل هذه المساعدة العسكرية الهائلة ، وعندما حدثت الهزيمة المروعة فوجئنا بأن الملك فيصل هو أول من يمد يده الينا فى هذه المحنة ، ولم يقدم لنا التقدميون سوى الكلمات والنصائح والخطط وعبارات التوبيخ!» ويختم توأمه على أمين فى عدد ١٤/٩/١٩٧٥ من الاخبار هذا الهراء الرجعى — وبلهجة أكثر غوغائية وسوقية وأكثر اسفافا وتطاولا على الزعيم الخالد عبد الناصر ، بقوله ان هذا العهد — على أى حال — قد ذهب ، وذهب معه ذلك «المصرى القبيح الذى يشتم كل الناس ، الذى يهدد ويتوعد ولا يقول شيئا ، الذى يريد أن يقلب الحكومات ، ويتدخل فى الشئون الداخلية للبلاد الاخرى ·»

ان ماجاء فى كتاب (عودة الوعى) لتوفيق الحكيم من أحكام خاطئة عن الثورة اليمنية ، ودور عبد الناصر فيها ، هو تعبير نمطى لرؤية القوى الوسطية الليبرالية فى مصر والوطن العربى للقضية القومية وتحفظها المفهوم ازاءها وازاء ماقامت به ثورة ٢٣ يوليو بقيادتها الناصرية حيالها !

على أن مايستثير العجب هو ذلك التقييم غير المدروس للحقبة الناصرية وانجازاتها القومية الذى تسرعت الى طرحه بعض القوى اليسارية القومية ، كما هو الحال مثلا بالنسبة للقيادة القومية لحزب البعث العربى الاشتراكى — المركز العراقى — التى جاء فى بيانها الشهير الصادر فى ٣/٩/١٩٧٥ : «ان المحصلة المباشرة لتعامل النظام المصرى من خلال العشرين سنة الماضية مع المحيط القومى والقضايا القومية هى الاخفاق والخسائر — فهناك تجربة الانفصال· وتجربة اليمن · وهزيمة يونيو (حزيران) وغيرها من التجارب ·» (بيان القيادة القومية لحزب البعث العربى الاشتراكى (واع)

كما ان العجب لاينقضى عندما نقرأ للاستاذ محمد حسنين هيكل الذى عرف بقربه من عبد الناصر والذى كان وما يزال يعتبر نفسه ناصريا ، سلسلة من المقالات فى الاهرام (بصراحة) يصور فيها ثورة اليمن — وبطريقة استعلائية — بأنها أشبه ماتكون بحدث خاطىء كان ينبغى الا يقع ، وينظر الى دور مصر فيها بأنه كان ورطة محققة ، ويرى مايسميه (حرب اليمن) انه كان — شأن انفصال سوريا عن مصر ، وشأن حروب اسرائيل العدوانية — أحد فصول التراجيديا المصرية الحديثة ، ذلك ان — كما كتب — «حلف الاستعمار

والصهيونية» وضع «خطة ضرب مصر بأقسى العنف ، ضربها مباشرة، كما حدث سنة ١٩٥٦ ، و١٩٦٧ ، أو جـرها الى ميادين بعيـدة ، لاستنزافها ، كما حدث سنة ١٩٦٢ الى ١٩٦٦ فى اليمن ٠ » وبدلا من أن يعتبر عام ١٩٦١ نقطة التحول الثورى الاجتماعى والقومى ـ حيث صدرت منذ هذا الوقت فما بعد قرارات التأميم الراديكالية ، وأعلن الميثاق ، وقامت ثورة اليمن ، وانتصرت ثورة الجزائر وسقط حكم الانفصال اليمينى فى دمشق ، وحكم الفردية القاسمى فى بغداد ـ بقطع النظر عما صاحبه من مذابح راحت ضحيتها بعض القـوى التقدمية ـ كما انطلق المد القومى والثورى من جديد على امتـداد الساحة العربية مما اطار صواب القوى الاستعمارية ، وعجل بعدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ الصهيونى الامبريالى لوقف هذا المد التحـررى المتصاعد ـ بدلا من ذلك فانه يعكس الآية تمـاما ، حين يقول ان الاستعمار وحلفاءه كانوا «قد استطاعوا تحويل التيار ، ووضـعوا الحركة الثورية على مواقع الدفاع ، ١٩٦١ كان الانفصال ، سـنة ١٩٦٢ كانت حرب اليمن التى تحولت الى عملية استنزاف ، أضيف اليها الحصار الاقتصادى الامريكى ، فى وقت بدأت فيه المشـاكل الطبيعية للتنمية تظهر ، سنة ١٩٦٧ بلغ الهجوم المضاد للثورة مداه فى ٥ يونيو ٠ كانت تلك كلها : الانفصال ، واليمن ، والنكسـة ، معارك فى حرب متصلة شنها الاستعمار فى الستينات ، انتقاما لما أصابه من الحركة الثورية فى الخمسينات ٠» (أنظر مزيدا من أقوال هيكل حول ذلك فى الاهرام ٥-١٢-٦٩ ، ١٩٧٠ ، ٤-٩-١٩٧٠ ، ٢-١١-١٩٧٠ ، ١٩-٢-١٩٧١ ، ٧-٧-١٩٧١ ، ٢٢-١٠-١٩٧١ ، ١٤-١-١٩٧٢ وكذلك عبد الناصر والعالم ، بيروت ١٩٧٢ ص٤٩)
لم يكن عبد الناصر ـ فى واقـع الامر ـ يتصرف ازاء القضـية اليمنية والعربية بمقياس تجارى يقوم على حسبان الخسائر والارباح، ولا بمقياس علماء المنطق الرياضى الذين يحسبون النتائج انطلاقا من مقدمات وأرقام محسوبة وباردة ، وانما كان يتصرف كصاحب رسالة تاريخية ، وحامل مهمة ثورية وقومية ، فى مجتمع عربى مجزأ وشبه مستعمر ومتشابك المصالح والتيارات الداخلية والخارجية ٠ وقـد لخص رسالته التاريخية والثورية هذه فى ضرورة النضال القـومى والاجتماعى الشامل ضد التجزئة الاقليمية ، والاقطاع العـربى ، والرأسمالية الاحتكارية والامبريالية العالمية ، وربيبتها الصهيونية ، وركيزتها الرجعية المحلية ، ومن اجل اقامة مجتمع اشتراكى عربى موحد فى اخر الامر ٠ وبوحى هذه المبادىء كان ـ كما جاء فى خطابه

في ٢٣ يوليو ١٩٦٧ ـ كان كفاحنـــا « ووقوفنا ازاء محاولة ضرب الثورة العراقية سنة ١٩٥٨ ، وصمودنا ازاء الثورة الجزائرية في سنة ١٩٥٤ الى ١٩٦٢ ، وانتصارنا الى جانب الثـــورة اليمنية ، وتأييدنا لثورة الجنوب العربي حتى آخر مشكلة واجهناها وما نزال نواجهها ، فقد كانت بدايتها محاولة لغزو سوريا » ٠

(عبد الناصر والثورة ، القاهرة ١٩٧٠ ص ٢٨٨) ٠

واذا كان البعض ممن لايروق له عبد الناصر ولا اعماله يرى أن هذا البطل القومي الفذ انما يبرر بهذه الاقوال اعماله ، أو مغامراته الخارجية الفاشلة ـ كما يقول ويكتب هذا البعض ـ وان كل كلام له عن هذه الاعمال لايصح أن يكون شهادة أو مرجعا ، أو حجة تاريخية أو وثائقية ، يستند اليها في تقييم نهجه القومي ، فأنه لا مفـــر من الاحتكام الى رفيقه وخليفته انور السادات الذى ـ كما ادخل تعديلا على سياسة مصر العربية ـ فأنه قيم في ذات الوقت نهجها القـومي الناصرى السابق الذى كان هو احد ابرز اقطابه وراسمي معالمـه ، تقييما موضوعيا صادقا وامينا ، عندما قال في خطاب ٢٣ يوليـــو ١٩٧٤ : « لم تكن مصر ، ولم تكن العلاقات الدولية في تلك الليلـه الخالد منذ اثنتين وعشرين ســـنه كما هي اليـــوم ٠٠ أن البعض يأخذون على ثورة ٢٣ يوليو معاركها ضد الاســـتعمار ومقاومتها لمناطق النفوذ ويحسبون ماتحملناه في هذا السبيل ، ولكنهم ينسون أن هذه المعارك فرضها علينا الاستعمار ، ولم نفرضـها نحن عليه ، لاننا ببساطة كنا نطارد وجوده ، أو نفوذه في بلادنا ، ولم نكن نهاجم بلاده ، وينسون أنه بغير هذه المعارك ما كان ليحسم تاريخ الاستعمار في العالم بعد قرون ، ولو لم نتصد له نحن وغيرنا من الشعوب التى ظلت تلك القرون مغلوبة على امرها لما صار لهذه الشعوب الوزن الذى لها اليوم ، ولظل المندوب السامي لهذه الدولة أو تلك كما كان هو الذى يقيم الحكومات ويسقطها ، ويتخذ القرارات ويلغيها ، ويخضع مصالح هذه الشعوب لمصالح بلاده ٠ والبعض يأخذون على الثـورة نضالها في الساحة العربية وينسون العائد القومي الضخم من تدمير اسطورة الجزائر الفرنسية ، ومن انسحاب الاستعمار من الخليـــج واليمن واطراف الجزيرة العربية ، وينسون الاحباط الذى لحـــق بمحاولات تقسيم العالم العربي بين شرق وغرب ، وينسون الفشـــل الذريع الذى منيت به سياسات دولية تقليدية قامت دائما على اساس عزل مصر » ٠ (الجمهورية ١٩٧٤/٧/٢٤) ٠

وحتى مع التسليم بحدوث انتكاسات وخسائر وهزائم لخط الناصرية القومي ، وفقدانها جميع ساحات النضال العربيــة التي خاضتها وقاتلت فيها ، فأن المقياس الموضوعي الصحيح للحكم عليها وعلى صحة هذا الخط هو ما اذا كانت معاركها هذه كانت موجهة ضد الاستعمار والصهيونية والرجعية أم ضد مجهول ، وما اذا كانت قــد أحدثت خلال نضالها العارم والمتفانى يقظة شعبية عربية وتحولا ثوريا قوميا أم لا ، وما اذا كانت شعاراتها وبرامجها النضالية التى طرحتها وتحركت تحت لوائها كانت تعبر عن حاجات ومقتضـــيات التطور التاريخي والاجتماعي أم العكس ، وهكذا دواليك .

لايستطيع منصـــف أن يجادل في أن الحقبة الناصرية كانت ـ حتى بانتكاساتها وهزائمها وخسائرها وحتى بسقوط راياتها في جميع الساحات القومية التى قاتلت فيها ـ تمثل اروع واشـــجع واوسع تحرك قومي عربي نضالى معاصر ضد الاستعمار والصهيونية والرجعية والتجزئة والاقطاع والرأسمالية ، وانها قـــد اطلقت من عقالها حركة جماهيرية عربية عريضة لامثيل لها ، وفجرت وعيا قوميا وثوريا غير مسبوق ، وصنعت تغييرات هيكلية تقدمية في الخريطة الاجتماعية والقومية العربية لارجوع عنها ، واحدثت فى آخر الامر نقلة تاريخية ثورية في النضال القومي والاجتماعي العربي لاراد لها مهما تعرضت للمصاعب والازمات ، وحتى للتقلص والانتقاص !

ان من هذه الساحات القومية التى اثمر فيها نضال عبدالناصر وثورة ٢٣ يوليو معه الساحة اليمنية ، لقد اثمر برغم كل السلبيات والخسائر والهزائم والتراجعات التى حدثت في هذه الساحة اثنـاء الوجود القومي المصري فيها أو بعده . لقد تخلقت فى ظل المعـــارك « الناصرية » التى دارت فيها حركة تحرير وطني يمنية بالغة الفتوة والنشاط ، وتفجر وعي شعبي وثوري لاحـــد له ، وخرجت اليمن ـ لاول مرة ـ في تاريخها من حالة ركود التطور ، والجمود السياسي والعزلة الاقليمية التى فرضت عليها مئات السنين ، وســـقط قبل ذلك وبعده أقدم واعرق وابشع نظام رجعي كهنوتي أوتوقراطي متخلف في جزيرة العرب ، كما خرج من اليمن نهائيا والى الابد اقدم واعتى واظلم نظام احتلال امبريالى طغيانى عرفته المنطقة العربية ، وقامت على انقاض كل منهما جمهوريتان وطنيتان يمنيتان ـ ايا كان التباين القائم اليوم بينهما والزائل لامحاله ـ الا انهما يمثلان نقطة البداية

نحو استكمال التحرر الوطني والاستقلال الاقتصادى ، والوحدة الوطنية ، وبالتالى قيام الشخصية اليمنية الحديثة ، والدولة المركزية الموحدة الوطنية لديمقراطية ، الناهضة المتقدمة •

أن قيام نظام وطنى متحرر فى جنوب البلاد ، ونمو الحركة الوطنية اليمنية المتصاعد ، وسعيها الحثيث نحو توحيد اطرافها فى جبهة نضال وطنى من أجل انجاز مهامها التاريخية ، ليؤكد ــ برغم الردة التى حدثت فى شمال البلاد منذ انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ والتى لم يتم التغلب عليها بعد ــ أن الثورة اليمنية باقية ، وان قواها بخير ، وأن جذوة النضال التى اشتعلت بقيام ثورة سبتمبر ١٩٦٢ لم تنطف أو تخب ، وانما زادتها الاحداث والانواء المعاكسة توهجا وسطوعا ، كما زادت المناضلين اليمنيين تمرسا وصلابة ، وان دور ثورة ٢٣ يوليو فى هذه الثورة ، ودور عبد الناصر شخصيا ، باق ومستمر ، ما بقيت هذه الثورة واستمر نضال قواها الوطنية والتقدمية •

نعم لقد « ضاعت ــ كما كتب الاستاذ محمد حسنين هيكل فى جريدة (الهدف) الكويتية فى ١٩٧٦/١/٨ ــ على سفوح الجبال الكالحة فى حرب اليمن » نتائج مؤتمر القمة العربى الذى عقد فى القاهرة عام ١٩٦٤ لمناقشة موضوع « تحويل مياه نهر الاردن » ولكن نتائج ثورة ٢٣ يوليو فى اليمن ، ونتائج دور عبد الناصر فى ثورتها لم تضع ولن تضيع !

كفى تشويها للدور القومى لمصر وعبد الناصر فى اليمن

لا تكف قوى اليمين فى مصر عن اعمال معاولها ليل نهار ، لهدم صرح ثورة ٢٣ يوليو الرائدة وهدم دور عبد الناصر القيادى فيها ، حتى لقد بلغ الحقد الاعمى ببعضهم حد اخراج عبد لناصر منها ، وتصويره فى صورة من تسلق اكتافها ، و (ركب الموجه) ليس الا — كما كتب على سبيل المثال أحمد حسين فى عدد ٢١ / ١٢ / ١٩٧٥ من جريدة (الاخبار) القاهرية ، الأمر الذى جعل الرئيس السادات يتصدى بنفسه لهذه الحملة التضليلية العمياء والحاقدة ، ويؤكد فى الحديث التليفزيونى الذى جرى معه مساء ١٩٧٥/١٢/٢٥ بمناسبة عيد ميلاده ، ان عبد الناصر كان هو المنظم والقائد لحركة الضباط الاحرار منذ تكونها فى مطلع الاربعينيات الى يوم قيادته للثورة ، وأنه « يجب أن ننصف الحقيقة ، وننصف التاريخ ، جمال اتخذ قرار قيام الثورة » ، (الاهرام ، الجمهورية ، الاخبار ، ١٩٧٥/١٢/٢٦).

وكجزء من حملة التشويه والتجريح لثورة ٢٣ يوليو ، ولدور عبد الناصر القيادى فيها ، تأتى عملية المسخ والطعن فى كل انجاز قومى ، وكل اسهام نضالى قامت به ثورة ٢٣ يوليو تحت قيادة زعيمها العظيم الراحل ، وتصوير ذلك بأنه مجرد مغامرات حمقاء وعقيمة لم تقد الا الى الخذلان والخسران فى (الخارج) والبؤس والتعاسة فى (الداخل) .

وجزء كبير من هذه الحملة ينصب على دور مصر فى اليمن ، ومسئولية عبد الناصر الشخصية فى ذلك . (فثورة اليمن) ليست سوى (مؤامرة) طبخها عبد الناصر مع (عملائه) من اليمنيين ، دون أن يكون اليمن مهيأ لها من قريب أو بعيد ، ودون ان يكون لها ادنى حاجة او ضرورة ، ومن هنا وقوف القبائل اليمنية مع زعمائها ضد هذه (الثورة المفتطة المصدرة) وخوضها حربا مريرة

وطويلة ضدها وضد (مدبريها) المصريين ، هذه الحرب التى لـم يجد فى اخمادها أو القضـــــاء على محــــاربها اليمنيين لا جيش الجمهورية اليمنية الذى حاولت مصر انشـــاءه ، ولا جيش مصر الحديث الذى انتقل معظمه الى هناك (لزراعة وصناعة) هـــذه الجمهورية (المخلقة) فى أرض اليمن القاحلة السـبخة ، وكانت الحصيلة (لحرب اليمن) التى سفكت فيهـا الدماء الغزيرة اليمنية والمصرية لرى هذه النبتة الجمهورية المصطنعة ، والتى أكلت الاخضر واليابس ، ودمرت الشعب اليمنى والمصرى معا ، هو عودة اليمن (سيرتها الاولى) فور خروج جيش مصر منها ، مما أكد مرة أخرى عدم أهلية اليمن وقدرتها على احداث ثورة حقيقية ناجحة ، وأكد ان هذه الثورة (صناعة مصرية) خالصة ، لم تلبث أن تبخرت فورتخلى مصر عنها ، حيث أصبحت الجمهورية اليمنية منذ انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ تحت حكم وفى قبضة أولئك الذين حاربتهم هذه الجمهورية ، أو من المفروض انها قامت لانقاذ اليمن منهم ، وحيث لـم تعـد الجمهورية تحكم فقط من قبل القوى الاقطاعية والقبلية اليمنية ــ بشكل لم يسبق لم مثيل فى السابق ـــ ومن قبـل الرجعية اليمنية القديمة والجديدة معا ــ باستثناء بيت حميد الدين ــ وانما هـوت فوق ذلك أيضا الى قرار سحيق من التبعيــــة للرجعية العربية والاستعمار القديم والجديد !!

ويمضى المشوهون لدور مصر الناصرية ـــ وبعضهم بغير قصد أو وعى ، وبعضهم لاشك فى حسن نياته ـــ الى القول : أما كان أولى بمصر ـــ والحال كذلك ـــ ان تترك عملية التفاعل والتطور الداخلى فى اليمن تجرى مجراها الطبيعى ، وتسير وفق ظروف البلاد وامكانياتها الخاصة ، دون أى (تدخل خارجى) لا جـــدوى منه ، ولا طائلة من ورائه ، ودون محاولة (اجتراح المعجزات) ومحاولة قفز مراحل التطور الطبيعية والحتمية التى لا يستطيع أحد تخطيها ودون الدخول فى مشروع ثورى مكلف وخاسر فى وقت واحد !

لقد اشتركت فى الهجوم على ما يسمى (التدخل المصرى) فى اليمن فرق عديدة من قوى اليمين والوسط العربى ، وحتى من بعض القوى المحسوبة على اليسار اليمنى ، ناهيك عن دوائر الاستعمار التى أصدرت حتى الان العديد من الكتب مثل كتاب (الحرب فى اليمن) و (اليمن ٠٠ الحرب المجهولة) وغـــيرها من الكتب التى تصور دور مصر القومى والثورى فى اليمن بأنه لم يكن غير عمليــة

(غزو أجنبية) باسم القومية المزعومة ، وغير عملية اسناد خارجية مفروضة (لثورة مصطنعة ومصدره) من مصر ذاتها !

ومن مصر نفسها اشتركت فى هذه الحملة الدعائية المسمومة اقلام مشهورة ، واخرى مغمورة ، فضلا عن الاقـــلام الماجورة والمعروفة ، ويقف الاستاذ توفيق الحكيم فى طليعة الكتاب المشهورين الذين نددوا (بفعلة) عبد الناصر فى اليمن التى لم تقد الا الى خراب وجوع ونكبة مصر — كما يتضح ذلك بجلاء من كتابه الشهـــير (عودة الوعى) !

وقد دأب صحفيو (أخبار اليوم)القاهرية اليمينية ، ابتداء من التوامين مصطفى وعلى أمين ، مرورا بابراهيم سعده ، وانتهـــاء بالصحفى القديم الجديد القادم للتو من اوروبا احمد ابو الفتح ، على اطلاق عبارات(التنكيت والتبكيت)على ما ارتكبه عبد الناصر من(جرم) فى حق مصر واليمن والعرب اجمعين باقحامه مصر وجيشها فى حرب مهلكة فى شعاب وجبال اليمن الوعرة الموحشة والمجهولة !

ولم تشذ عن ذلك مجلة (المصور) التى لم يكتف رئيس تحريرها صالح جودت فى مقاله (من الذى سيجوع سنة ٢٠٠٠)المنشور فى عدد ١٩٧٥/٦/٢٠ منها ، بالاستشهاد بما جاء فى كتاب (سـنوات الهوان) لابراهيم سعده من ان عبد الناصر قد تورط (وخاض مع امام اليمن حربا خسرنا فيها « الجلد والسقط ») وانما اعتبر أيضا هذا التورط من أسباب المحنة القومية التى وقعت فيها مصر على يد عبد الناصر والتى لا تبرح تحاول الافلات منها !

ان آخر ما طالعتنا به الاقلام المصرية الخبيرة (ببواطن الامور) فى هذا الصدد هو ما نشرته مجلة (الاذاعة والتليفزيون) القاهرية فى عدد ١٣ ، ٢٠ ديسمبر ١٩٧٥ منها التى كتب أحد محرريها (سيد الباز) فى معرض حديثه عن دور ثورة ٢٣ يوليو فى اليمن و (تاريخها السرى) بانه لا يكتب بنات أفكاره ولا يستقى معلوماته من المصادر العادية المتاحة لكل من هب ودب ، ولاحتى بالرجـــوع الى آراء ومعلومات هذه الشخصية اليمنية أو تلك ممن كانت لها علاقة مـــا بقيام الثورة اليمنية ، وانما هو ينقل من مصادره الخاصـــة التى ليست فى متناول الايدى ، ذلك — كمـــا يقول — ان البحث عن الحقيقة « ليس من خلال الروايات الشخصية ، فذلك شىء لاأومن به ولا اقتنع ، بل من خـــلال الوثائق ، والمحاضر السرية لهـــذه الاحداث ، وعلى ذلك فانى ارفض ان يتحول الحديث عن التاريخ

الى مجموعة حكاوى واقاصيص نشـــــــد بها انتباها ، وتثيرها ، متناسين اننا بهذه الطريقة نجرم فى حق امتنا ٠ أن القصـــة فى التاريخ لامكان لها الا عنـــدما تكون المعبر الحقيقى عن فكرة ما ، وسلوك ما ٠٠ وعلى ذلك فانى اقول للذين تكرموا وابدو استعدادهم للحديث عن حقائق الاجتماعات السرية بين القيادة المصرية واليمنيين بما يخدم نفس الفكرة التى تعرضت لها ، اقول لهم ليس هـــــذا ما اقصد ، ولم يحن اوانه بعد ، علاوة على انه متوفر لدى » .

ومن هذه الاسرار الخاصة التى طالعنا بها الكاتب ان «امريكا وروسيا كانتا على الاقل لاتتفقان ضد هذا التدخل ، فقد كانت أمريكا تريد ان تجعل من ناصر مثالا للزعماء الذين يخرجون عن ارادتهـــا وكيف تنتهى بهم الامور ، ولقد تكشف فيما بعد ان الولايات المتحدة كانت تعرف ما يدور داخل اليمن ، والدور الخفى الذى تقوم بـــه الاصابع المصرية هناك ، ولم تعترض ، وقد كان امامها مثلا ان تبلغ ائمة اليمن » (١) ٠

أن مما يستلفت النظر أن من المصادر الخاصة وغـير الميسرة بالطبع التى يستشهد بها الكاتب على علم أمريكا بالمخطط المصرى للتدخل فى اليمن باسم احداث ثورة فيها رواية « مبعوث أمريكى ارسله الرئيس الامريكى بعد حرب ٥ يونيو ١٩٦٧ الى المنطقة » وقام بسرد قصة الثـــورة اليمنية على مسامع « احـــد المسئولين الكبار فى عهد ناصر » على النحـــــو التالى : « فانك تظلم الحقائق كثيرا عندما تطلق على ما حدث فى اليمن صفة الثـــورة ، واظنـــك توافقنى على ان الثورة هى عمل داخلى فى الدرجة الاولى ، تقـــوم به مجموعة من ابناء هذه الدولة » اما ما حدث فى اليمن فقد سار على عكس ذلك تماما ، ففى « ١٣ مارس ١٩٦٢ ذهبت مجموعـــة من ضباط المخابرات المصرية الى عدن ، والتقت فى مكان بين تعـز وعدن بمجموعة من الضباط اليمنيين ، على رأسهم النقيب عـــلى عبد المغنى ، الزعيم الحقيقى للثورة ، ودار البحث فى هذا الاجتماع عن كيفية تغيير نظام الحكم فى اليمن . هل تعرف من الذى قــــام بالتحضير لهذا الاجتماع والاعداد له ، انه محمد عبد الواحد الكاتب بالسفارة المصرية فى اليمن ، وهو صديق شخصى لاحد اعضـــــاء مجلس قيادة الثورة المصرية ، الذى كان له دور كبـــير فى مسالة اليمن ، ولقد كانت القوات اليمنية التى هاجمت قصر الامام البـــدر اثناء التمرد تمتلك دبابتين ، احداهما انحشرت القذيفة فى ماسورتها

فلم تنطلق ، والدبابة الاخرى لم تستطع كذلك الحركة ، مما هدد الحركة بالفشل ، فذهب محمد عبد الواحد الى عبد الله السلال ، وكان الامير البدر قد عينه رئيسا لاركان الجيش بعد خروجه من السجن ، وقال له .. ان الثورة قد نجحت ، وقتل الامام البدر ، وناصر ونظامه يؤيدان بكل قوة هذه الثورة ، وهم الذين صنعوها ، ملن أجل ذلك اطالب بتأييدها ، وفعلا ايدها السلال ، واعطى محمد عبد الواحد مفاتيح مخازن السلاح ، وبذلك أنقذ الحركة من الفشل ، ثم أصبح السلال فيما بعد زعيما للثورة بعد وفاة على عبد المغنى فى معارك الجبال ، وعلى هذا فاراك تتفق معى فى أن تدخل الجيش المصرى فى اليمن لم يكن نتيجة لتدخل القوى الاجنبية، بل كان شيئا معدا مسبقا . » وقد بدأ التدخل المصرى فى اليمن — — حسب رواية المبعوث الامريكى — بارسال « ٢٠ رشاش « بور سعيد » ١٠٠ قنبلة يدوية ، ٢٥٠ بندقية » تمهيدا لقيام الحركة التى ما لبثت ان شدت جحافل الجيش المصرى الى اليمن لحمايتها ، مما ادى الى افلاس الخزانة المصرية وامتصاص الاقتصاد المصرى ، ونتيجة لذلك فانه — مشيرا الى الهرم الاكبر — بنفس كيفية « عملية النهب التى تعرض لها هذا الهرم » حدثت عملية استلاب مصر وابتزازها فى اليمن ، « وهكذا صنعت حرب اليمن باقتصادكم » مخاطبا المسئول المصرى !

ويمضى سيد الباز فى روايته (الموثقة) لقصة الثورة اليمنية والمعتمدة على مصادره الخاصة وعلى المحاضر السرية ورواية المبعوث الامريكى — الى القول بان عبد الناصر كان قد صاح — قبل قيام الثورة اليمنية — فى وجه من اخطره من اليمنيين المطلعين على خطط قيامها بأن الثوار « لايستطيعون الاستمرار بدون الحماية المصرية سوى ايام قلائل » قائلا : « لااستطيع ان احمى ثورة فاشلة ، اما ان تستمروا أربعة عشر يوما ، حتى تجىء القوات المصرية ، والا فلا املك لكم شيئا » وان عبد الناصر قال — بعد اتفاق المصالحة الذى تم بينه وبين الملك فيصل فى الخرطوم فى اغسطس ١٩٦٧ — أى بعد النكسة مباشرة — مخاطبا رئيس الجمهورية العربية اليمنية آنذاك المشير عبد الله السلال الذى ابدى تحفظه على اتفاق المصالحة هذا ، وعلى خروج القوات المصرية من اليمن قبل « ان نكون على مستوى يؤهلنا للوقوف على اقدامنا » وقبل تأمين البلاد من الجيران

السعوديين الذين « لن يتأخروا لحظة عن بذل كل ما يستطيعون لاحداث تغيير فى اليمن ، لتدخل بذلك فى دائرة نفوذهم ، ولايعنيهم فى هذا الامر ان يكون الحكام ملكيين أو جمهوريين ، وانما كل ما يعنيهم هو ان يكون اليمن تحت نفوذهم » ذلك أننا « نعرف آل سعود جيداً ، وحياتنا كجيران معهم تجربة متصلة ، ومعارك متصلة معهم كذلك » قال ـ اى عبد الناصر ـ مخاطبا السلال ورادا عليه : « لقد ادينا دورنا بشرف وامانة ، وتحملنا تضحيات يعلم الله وحده مقدارها ومداها ، وانشأنا لكم جيشا عصريا ، ودربنا قياداته ، وحميناكم فى ايامكم الاولى ، ماذا تريدون اذن ، ألم يكفكم ما يقرب من خمس سنوات ، ثم لاتريدون الدخول فى تجربة الاعتماد على النفس ، متى تدخلونها اذن ، اسمع ، اذا كنتم تتصورون اننا سنغزو لكم السعودية فانكم مخطئون وواهمون . لست على استعداد لان استمر فى هذه (المأساة) أكثر من ذلك .. كفاية .. كفاية بقى . »

لن ندخل مع الكاتب فى مناقشة مدى صحة هذه الرواية لقصة الثورة اليمنية ، ودور مصر فيها منذ لحظات التحضير لها الى لحظة خروج آخر جندى مصرى من اليمن . فمن الواضح تلقائيا مدى اهتزازها ، وفقدانها المعلومات الدقيقة والكاملة ، والتحليل الموضوعى والسليم ، وذلك ما سيأتى اوانه فى حينه عند وضع تاريخ هذه الثورة ، بعد توفر وثائقها الضرورية والكاملة التى ليست حتى الان فى حوزة أحد من المؤرخين اليمنيين او المصريين ولسوف تحتل قصة ثورة اليمن وجهد مصر الجبار فى دعمها فصلا هاما من أبرز فصول تاريخ اليمن الحديث ، وتاريخ ثورة ٢٣ يوليو ، الذى تقوم الان على جمع وثائقه وتسجيلها ، تمهيدا لكتابة هذا التاريخ « اللجنة العامة لكتابة تاريخ ثورة ٢٣ يوليو » التى أمر الرئيس أنور السادات بتشكيلها برئاسة نائب رئيس الجمهورية السيد حسنى مبارك .

ولكن ما نملك قوله منذ الان ـ ودون انتظار الوثائق الخاصة بقيام الثورة اليمنية وقبل كتابة تاريخها ـ هو أن قيام هذه الثورة جاء بمثابة عملية استباق واعتراض واجهاض لمحاولة انقلابية أمريكية كانت تجرى بالفعل من خلال الاسرة المالكة ذاتها وبقيادة بعض (سيوف الاسلام) وجاء نتيجة « تلاقى » ارادات يمنية ومصرية فى ضرورة احداث تغيير فى اليمن ، باعتبارها تشكل حلقة

الضعف القابلة للكسر فى سلسلة الانظمة الرجعية العربية آنذاك ، وان دور مصر فى التحضير لهذه الثورة وفى قيامها وفى حمايتها كان ضرورة (قومية وثورية) وجاء « مكملا » لابد منه لعوامل النقص الموضوعية والذاتية لقيام ونجاح هذه الثورة ، وان ذلك قد تم من منطلق قومي وحدوى لايعرف الاقليمية ، ولا يعترف بالتجـزئة ، ولا يعتبر نهوض مصر بدور ثورى فى أى بلد عربى (تدخلا فى شئون الغير) وانما جزأ طبيعيا من تحرك قومى ثورى عربى شامل لحركة التحرير العربى الوطنية التي كانت تقودها مصر ، ويتزعمها جمال عبد الناصر ، بهدف محاربة الانظمة الرجعية والاســـتعمارية فى المنطقة العربية ، وتحرير وتوحيد الوطن العربى فى ظل دولة عربية كبرى ديموقراطيـــة تقدمية . !

وما نملك ان نقوله منذ الان ان الرئيس جمـــال عبد الناصر ــ بهمته الثورية العالية ــ استهدف أيضا من قيام الثورة اليمنية ليس فحسب الرد على حركة انفصال سوريا عن مصر ، وانمـــا ايضا قيادة هجمة ثورية معاكسة ــ انطلاقا من اليمن ــ ضــد جبهة الرجعية والاستعمار البريطانى والامريكى معا ، وان الرئيس السادات كان المسئول السياسى المباشر عن القضية اليمنية طيلة وجود الجيش المصرى فى اليمن ، وان محمد عبد الواحد القـــائم باعمال السفارة المصرية فى صنعاء لم يكن يعدو ان يكون واحــداً من همزات الوصل القائمة بين الخلايا الثــورية فى اليمن وبــين القيادة القوميـــة فى مصــــر .

وما نريد ان نقوله ، انه كان تحت تصرف الثوار اليمنيين عند قيام الثورة عشرات الدبابات السوفيتية الصنع ــ وليس دبابتين ــ وان الزعيم عبد الله السلال الذى كان يشـــغل منصب رئيس الحرس الملكى فى صنعاء كانت له مجموعته التى تعمل منــذ وقت مبكر ــ وبطريقته الخاصة ــ ضد الحكم الامامى ، وانه كانت لــه تقديراته وحساباته المستقاة من تجربته السياسية المريرة مـــع الامامة ، وكان رأيه فى ضرورة الاطاحة بها وتحميســـه على ذلك معروفا لدى الاوساط العسكرية والمدنية المنـــاوئة للاسرة المالكة ، ولذلك لم يجد الضباط الاحرار الذين جرت بينه وبينهم عدة لقاءات قبل قيام الثورة ، من هو اقدر واجدر منه لاستلام زمام الحركة ، ومن هنا فان تزعمه لها فور قيامها لم يكن امرا اعتباطيا أو صدفيا ، لقد كان ضرورة موضوعية املاها ثقل السلال العسكرى والسياسى

واعتراف الضباط بذلك ، كما املاها الدور الخاص الذى لعبه الصعبة والحرجة من قيامها ، وهو الدور الذى كرس به السلال بالفعل فى حماية وتعزيز مواقع الحركة الثورية ، فى الساعات الاولى زعامته لها عبر سنيها الخمس الاولى

ونريد كذلك ان نقول — اضافة الى ما يؤكده المشير عبد الله السلال — الذى كان موضع ثقة عبد الناصر ، وكان يسير فى سياسته ضمن الخط العام للناصرية — من ان ما جاء على لسان الرئيس جمال عبد الناصر من حديث معه بعد اتفاق الخرطوم غير دقيق ولا أمين ، كما اورده سيد الباز ، ناهيك عن ان عبد الناصر لم يكن هو الرجل الذى يمن ، أو يستكثر ، أو يضيق أو يندم على دور قومى ثورى قام به فى اليمن ، أيا كانت نتائجه والاختلافات فى الرأى حوله — نريد ان نقول — اضافة الى ذلك — ان احاديث الزعيم العربى بعد اتفاق الخرطوم هذا ، لاتشير — لا من قريب ولا من بعيد — الى انه كان يعتبر أن ما حدث فى اليمن (مأساة) ولا انه احس بان مساعدته لثورة اليمن كانت خطأ ارتكبه ، وورطة وقع فيها ، وانه لو قدر له ان يعرف نتائجها سلفا ، لما اقدم على التشجيع عليها .

ولقد كان موقف الوفد اليمنى فى الخرطوم — وكان كاتب هذه السطور أحد اعضائه — والذى كان يتزعمه الرئيس السلال هو رفض (صيغة) الاتفاق الخاص باليمن بين الرئيس جمال عبد الناصر والملك فيصل . واصدر الرئيس السلال وقتها بالفعل بيانا خاصا بذلك فى الخرطوم ، فى نفس الوقت الذى أكد للرئيس جمال عبد الناصر انه لايعترض على سحب الجيش المصرى من اليمن ، ولكنه رجا الرئيس العربى ان يترك فى اليمن بعض الاسلحة الضرورية اللازمة لكفالة الاستمرار فى الدفاع عن الجمهورية ، وهو ما وعد الرئيس عبد الناصر بتلبيته ، بغض النظر عما حدث بعد ذلك من التعقيدات التى نجمت من جراء رفض السلال والحركة الوطنية اليمنية لاستقبال اللجنة الثلاثية الوزارية التى تالفت من السودان والعراق والمغرب ، والتى قدمت الى اليمن ، للتوفيق بين ما سمى (الاطراف المعنية) وفق اتفاق الخرطوم ، هذه التعقيدات التى ادت فيما بعد الى قيام انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ الذى أنهى حكم السلال الوطنى ، وافسح الطريق لعودة حكم الاقطاع والقبلية الى صنعاء هذه القوى الاقطاعية والقبلية التى وضعت حتى الجيش الحديث فى الظلال ، والتى اخذ هذا الجيش — بعد قيام حركة ١٣

يونية ١٩٧٤ – يحاول تقليص نفوذها ليستعيد زمام المبادرة منها ٠

ولقد قال عبد الناصر فى خطابه بمناسبة افتتاح الدورة الخامسة لمجلس الامة فى ٢٣ نوفمبر ١٩٦٧ فى معرض حديثه عن صيغة اتفاق الخرطوم ، قال : « فى الخرطوم استطعنا بالاتفاق مع الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية ان نتفق على موضوع اليمن ، وكان هدفنا فى هذا ان احنا نحقق المبادىء ، ولم تكن تعنينا الاشخاص » . « وثائق عبد الناصر ، يناير ١٩٦٧ – ديسمبر ٦٨ ص ٢٨٥) ٠

وقال الرئيس العربى فى آخر الخطاب ان حصيلة جهد مصر فى اليمن يتمثل فى أنه توجد اليوم « جمهورية فى صنعاء بدون قوات مصرية فى صنعاء » كما يتمثل فى جلاء الاستعمار البريطانى من « الجنوب المحتل ومن عدن ، والوطنيين هيتولوا الحكم » هناك لأول مرة ٠

ان هذا الانجاز التاريخى الضخم المتمثل فى تحرير اليمن من نظام الامامة الكهنوتى ، ومن النظام الاستعمارى البريطانى ، هو رد عبد الناصر العملى والموضوعى على كل مقالة تزعم بان حرب اليمن كانت – كما قال السيد حسن ابراهيم ، عضو مجلس قيادة الثورة المصرى السابق – « حرب (حربا) لا مبرر لتورطنا فيها » وجوابه الحاسم على ما نسبه اليه من انه احس بذلك « وكان معترفا به ، واذكر اننى كنت اركب الى جواره فى السيارة ، ودار الحديث ، ونحن نسير فى شارع رمسيس ، عن حرب اليمن ، وخسائرنا فيها ، فقال بالحرف الواحد – احنا انزلقنا ولا يمكن اغامر بعد كده بالجيش اطلاقا » ٠ (الصامتون يتكلمون سامى جوهر ، القاهرة ١٩٧٥ ص ٦٠) ٠

وفوق ذلك ألم يرد عبد الناصر على اقتراح السيد كمال الدين حسين – عضو مجلس قيادة الثورة المصرى السابق – بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ – بضرورة سحب الجيش المصرى من اليمن ، بلهجة استكار قائلا : « ونسيبها للبدر ؟ » (٢) ٠

نعم لقد سحب عبد الناصر جيشه من اليمن بفعل نكسة يونيو ، بعد ان كان ينوى قبلها ابقاءه فيها (عشرين سنة) – كما قال فى احدى المرات – حتى يقوى عود الثورة اليمنية ، وتتحرر المنطقة من الاستعمار والرجعية ، ولكنه لم يضطر الى ذلك ، الا بعد ان توفر الحد الادنى والضرورى من القدرة اليمنية للاستمرار فى حماية جمهورية سبتمبر فى وجه مؤامرات وحرب رجعية استعمارية ضارية

تمكن الشعب اليمنى من الصمود لها ، والا بعد ان تأكدت حتميـة خروج الاستعمار البريطاني من جنوب اليمن . ويكفى عبد الناصر ان جيشه لم يتحرك من اليمن الا بعد ان هوت راية الاستعمار البريطانى ولم يغـادرها نهائيـا ، الا وامامه تخـرج مدحـورة من عـدن قـوى الامبراطورية البريطانية التى لم تكن تغيب عن ممتلكاتها الشمس !!

ان اقوال ومنجزات عبد الناصر هذه هى الرد الحاسم ايضـا على ما كتبه الاستاذ عباس الاسوانى فى (مجلة روز اليوسـف) عدد ٦ اكتوبر ١٩٧٥ من ان الرئيس العربى قال ـ كما يروى موسى صبرى فى كتابه (وثائق حزب اكتوبر ص ١٧٦) : « احنا اتعلمنا الحساب من بعد ١٩٦٧ ... اللى ورطونا اليمنيين فى سنة ١٩٦٢ والسوريين سنة ١٩٦٧ » ورده كذلك على ما خمنه الاسـوانى من انه « لم يكن يدور فى ذهن عبد الناصر عندما قنف بالجيش المصرى فى جبال اليمن ، انشاء جمهورية عصرية ، واخرى ديمقراطية » ولكن يبدو ان الاسوانى لا يهتم بالنتائج الايجـابية التى تتمثل فى خروج اليمن من طوق النظام الاسـتعمارى البريطانى ، والنظام الكهنوتى الامامى ، وفى مضيها ـ بفضل الثورة ودعم مصر وكل قوى التحرر لها ـ فى طريق استكمال التحرر السياسى والاقتصادى، واستعادة شخصيتها ووحدتها الوطنية . ان كل ما يهمه هو ان يرى ـ شأن غيره من الكتاب المصريين الذين يعارضون قضية الثورة اليمنية ودور مصر فيهـا ـ من منطلق اقليمى وانعزالى ضـيق الافق ـ ان يرى ان حرب اليمن « لم يكن لنا فيها ناقة أو جمل ! » وانها كلفتنا « مع ذلك خسـائر مهـولة فى الأرواح والاموال » . ولامثال هؤلاء المشككين والمشوهين لجهد مصر الثورى والقومى فى اليمن نسوق ـ عدا ما قاله عبد الناصر ، مما لايتسع المجال لذكره ـ كلمة شريكه فى الثورة ، وخليفته عليها ، والمسئول المباشر عن القضية اليمنية الرئيس محمد أنور السادات التى لخص بها مهمة مصر القومية التى نهضت بها فى اليمن وعلى امتداد الساحة العربية بقوله ان امثال هؤلاء « يأخذون على الثـورة نضالها فى الساحة العربية ، وينسـون العائد الضـخم من تدمير اسطورة الجزائر الفرنسية ومن انسحاب الاسـتعمار من الخليج واليمن واطراف الجزيرة لعربية » . (الجمهورية ١٩٧٤/٧/٢٤) .

ومن جهة أخرى كانت بعض العناصر المصرية المفكرة وذات الفكر الليبرالى المتقدم كالدكتور لويس عوض ، قد قيمت دور عبد الناصر

في اليمن بأنه ـ كما جاء في محاضرة الدكتور التي القاها في نقابة الصحفيين المصريين بمناسبة الذكرى الخامسة لوفاة عبد النـاصر تم من منطلق (امبرطوري) مجاراة لحزب البعث العربي الاشتراكي . وانجرارا وراء شعاراته القومية الفضفاضة الداعية الى اقامة دولة عربية كبرى تمتد من المحيط الى الخليج الثائر وان هذا الجهد المصري في اليمن لم يكن عبد الناصر مهيأ له ، ولا كان جيشه مهيا للنهوض به ـ كما كان الحال بالنسبة لجيش ابراهيم باشا الذي ادى مهمته العسكرية بنجاح في اليمن ـ وان مصر ـ عسكريا وسياسيا ـ قد خاضت معركة خاسرة هناك ، وان كانت قد لعبت دورا حضـــاريا محدودا بهذه الحملة !!

على أن الدكتـــور لويس عوض الذي ابدينا في تعليقنا على محاضرته بعض المآخذ ، وطرحنا بعض الملاحظات الانتقادية الموضوعية على تقييماته هذه ، لم يلبث أن طور تصوره حول دور مصر الحضاري في اليمن ، وقدم تقييما متوازنا ومعقولا له ، ولردود الفعل الحادة التي واجهته ، حيث جاء في مقاله (الثقافة والبترول) الذي نشرته الاهرام في ١٩/١٢/١٩٧٥ ان من « يتأمل ما جرى في العالم العربي في السنوات الاخيرة ، يجد ان مشكلة البترول العربي بدأت منذ اقتربت مصر جمال عبد الناصر في ١٩٦٢ بحرب اليمن من بترول الخليج وبترول السعودية ، » بلغت الذروة ، عندما استخدمت مصر السادات سلاح البترول في حرب اكتوبر ١٩٧٣ » وان الدول العربية حاولت احباط التطورات التي حدثت في الفترة الناصرية بوسائل عدة منها « اجهاض الثورة اليمنية ، والوجـود النـــاصري في اليمن ، حتى لاتقترب يد التغيير الشامل من بترول السعودية والكويت وامارت الخليج ، وقد نجحت الى حد كبير في هذا المسعى ، فكان الاستنزاف على حساب مصر ، ولم يكن على حساب الدول البترولية ، وجاء التغيير على حساب الناصرية وليس على حساب النظم المتعاونة » التقليدية .

وتكمن الاهمية الثورية والقومية لجهد مصر في اليمن في واقع انه بفضل هذا الجهد المساعد والحاسم امكن اسقاط نظـام امامي أرستقراطي متحجر عمره الف عام ، كانت قد عجزت عن اســـقاطه ذلك حركة المعارضة اليمنية التي ضمت قطاعا واسعا من القوى الاقطاعية والعناصر الكومبرادورية ، رغم كل المحاولات الانقلابية التي قامت بها ضده منذ ١٩٤٨ حتى ١٩٦١ ، كما امكن بمساعدة هـذا الجهـد

القومى اخراج قوى الاحتلال البريطانى التى هيمنت على جنوب البلاد اكثر من قرن وربع قرن ، والتى كانت تهيىء نفسها – قبل قيام ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ فى صنعاء – للبقاء طويلا ، تعويضا عن فقدان الاستعمار البريطانى لقواعده العسكرية فى الســويس والحبانية ، وحفاظا على سيطرته على طريق المواصلات العالمى الاســتراتيجى ، وطريق البترول ، ما بين الخليج العربى والبحر الابيض المتوسط ، كما أمكن كذلك زعزعة البنية الاجتماعية والاقتصادية لمجتمع القرون الوسطى ، مجتمع ما قبل الرأسمالية فى اليمن ، حتى ليمكن القول أن ثورة اليمن ، ودور مصر الجبار فيها ، كان بمثابة ضربة الزلزال التى احدثت شروخا عميقة فى الارضية الاجتماعية والطبقية للمجتمع اليمنى ، وفجرت ينابيع القوى الكامنة والخلاقة فى اعماق الشعب ، واطلقت طاقات ابداعية حبيسة فيه ، واسهمت فى التعجيل – رغم كل السلبيات المصاحبة – فى خلق حركة وطنية يمنية شابة وفتية ، تقود اليوم جمهورية وطنية ديمقراطية فى جنوب اليمن ، وتكافــح من أجل دفع شماله على طريق التطور الوطنى الديمقراطى ، وتعمل على دفع الوطن اليمنى كله – رغم كل قصور أو نقص فى نشاطها – فى اتجاه التوحيد الوطنى الكامل ، والتقدم الاجتماعى الشامل ، وفى اتجاه الارتباط بحركة النضال لعربى العامة ٠

وذلك فى تصــورنا هو المــردود العمــلى والتاريخى ، البــاقى والمستمر الذى يعود على مصر وعلى دورها فى اليمن ، وعلى القضية العربية بمجملها ، من قيام الثورة اليمنية ٠

على أن مثل هذه الابعاد الكبيرة لدور مصر القومى فى اليمن ، ولدور عبد الناصر شخصيا ، ليست مما يسهل فهمه على ذوى النظر القصير ، حتى ولو كان هؤلاء ممن ساعدتهم الظروف ، وساعدتهم مصر بالذات ، على الظهور على مسرح الاحداث مع قيام الثورة اليمنية ، كالدكتور عبد الرحمن البيضانى ، الذى لم يكتف بنسيان أن مصر هى التى دفعت به الى سطح السياسة اليمنية ، وانه بالاستناد الى وجودها باليمن كان يطلق تصريحاته الرنانة (المتطرفة) والمعروفة ، وانما انقلب الى هجاء لها ولدورها ولقيادتها ، ولعبد الناصر شخصيا لما ارتكب – كما يرى – فى اليمن من اعمال تمس الشرف والكرامة والاستقلال والحرية فى اليمن !

فهاهو – كممثل للفكر البورجــوازى الكومبرادورى المريض

والمغترب ـ يطالعنا فى كتابه الجديد (نكبة الشــعارات على الام» العربية) بأكثر آرائه جرأة وغرابة فى الثورة اليمنية ، وفى دور مصر فيها ، وبأشد ما قاله عنها حتى الان مدعاة للعجب والدهشة !

فهو ـ بدلا من الاعتراف لمصر وجيشها بما أدته فى اليمن من خدمة قومية فى مقارعة الاستعمار والرجعية ، وفى الدفاع عن الثورة والجمهورية ـ فانه راح يكيل لها ولجيشها الباسل التهم جزافا ، الى حد وصفها بانها هى التى غدت تنطبق عليها صفة الاستعمار ، والى حد اعتبار جيشها بانه ـ من شدة تدخله فى الشئون اليمنية ـ غدا قوة احتلال حقيقية ، لم ينجم عنها ســوى طمس الذات اليمنية ، ومحق الشخصية الوطنية ، والحيلولة دون تحقيق السلام فى اليمن، تحقيقا لمخططات الشيوعية الدولية فيها ، التى اصبحت مصر بقيادتها السياسية احدى ادواتها ، واصبح جيشها هناك أحد اسلحتها ، كما اصبحت اليمن ذاتها احدى ساحات نشاطها !

ومن هنا فانه لمواجهة ذلك كله أخذ ـ كما يزعم ـ يصــطدم بقيادة الجيش المصرى فى اليمن ، ويدعو لاقرار السلام فيها ، ولو فى ظل صيغة تصالح تقسم بها أراضى الجمهورية الى نصفين : نصف للجمهوريين ، والنصف الآخر للاماميين ! وهو يعبر عن هذا المخطط الرجعى الجهنمى الذى لم يجهضه الا توقيف عبد الناصر له فى مصر بناء على طلب المشير عبد الله الســلال الذى لم تفته معــرفة نوايا البيضانى هذه المعادية لخط الثورة اليمنية والعربية ـ يعبر عن هذا المخطط فى ص ١٦١ ـ ١٦٤ ـ من كتابه على النحو التالى : « عندما بدأ التخطيط لثورة ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢ اتضح اننا فى حاجة الى دعم سياسى وعسكرى من مصر ، وهــذا لم يعد الآن خافيا على أحد ، بعد أن نشرته كل الكتب الاجنبيــة التى كتبت عن احداث اليمن ، وكان من المتفق عليه أنه يكفينا ٣٠٠ عسكرى مصرى وثلاث طائرات ، كرمز فقط يقنع الشعب اليمنى بهوية القائمين على النظام الجديد ، وقد وصلت المساعدة العسكرية ابتداء من اليوم الثالث عشر أو الرابع عشر من قيام الثورة . لكننا فوجئنا بتكرار المأساة التى وقعت فى سوريا أيام وحدتها مع مصر ، فوجئنا بتدخل سياسى مباشر منجانب هذه القوات المصرية بموجب أوامر منالقاهرة . وبدأ يتضح ان هذا التدخل يكاد يلغى شخصية اليمنيين القائمين بالحكم فى اليمن ، مما سهل على الذين عارضوا النظام الجديد اســتمالة

قطاعات شعبية كبيرة تحت شعار مقاومة ما وصفوه بالاستعمار المصرى • » وكنت« بحكم منصبى وبسبب المسئوليات التى القيت على عاتقى فى ذلك الوقت فى موقع الصدام مع بعض تصرفات القيادة العسكرية العربية فى اليمن » « وكنتيجة لعدة عوامل يمنية موضوعية ، وأخرى دولية ، بالاضافة الى خروج القوات المصرية فى اليمن عن الهدف الذى جاءت الى اليمن من أجله ، وظهورها على نحو ما فى صورة لم تتفق مع طبيعة الشعب اليمنى وحرصه على استقلال ارادته الوطنية ، كل ذلك ادى الى اتساع رقعة المعارك الحربية التى مزقت الصفوف الوطنية ، وحالت دون تحقيق التقدم الاقتصادى والاجتماعى الذى هو بيت القصيد الذى استهدفه النظام الجديد فى اليمن • لذلك حاولت بحكم منصبى كنائب لرئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ووزير الخارجية ان اصفى حسابات اليمن مع كل من امريكا وبريطانيا لاستعادة السلام الى اليمن » « فوصلت الى القاهرة على رأس وفد عسكرى لشرح هذه الظروف للرئيس عبد الناصر ، ولم أكن أدرى أن النفوذ الشيوعى كان قد وصل الى العصب الحساس فى القاهرة ، وكان التيار الشيوعى يرفض السلام فى اليمن ، لأن السلام فى اليمن معناه الاستغناء عن التواجد الشيوعى المتمثل فى الاسلحة والخبراء الى جانب القوات المصرية التى اصبحت تتأثر بهذا العصب الحساس وتخدم اهداف من يضغطون عليه ، سواء علمت بذلك أو لم تعلم • وكنت أشعر بالاطماع الشيوعية فى اليمن ، وكان ذلك مما دفعنى الى الاعلان عن اننا لن نقبل الشيوعية ، ولن نسكت عليها فى اليمن ، وكان ذلك فى خطاب شعبى عام ، ثم اندفعت الى طلب السلام باى ثمن ، ونصف الجمهورية خير من الشيوعة ، ونصف الامامية خير من الشيوعية ، وبعد اقرار السلام فى اليمن نتفق جميعا ، جمهوريين واماميين لأننا جميعا من المؤمنين ، ثم يأخذ التطور الحضارى مجراه فى اليمن بهدوء وتدرج ، بعد ان فتح النظام الجديد أبواب التطور والحضارة أمام الشعب اليمنى » •

ولما لم يغتفر البيضانى لعبد الناصر ابقاءه فى مصر ، واضطراره اياه الى العودة من عدن ، بعد أن قفز الى هناك قادما من المانيا الغربية ، بغية الزحف من هناك ــ كما قال ــ على اراضى الجمهورية لولا وجود جيش اجنبى فيها ــ أى وجود الجيش المصرى ــ لما لم يغتفر له ذلك ، ولم ينس له وضعه اياه فى السجن الحربى ، عقابا له على هذه المحاولة السافرة للأستعانة بالاستعمار البريطانى والالمانى

الغربى على الجمهورية الوليدة ، وعلى جيش مصر المدافع عنها ، فانه مضى يصب فى كتابه هذا جام غضبه الاسود على القائد الراحـل ، وينفث سموم حقده الاعمى عليه ، حيث كتب عنه فى ص ١٧١ ـ وباسلوب يدعو الى الأشمئزاز والتقزز ، كما يدعـــو الى الادانة والاستهجان ـ بقوله ، لقد انتهت « الجنازة القديمه وتم دفن الماضى البغيض وذابت مع التراب جثة الحقـــد والنرجسية التى مزقت الصفوف وهدمت المعابد فوق رؤس المريدين قبل المبغضين » .

على أن البيضانى ـ عندما أحس بغضـــبة الوطنيين اليمنيين العامة لهذا التطاول على دور مصر ودور قائدها الراحــــل جمـال عبد الناصر فى اليمن ، وبعد أن استخلصـــنا من الكتاب مثل هذه الفقرات الجارحة ، وبسطناها ـ فى محاضرة لنا فى رابطة الطلبـة اليمنيين فى القاهرة ـ عندما حدث ذلك ، عاد الى لعبة تخفيف وقع تهجمانه هـذه ـ ولكن دون توفيق ـ حيث نشر فى مجلة الأذاعـة والتليفزيون القاهرية فى عدد ١٩٧٥/١١/٢٩ حديثا حول كتابه هذا أكد فيه مرة أخرى أنه تبين ان الحرب فى اليمن لم تكن لها من نتيجة سوى استجلاب السلاح السوفيتي الى الساحة اليمنية الذى كان الكفيل لليمن فيه « هو مصر بزعامة الرئيس عبد الناصر ، ولم يكن الرئيس هو الكفيـــل فقط ، بل كان الى جانب هذا القـوات المصرية التى اشتركت فى تأمين النظام الجديد ، وكنا مجبرين على التحرك فى هذه الدائرة التى تبينا من خلالها اننا تورطنا فى حرب أهليه ، وكدنا نفقد استقلالنا » . واذن فان استقلال اليمن كاديفقد بسبب الدائرة السوفيتية ـ المصرية التى اخذت تطبق على عنقها ، وليس بسبب دائرة الحرب الاستعمارية ـ الرجعية ، وليس الاهلية فقط ، التى أخذت تدور رحاها على الساحة اليمنية ! صـــحيح ان البيضانى اردف قائلا ان « قرار مصر بمساندة شعب اليمن وســـام تاريخى يعلق على صدر مصر » ولكنه لا يلبث ان ينسف قيمة هـذا (القرار) أو يهيل عليه التراب ، عندما يكتب : « اما تجاوز القيادة المصرية دائرة مساعدة الشعب اليمنى ، واتخاذها من هذه المهمة قاعدة للصراع مع المملكة السعودية ، والغاء شـــخصية القيادة اليمنية ، وتسخر (وتسخير) القدرات اليمنية المحدودة فى معارك لا ناقة فيها للشعب اليمنى ولا جمل ، فهذا هو التجـــاوز الذى يمكن أن يصبح محل مأخذة تاريخية » .

وفى كل ما كتبه البيضانى لا يسمع المرء منه أو يقرأ له كلمة

واحدة ضد قوى الاســـتعمار والامبريالية وحلفائها الرجعيين في المنطقة ، ومسئولية هؤلاء جميعا في اشـــعال الحرب الاهليـــة في اليمن ، وفي محاولة القضاء على الثورة والجمهورية اليمنية ، والقضاء على استقلال اليمن وشخصيتها الوطنية ، والحيلولة بينها وبين المضي في طريق التحرر والتقدم والوحدة (ولا عبرة هنا ببعض ما قاله في بداية الثورة ضد الرجعية ، حيث انه تنصل عنه تماما ، باعتبـــاره كلامامفروضا عليه ، كما يتضحمن كتاباته اللاحقة التيتعبر عنحقيقة ايديولوجيته المحافظة وخطه السياسي اليميني ، وكما يتضـــح ذلك جيدا من كتابه الاخير هذا الذى نحن بصدده) .

وهو بدلا من الاشارة الى العدو الحقيقي الذى عمل جاهدا على أدلال الشعب اليمني وفرض التخلف والظلم عليه بالحديد والنار ، والذى اسال دمه ودم مصر معه فى حرب اليمن التى دامت بضـــع سنين ، فأنه يكيل التهم لمصر التيهبت لنجدة الشـــعب ولقيادتها القومية التى بانبرائها للذود عن حق هذا الشعب في التحرر ، مست استقلاله وجرحت ذاتيته الوطنية !

واذا كان المرء لايعجب من أى كلام قد يصدر عن البيضانى ، حيث انه فى امكانه ـ برغم ثبات خطة اليمينى المحافظ ـ أن يقول أى شيء ، وان يقول الشيء ونقيضه فى ذات الوقت ـ حســـب الطلب ـ فان العجب لا ينقضى ، عندما تأتى عناصر يمنية تدعى اليســـارية أو التقدمية لا تستطيع أن ترى دور مصر الثورى فى اليمن الا من زاوية (وثقب) عبد الرحمن البيضانى ، ثقب ان مصر جاءت به الى اليمن ، ليلعب دورا تخريبيا فى ثورتها . فليكن ذلك من سلبيات الدور المصرى فى اليمن ، ويكفى مصر عقابا أن البيضانى عاد ليعض اليد التى احسنت اليه !

والغريب كذلك أن مثل هذه العناصر المحسوبة على اليسار اليمني لاتكتفى بالنظر الى دور مصر القومي فى اليمن من (زاوية) دور البيضانى الشخصى فيها ، وانما هى فوق ذلك تهاجم ماتسميه « التدخل المصرى » فيها ، كما فعـــل عمر الجاوى ، رئيس تحرير مجلة (الحكمة) اليمنية الذى كتب فى عدد مارس ١٩٧٥ منها فى ص ٨١ بانه قد حيى القاضي محمد محمود الزبيرى ـ أحد زعمـــاء حركة المعارضة التقليدية اليمنية ـ لموقفه « الاخير فى عشية ثورة ٢٦ سبتمبر حين رفض التدخل الثـــورى من الجمهورية العربيـــة

المتحدة لقلب نظام الامام « لأن ذلك يعنى أن يدمغ الشعب بوصمة فى جبينه الى الابد » ٠

واذا كان (هذا الموقف لايريح « اليســـار الناصرى ») كما كتب ، كما لا يريح بالتأكيد ايضا كل قوىا لتقدم فى اليمن والوطن العربى وفى العالم كله ، فانه دون شك يريح الاوســـاط الرجعية والاستعمارية ، بما فيها اسرة بيت حميد الدين المسقطة التى كانت أول من وقف ضد « التدخل الثورى » لمصر فى اليمن ، لقلب نظامها الامامى الرجعى !

هكذا تكون نهاية بعض (المتحذلقين المـرتدين) الذين غابت عنهم بعض المفاهيم الاولية للفكر الوطنى والقـــومى والتقدمى : ان يسقطوا مباشرة فى احضان المفاهيم والمواقف الموغلة فى اليمينيـة والرجعية ، والتى لاتجعل منهم ـ فى هذه الناحية على الاقل ـ صورة افضل من صورة عبد الرحمن البيضانى الذى يحاسبون مصر على دوره السلبى فى الثورة اليمنية ، ويحسبونه عليها جملة وتفصيلا ، برغم كل اساءاته وتشويهه لدور مصر ودور عبد الناصر الثورى فى اليمن!

ولكى نقرب فهم الحركة القومية التوحيدية التحررية الثورية التى قادها عبد الناصر لأمثال هؤلاء الذين يهاجمونه ويهاجمونها اليـــوم نقول لهم : لقد وقف الغرب بالتعـــاون مع الامبراطورية العثمانية وبعض الاوساط الاقطاعية العربية ضـــد حركة التوحيد القوميـة البورجوازية المبكرة التى قادها ـ من مصر وبجيش مصر ـ محمد على باشا وابراهيم باشا ، واضطر جيش مصر نتيجة لذلك للعـودة من الجزيرة العربية ومن اليمن ، كما تم بفعل ذلك القضاء على وحـدة مصر وسوريا التى كانت قد تحققت آنذاك ٠ وذلك هو تقريبا ـ مع فارق الظروف ـ ما فعله الاســـتعمار الحديث بالتعاون مع الاقطاع العربى والبورجوازية الكومبرادورية العربية ضـــد عبـد الناصر وجيشه ، حيث عمل على فك وحدة مصر وســوريا التى قامت تحت قيادته ، وعلى اخراج جيشه من اليمن ، وكأن التاريخ يعيد نفسه !

من هنا تبـــدو كم هى متخلفة ورجعية تلك المفاهيم والمواقف التى اتخذتها القوى المناوئة لدور عبد الناصر القومى ، ومنها حزب الاخوان المسلمين المنحل الذى اتخذ من البداية موقفا معاديا لناصر والناصرية وخط ثورة يوليو النضالى فى المنطقة العربية ٠ وقد أعرب عن هذا الموقف مؤخرا عبد الحكيم عابدين السكرتير السابق لحزب

الاخوان بمناسبة عودته الى مصر ، حيث قال ــ كما نشرت جريدة الجمهورية في ١٩٧٦/١/٢٤ ــ : « استنكرنا حرب اليمن اشد انكار نحن والاخون المسلمون ، في كل البلاد الاسلامية ، لانها قتلت من المسلمين في اليمن ٣٠٠ ألف حسب احصائيات الامم المتحدة ، فضلا عن ٤٠ ألفا من خيرة المقاتلين المصريين ، ولا ادل على فسادها أكثر من جواب عبد الناصر يوم سأله مندوب احدى الوكالات ، عما اذا كان لديه نيةفي محاربة الصهيونية ، فقال كيف تنتظر منى أن نحاربفي فلسطين ، وعندى ٥٠ ألفا من صــفوة الجيش المصرى في اليمن . معناه أنه كان يرى أن تقتيل المســـلمين في اليمن أهم وأولى من محاربة اسرائيل » .

لسنا بحاجة هنا الى مناقشة مدى صحة معلومات عبد الحكيم عابدين عن رقم الشهداء المصريين واليمنيين الذين سقطوا في اليمن دفاعا عن الثورة والجمهورية ، ولا الى مناقشة حديثه المجرد والعام عن المسلمين ، ولا الى تبيان مواقف عبد الناصر القومية من اسرائيل، ولكننا نريد فقط أن نذكر الاستاذ عابدين بحقيقة بديهية وبسيطة ، وهي أن هذا القائد القومي الفذ لم يذهب الى اليمن الا لمحاربةالرجعية والاستعمار الانجليزى والامريكى ، ولنصرة ثورة اليمن ، على عكس ما فعل الاستاذ عابدين نفسه عندما ذهب كممثل لحزبه الى صـــنعاء غداة انقـــلاب ١٩٤٨ الذى تم تدبيره بالتواطوء الكامل بين الدوائر الانجليزية وحزب الاخوان المســـلمين ، وبعض القوى الاقطاعيـــة والكومبرادورية في اليمن ، وهو انقلاب راح ضـــحيته الكثير من الانفس « المسلمة » من رجالات الانقلاب وكانت نتيجته انتقـــال السلطة من يد الامام يحيى الى يد نجله الامام أحمد الذى فتـــك بالانقلابيين ، واقام حكم السيف والدم وكاد يفتك بعابدين ذاته !

ولكم كان امير اسكندر مصيبا عندما كتب في عدد سبتمبر ــ نوفمبر من (الشرارة) لعام ١٩٧٤ ، ص ٣٧ / ٣٨ : « ولعل حرب اليمن ، برغم كل ما قيل فيها وعنها ، كانت صورة من صور الطموح الجماهيرى العربى نحو امة عربية واحدة وتقـــدمية . ولم تكن دماء اكثر من خمسة عشر الفا من الشهداء المصريين فوق تلال اليمـــن ، بصرف النظر عن النتائج التى وصلت اليها لاسباب كثيرة (تخص) مسيرة الثورة اليمنية ، بلا ثمن ، كانت على الاقل ومن خلال المنظور التاريخى الصحيح ، تحقيقا لارادة ، وتجسيدا لرمز ، وتعميقا لوعى

امة عربية ، كانت تبحث عن نفسها بعد قرون طويلة من الضياع » ٠
وكان تحرك مصر الناصرية في اليمن جزءا من تحركها القومى الشامل وذروة عليا فيه ، « وخاصة بعد أن اتجهت الثورة وجهتها الاجتماعية التقدمية » حيث انغمست « فى تأييد ومساندة ودعم الحركات التقدمية والتحررية العربية ، من الجزائر ، الى اليمن ، الى الجنوب المحتل ، مرورا بالاردن ولبنان والعراق وغيرها » ٠ (ص ٦٠ من المصدر السابق) ٠
ولكن هل معنى ذلك انه لم يكن لثورة ٢٦ سبتمبر فى اليمن ، وثورة ٢٣ يوليو الرائدة اخطاء أو سلبيات أو نواقص أو عيوب فى اليمن ؟ بلى ٠٠ !!
لقد كان من هذه السلبيات والاخطاء والنواقص والعيوب عدم مضى الثوار اليمنيين وحلفائهم المصريين فى طريق مواجهة القوى الاقطاعية والاستقراطية العشائريه مواجهة اجتماعية واقتصادية حاسمة ، بهدف تغيير بنية المجتمع اليمنى تغييرا جذريا ، واخراج وضرب هذه القوى الرجعية التى كانت تشكل اعمدة النظام لامامى ، ودعائم التخلف وركائز النفوذ الاجنبى فى اليمن ، ولجوئهم بدلا من ذلك الى اسلوب استرضاء هذه القوى المتخلفة ومصالحتها ، وخلق الهيئات الرسمية الخاصة بها ، واشراكها فى اجهزة السلطة التنفيذية . والرضوخ لضغوطها ، وتقديم الامتيازات والميزانيات الضخمة لها !
ومن هذه الثغرات انه لم يكن لدى ثوار سبتمبر او لدى حلفائهم هدف واضح ومحدد اكثر من ازاحة (الامام)والامامة، واعلان الجمهورية ، دون تحديد لطبيعة مهام هذه الجمهورية ٠ وحتى المبادىء الستة العامة جدا التى اعلنت مع قيام الثورة ، والتى استقيت من مبادىء ثورة ٢٣ يوليو لم توضع فى الممارسة بكل ابعادها ٠ ومنذ نشوب الثورة اليمنية لم يوضع برنامج عمل وطنى يحدد استراتيجيتها وتكتيكاتها ، والقوى الاجتماعية ذات المصلحة فيها ، ولم يهتم احد بحشد وتعبئة وتوعية وتنظيم وقيادة الجماهير اليمنية العريضة لانجاز مهام الثورة الوطنية والديمقراطية ٠ وكانت النتيجة العملية لذلك كله هو ان قوى الاقطاع والقبلية اليمنية انتعشت فى ظل الثورة والوجود المصرى فى اليمن ، وبفعل الاموال الطائلة التى اغدقت عليها حتى من الجانب الثورى على امل اكتسابها ضد القوى الملكية ، كما لم تنتعش فى أى يوم مضى ، بل ان طبقة

المشائخ في اليمن بلغت من النمو والتضخم حدا لم تبلغه من قبل ، حيث اتسعت قاعدتها الاجتماعية ، وازدادت مصالحها الاقتصادية ، واثرت ثراء فاحشا ، وتحولت الى غول سياسي اخذ يمسك برقبة الجمهورية والشعب ، ويناوىء الوجود المصرى فى اليمن ، شأن القوى الملكية والأستعمارية ذاتها حتى امكن لها - فور خروج الجيش المصرى من اليمن - ان تنقض فى ٥ نوفمبر ١٩٦٧ على السلطة ، وتبتعث كل مساوىء الحكم الامامى ، وتضيف اليها مساوىء اخرى جديدة ، وتعمل على القضاء على الحركة الوطنية اليمنية فى شمال البلاد بمختلف الاساليب والوسائل ، وعلى محاولة ضرب النظام الوطنى فى جنوبها ، حتى بشن الحرب الاهلية عليه ، كما حدث فى خريف ١٩٧٢ - بتحريض من القوى الرجعية والاجنبية فى الخارج - ناهيك عن ان هذه الطبقة تحولت - شأن الاسرة المالكة - الى طبقة عميلة للقوى الاستعمارية والرجعية فى الخارج .

لقد كان يمكن ان تمضى الامور فى شمال اليمن فى ذات الاتجاه الراديكالى الثورى الذى مضت فيه فى جنوبها ، لو انه اتيح للحركة الوطنية اليمنية فى هذا الجزء من اليمن الاسهام الفعال فى العمل الشعبى ، ومكنت من تنظيم نفسها ، وتعبئة جماهير الشعب اليمنى فى جو من الحريات الديمقراطية ، بدلا من الاعتماد على المشائخ والقبائل فى مواجهة القوى الملكية ، الامر الذى عاد - فى الاغلب - بنتائج سلبية !!

لقد ساعدت ظروف الاحتلال البريطانى لجنوب اليمن ، واسهم العمل النضالى على تحرير هذا الشطر منه فى خلق حركة شعبية منظمة ومسلحة ، شاطرت القيادة المصرية فى اليمن فى خلقها وتنميتها ، وشاركت القيادة اليمنية فى صنعاء فى دعمها وتعزيز مواقعها ، ولم يكن هناك ما يمنع - بالنسبة للقيادة المصرية واليمنية معا - من عمل ذات الشىء فى شمال البلاد ، لمواجهة الجحافل الملكية وقوى المرتزقة الاجانب .

ولو ان قيادات الثورة اليمنية (ثورة ٢٦ سبتمبر ، وثورة ١٤ اكتوبر) قد عملت على مستوى الساحة اليمنية ، وخططت بشكل مشترك لتحرير وتوحيد الوطن اليمني ، لكان من الممكن ان توجد حركة تحرير وطني يمنية موحدة ، شابة وفتية ، وقادرة على وضع اليمن كلها على طريق الوحدة الوطنية ، والتقدم الاجتماعى ، والنهضة الحضارية الشاملة ، ولما مضت الامور فى اتجاهين متعاكسين هنا

وهناك ، ولما سقط حكم المشير عبد الله السلال الوطنى ، ولما كان حتميا أن تقوم دولتان يمنيتان ، بدلا من دولة يمنية واحدة ، مركزية متحررة ، وطنية ديمقراطية ٠

اولا يجوز لنا ان نستعير فى هذا الصـــدد تعبير الاستاذ احمد بهاء الدين الذى ضمنه مقالة (ثورة اكثر ٠٠ او اقل) الذى نشره فى الاهرام فى ١٨ / ١ / ١٩٧٦ ، فى معرض رده على المهاجمين لثورة ٢٣ يوليو ، عن طريق التركيز على سلبياتها ، وجعلها هى الأساسية ونسبة كل مشكلة واجهتها وتواجهها مصر اليها ، والذى جاء فيـــه « ان المشكلة ليست فى ان ثورة قامت ، ولكن فى ان الثورة لم تثر بالدرجة الكافية » ٠

نعم يجوز لنا ان نقول ذلك ، وان نقول ايضا ان اليمن كانت تحتاج قدرا اكبر من الحماس الثورى ، وكمية اوفر من الوعى الوطنى والاجتماعى ، وشـــــحنة اعظم من العمل الشعبى والمنظم ، وكانت تتطلب تطوير الثورة ، بحيث تغدو ثورة وطنية يمنية شاملة عارمة موحدة ، بقيادة سياسية واحدة ، وجبهة وطنية ديمقراطية عريضة واحدة ، وجهاز ثورى قيادى واحد ، بهدف خلق اليمن الموحد المتحرر الديمقراطى المتقدم ، وهو هدف مايزال قائما حتى الآن امام الحركة والثورة الوطنية اليمنية وسيظل قائما امامها حتى يتحقق ، ولامفر من تحققه !

وبعد : فانه ليخطىء خطأ جســـيما من يقيســـون دور مصر وعبد الناصر فى اليمن ببعض تصرفات (مراكز القوى) و (الاجهزة العربية) هناك ، هذه المراكز والاجهزة التى وجدت نفســـها — فى بعض الحالات — تؤثر التعامل مع مشائخ الاقطاع ، كالشيخ عبد الله بن حسين الاحمر وامثاله من مشائخ اليمن ، ومع زعماء جبهة التحرير اليمنيين كعبد القوى مكاوى وعبد الله الاصنج واشـــــباههما من العناصر التقليدية — فتلك كانت فى الواقع طريقة هـــذه المراكز والاجهزة فى ادارة (لعبة الصراع) مع المخابرات البريطانية ، على امل سحب البساط من تحت اقدامها ، وان كانت المخابرات الامريكية قد كسبت الرهان فى أخر الامر !

واذا كانت قد نشأت (عقدة ناصرية) أو (عقدة مصرية) لدى بعض الاوساط اليمنية — بفعل الدعايات الرجعية والاســـتعمارية ، وبسبب بقايا الروح الاقليمية والقبلية والانعزالية فى اليمن — واذا

كان الاستعمار قد اراد ترسيخ هذه العقدة المصطنعة وتعميق هذه الروح المقيته ، عندما دفع بالاحداث ـ لهذا الغرض ـ في اتجاه أن يتسلم الجناح اليمنى الاقطاعي القبلي السلطة في صنعاءفي ٥ نوفمبر ١٩٦٧ ، وأن يتسلم الجناح اليميني المشبوه في الجبهة القومية علم الاستقلال لعدن في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ ، فأن الحركة التصحيحية التي قادها الجناح اليساري في الجبهة القومية في الشطر الجنوبي من الوطن اليمني في ٢٢ يونية ١٩٦٩ ضد الجناح اليميني والتي احدث بها تغييرا جذريا في البنية الاقتصادية والاجتماعية ، والسياسية والثقافية ، وحركة ١٣ يونية ١٩٧٤ التي قادها المقدم ابراهيم الحمدي في الشطر الشمالي منه ، والتي سقطت بها ابرز عناصر انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ ، والتي شرعت تمضي بزعامته في اتجاه تصحيح اوضاع البلاد السياسية والادارية ، وفي اتجاه تصفية رموز الاقطاع والقبلية ، أن هاتين الحركتين قد اخذتا تتجهمان باليمن ، نحو تجاوز (العقدة الناصرية) وتخطى الروح الاقليمية والقبلية والانعزالية القديمة ٠

ولقد كان الدور الذى لعبته اليمن ـ وبصورة خاصة النظام الوطني في جنوبها ـ في حصار باب المندب الذى ضربه الاسطول المصرى أثناء حرب ٦ اكتوبر المجيدة ، والذى اشاد به الرئيس السادات شخصيا ، هو نقطة التحول فى العلاقات بين مصر واليمن ، وتوجيهها الوجهه الصحيحة التى تتفق مع دور مصر العظيم فى اليمن ، وبالتالى فى اسقاط حائط الحصار والعزلة الذى ضرب بينهما بعد خروج الجيش المصرى من اليمن ٠

ولا تكف تصريحات المسئولين الاساسيين في كل من صنعاء وعدن عن تأكيد الاهمية الاستثنائية للدور القومي الجبار الذى نهضت به مصر ازاء اليمن وثورته ، ففى خطابه بمناسبة الذكرى الثالثة عشر لثورة ٢٦ سبتمبر نوه المقدم ابراهيم الحمدى رئيس مجلس القيادة فى صنعاء ب « الشهداء الاخيار من اخواننا ابناء مصر العربية الذين ضحوا بدمائهم وأرواحهم على ثرى هذا الوطن العزيز ، نصرا لقضيتنا العادلة ، ودفاعا معنا عن ثورتنا ، ونظامنا الجمهورى » وفى تصريح له قال رئيس مجلس الرئاسة فى عدن سالم ربيع على أن « مساهمتنا المتواضعة في حرب اكتوبر لا يمكن ان تفى بدور مصر السابق في اليمن ، دعما لثورتيها فى الشمال والجنوب » ذلك « أن لمصر فى اعناقنا دينا غير قابل للوفاء » ٠ (الاهرام ٧٤/٩/١١

ومنذ زيارة الرئيس سالم ربيع على الى القاهرة فى سبتمبر ١٩٧٤ شهدت العلاقات بين عدن والقاهرة تطورا ملحوظا غدت مصر تلعب معه دورا هاما فى فك الاشتباك بين عدن والانظمة التقليدية المتنازعة معه فى الجزيرة ، وفى ايجاد علاقات من حسن الجوار والاحترام المتبادل وعدم التدخل فىالشئون الداخلية ، وبما يتفق مع مقتضيات التضامن العربى فى مواجهة العدو الصهيونى الجاثم على الارض العربية .

ومن ناحية اخرى فان الزيارة التى قام بها المقدم ابراهيم الحمدى رئيس مجلس القيادة فى صنعاء الى القاهرة فى ١ / ٣/ ٧٦ قد احدثت تطورا كبيرا فى العلاقات بين مصر وصنعاء وفتحت الطريق لنموها المطرد ، بما يتمشى مع دور مصر القومى ازاءا ليمن ، واستمرارا بهذا الدور ، وبما يمكن اليمن من النهوض بواجبها القومى العربى . وذلك ما عبرت عنه كلماته التى نشرتها الاهرام فى ١٩٧٦/٣/٣ حيث قال : « أن العلاقات بين البلدين الشقيقين علاقات لها طابع خاص ، وبالتالى فأن هذه الزيادة تأتى لبحث تجديد وتوسيع اوجه التعاون والنشاط فى مختلف المجالات » و « اننا ننظر لمصر نظرة خاصة ، فمصر الاخاء ، ومصر التضحية ، ومصر الوفاء قد بذلت الكثير من اجل اليمن ، وانى انتهز هذه الفرصة لاوجه كلمة وفاء لكل اخ مصرى والى الشعب والى فخامة الرئيس محمد أنور السادات » . ناهيك عما تضمنه البيان المشترك من اشادة المقدم الحمدى « بالدور الذى قامت به مصر فى دعم مسار الثورة اليمنية » (الاهرام ١٩٧٦/٣/٥) .

ان هذا التطور فى العلاقات بين شطرى اليمن من جهة وبين مصر من جهة اخرى ، وبما يتفق مع مصالح الامة العربية جمعا ، فيه الرد الكامل والمفحم على اولئك الذين ظلوا يتباكون من سوء حظ مصر التى أوقعها عبد الناصر فى (حبائل اليمن) دون ان تجنى من ذلك سوى ماجناه (سنمار) من جزاء !

ولسوف تتمكن اليمن من ضرب سياسة الأستيعاب والاحتواء الرجعية الاستعمارية ولسوف تمضى اليمن — بقوة الثورة اليمنية وقوة الشعب وحركة الوطنية ، ودعم ثورة ٢٣ يوليو وحركة التحرير الوطنى العربية والعالمية وقوى التقدم فى العالم كله — فى طريق استكمال تحررها الوطنى وتحقيق وحدتها السياسية ، وانجاز تقدمها الاجتماعى ، والنهوض بدورها القومى والثورى ازاء امتها العربية والانسانية جمعاء .

هامش :

(١) ان مما ينفى الزعم القائل بأن تدخل مصر فى اليمن كان مرحبا به من البداية من قبل الاستعمار الامريكى لتوريط عبد الناصر هناك ، تلك الوقائع المادية القاطعة التى اشار الى بعضها كتاب (مصر وامريكا) الذى اصدره مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام عام ١٩٧٦ ، والتى اوردها فى ص ٢٣ على النحو التالى : « وفى ٢٩ / ٩ / ١٩٦٢ اعترفت الجمهورية العربية المتحدة بالنظام الجمهورى الجديد فى اليمن . وفى ١٠ / ١٠ / ١٩٦٢ اعلن عن توقيع اتفاقية دفاع بين الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية اليمن . وقد تدخلت ج.ع.م عسكرياً لمساندة النظام الجمهورى الثورى فى اليمن ، فقد اعلنت صحيفة الاهرام القاهرية فى ١٠/١٠/١٩٦٢ أن القوات المصرية المسلحة تدخلت بعد الثورة اليمنية مباشرة لتدعيم النظام الثورى الجديد . ولم يكن الوجود المصرى العسكرى فى اليمن يعد عملا مقبولا من وجهة نظر الولايات المتحدة ، ذلك انه كان يمثل تهديدا للنظم الملكية المحافظة التى لها علاقة طيبة مع الولايات المتحدة فى منطقة الجزيرة العربية ، وحيث تقع مصالح هامة للولايات المتحدة ، متمثلة فى ابار البترول الخليجية الغنية . ولذا فقد كان التدخل المصرى فى اليمن يمثل قضية خلافية هامة فى العلاقات بين البلدين حتى فى عهد كيندى ، وقد سبق ان رأينا الاصوات المؤثرة فى الكونجرس الامريكى كانت ترى انه يجب قطع المعونة الامريكية عن نظام عبد الناصر ، وكانت احد مبرراتها « المغامرة العسكرية لعبد الناصر فى اليمن » على حد تعبيرهم ، ولقد استمرت هذه القضية الخلافية تؤثر فى علاقات الدولتين حتى انتهى الوجود العسكرى المصرى فى اليمن . ففى ٤/٨/١٩٦٥ اعلنت وزارة الخارجية الامريكية انها « ستشجب أى هجوم تشنه ج.ع.م على المملكة العربية السعودية ، وانها تؤيد المحافظة على كيان المملكة » وفى أول مايو ١٩٦٦ كان الرئيس جمال عبد الناصر قد قال « ان ج.ع.م سوف تضرب قواعد العدوان فى السعودية ، اذا عادت للعمل ضد الثورة اليمنية والشعب اليمنى » وقد جاء الرد الامريكى فى تصريح منسوب للمصادر العليا المسئولة فى واشنطن بأن الولايات المتحدة لاتزال ملتزمة بالدفاع عن المملكة العربية السعودية » .

(٢) من أحسن الردود على ما جاء فى كتاب (الصامتون يتكلمون) حول اليمن ما كتبه السكرتير الخاص السابق للرئيس عبد الناصر السيد محمود الجيار فى عدد ٨ ـ ٣ ـ ١٩٧٦ من روز اليوسف بقوله : « توقفت أيضا على صفحات مجلة الاذاعة عند قول الاديب ثروت أباظة عن عبد الناصر : « وفالثورة بيضاء ، ثم أهدر دماء الشباب فى حرب اليمن وحربى سيناء ، من اجل مجده الشخصى ، ومن اجل خراب مصر ... » لم أتوقف فى هذه الكلمات عند « حربى سيناء » فاحداهما

صفحة خالدة من تاريخنا ، وحادث حاسم فى تاريخ العالم ، والاخرى قصة لا تزال تدرسها لجان مكلفة بوضع تاريخها وتحديد المسئولية عنها ، وانما توقفت طـــويلا عند كلمة : حرب اليمن ـ والسبب أن حروب اليمن هذه لم يقررها جمال عبدالناصر، وانما قررها مجلس الرئاسة مجتمعا ، وقررها بالاجماع ، وكان من الذين قرروهـا عبد اللطيف البغدادى ، وكمال حسين ، أى أنها لم تكن من أجل مجد شخصى لجمال عبد الناصر • كانت السعودية وقت الخلاف معهـا قد لعبت الدور الاول فى تحقيق انفصـال سوريا ، وكان الاستعمار قد بدأ يزحف للاجهاز على مصر أيضا • ثم جاءت ثورة اليمن ، فكان طبيعيا أن تساندها مصر ، وكان طبيعيا أن تساند السعـودية النظام القديم • وكان التدخل من الطرفين • ومن المضحك حقا أن نقرأ على لســان بعض أعضاء مجلس الرئاسة الذين اتخذوا قرار مساعدة ثورة اليمن ، أن قرارهم كان يقضى بارسال « قوات رمزية » فقط • من المضحك هذا ، لأن القــوات الرمزية لا تذهب للاستعراض ، وانما تذهب للقتال • وعندما يبدأ القتال لا يمكن التحكم فى مدى اتساعه ، خاصة فى مواجهة خصم عنيـد كالسعـودية وقتها • لقـــد ذهبت بالفعل قوات رمزية الى اليمن، وكانت كلها من أفراد الصاعقة الذين هبطــوا فوق الجبال ، ووقعت فيهم أول الخسائر وأبلغها بالفعل • فهـــل كان مطلوبا ، بعد أن هبطوا واشتبكوا فى المعـارك ، أن نتركهم يذبحون هناك ؟ لا أريد أن أواصل الجدل حول صحة أو خطأ حرب اليمن ، ولكننى أقطع بأن مساندة مصر العسكرية لثورة اليمن لم تكن قرارا شخصيا ، هدفه المجد الشخصى لجمال عبد الناصر • وانما كانت قرارا جماعيا ، واجماعيـا ، شارك فيه كل الذين يحاولون فى هذه الايام التنصـل منه والقـاء تبعته زورا على جمال عبد الناصر » •

الاهمية الاستثنائية لدور عبد الناصر وثورة عبد الناصر لم يكن يعبث فى اليمن

كما يتعـرض الانبياء والابطـال والأفـذاذ والزعماء للتقديس والتأليه ، فانهم قد يتعرضون كذلك للتشهير والتسفية ، وكمـا يجعل قوم من رئيسهم عجلا أوصنما أو رمزا يعبد ويعظم ، فأنهـم قد يحيلونه الى شيطان يرجم ويلعن !

لقد حدث ذلك مع اصحاب الرسالات الدينية ، والاجتماعية واصحاب الدعوات الوطنية والقومية ·

ولسنا هنا فى حاجة الى ضرب الامثال والشواهد التاريخية البعيدة والقريبة ، على ذلك · يكفى فقط أن نتذكر ـ مثـلا ـ أن الزعيم أحمد عرابى الذى قاد أول ثورة وطنية حديثة فى تاريـخ مصر المعاصر ، ماكاد يعود من منفاه الموحش والقاسى والطويل الامد، حتى واجه حملة ضارية من الطعن والتجريح ، لم يتـــورع عن الاشتراك فيها ، بل وقيادتها حتى الزعيم مصطفى كامل نفسـه · لقد بلغ التجنى على عرابى حد أن اتهم ـ وهو الذى ثار ضد النفوذ الاجنبى ، وطالب بالحرية والديمقراطية ـ بأنه لم يصنع غير احداث (فتنة) فى البلاد ، تسبب بها فى وقوع مصر تحت الاحتـلال البريطانى !

وشخصية قومية ضخمة كشخصية جمال عبد الناصر ، ماكان يمكن أن تنجو من التعرض لمثل هذا التشويه الذى يتعـرض له افذاذ الرجال وعظماؤهم عبر التاريخ القديم والحديث معا · فكما كان ملء ساحة النضال العربى ، وعلى رأس حركة الاحداث الوطنية والقومية طيلة حياته السياسية ، وكان بالتالى ملء السمع والبصر، وموضع تقدير واعجاب خصومه ، ناهيك عن حلفائه ، حتى غـدا بالنسبة لجميع الثوار العرب بكل تيارتهم ونزعاتهم رمزا للحقبـة القومية والثورية الممتدة مابين الخمسينيات والستينيات ، وفارسها

الذى لايشق له غبار ، وحتى شعر الناس ـ وعلى رأسهم بسطاؤهم ـ بأنه بغيابه ، قد حدث (فراغ) حقيقى ليس من السهل ملؤه،فأنه ماكادت تمضى على مماته سنين قليلة ، حتى ناله من التهـوين من منجزاته ودوره ، ومن التشهير به والتشنيع عليه والطمس لاعماله ما جعله ـ على يد المتطاولين عليه ـ صورة غريبة ومنفرة لفترة من القلاقل والفتن والاضطرابات والمشاكل والدماء والالام واضطهاد الحريات ، لم تشهد المنطقة العربية مثيلا لها من قبل ، ولن تشهد مثيلا لها من بعد !

ولقد تعرض عبد الناصر وتعرضت سـيرته للهجوم من شعبتين : شعبة اليمين الرجعى المرتبط بالقوى الاسـتعمارية ، وشعبة القوى الوسطية الليبرالية المتباكيـة على ذلك الطراز من الحريات المحدودة والمحكومة التى كانت تسمح بها قوى التحالف الرجعية الاستعمارية في عهد ما قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، كمـا أن بعض القوى الوطنية واليسارية ـ من جهة اخرى ـ لم تحسن ـ كما ينبغى ـ تقييم فترته بكل ايجابياتها وسلبياتها تقييما موضـوعيا متزنا ومتكاملا ، لا يتأثر بنوازع النفس البشرية من الحب والكره ، الا بمقدار ما يجوز أن يكون هذا الحب أو الكره جزأ من عملية التقييم الموضوعية ذاتها لمجمل اعماله ومنجزاته التاريخية !

ان الخطأ جائز ومحتمـل ومفترض ، سـواء في الأفـراد أو الجماعات ، وفى الدول أو الامم، وفى الثورات الوطنية الديمقراطية أو الثورات الديمقراطية الاشتراكية . بل أن التجاوزات ممكـن حدوثها فى كل هذه الحالات والمراحل ، ولكن ذلك كله ينبغى أن يوضع في مكانه ، وبحجمه الطبيعى داخل اطار العملية الثورية أو التاريخية ، وفي ضوء ظروفها الداخلية والخارجية ، بدون تبـرير أو بحث عن معاذير من الخارج أو الذات ، وبدون تضخيم أو تهويل، أو تقليل أو تهوين ، وبدون أن يطغى جانب على الجانب الاخـر ، أو تطمس السلبيات ـ مهما كان حجمها ـ الجوهر الايجابى والطابع العام التقدمى للعملية الثورية ، أو للتجربة التاريخية .

تلك هى أصول البحث العلمى ، وتلك هى معاييره الموضوعية التى ينبغى التسلح بها عند التصدى لاى قضـية اجتماعية ، أو موضوع تاريخى ، أو حادث ثورى أو سياسى .

واذا كان ذلك مطلوبا ومفترضا في الباحثين والمحققين العلميين فأنه غير مفترض ولا منتظر ممن لايحركهم غـير الحقـد الطبقى

أو الهوى السياسي الذى تنتقي معه كل امكانية للعدل والانصاف وكل شبهه للعلمية والموضوعية ٠

ان من القضايا الخطيرة التى تتضح فيها النظرة الذاتيـــة ، وتغيب معها تماما النظرة الموضوعية الامينة موقف الاستاذ توفيق الحكيم من دعم ثورة ٢٣ يوليو لقضايا النضال العربي ، وتحسره على أن هذه الثورة « ورطت » نفسها في معارك خاسرة ، ولا شأن لها بها ، ولا فائدة ترجى من وراء دعمها لها ٠ ان المثل النموذجي لهذا الموقف الاقليمي وغير الثوري وغير المقبول ، هو نظرة الاستاذ الحكيم الساخرة الى ثورة اليمن ، ودور مصر (الخائب) والعابث والمرفوض من قبله ازاءها : « فقد كان من جراء خداعنا لانفســنا وتصديقنا للاكاذيب التى نذيعها عن انفسنا وللتهاويل التى نضعها ونطلقها فيالاذاعات والاناشيد والاغنيات أن قمنا ننشط للمغامرات الحربية ٠ فما كادت قناة السويس تستقر في ايدينا بأعجوبة في عام ١٩٥٦ ونرى ذهبها يلمع في اكفنا ، حتى مضينا نلقي به عـلى تلال اليمن ٠ وكانت قبائل اليمن التى نريد استمالتها الى جانبنا لاترضى بغـــير الذهب ٠ فكانت تلقى اليهم من طائراتنا الزكائب الممتلئة بالاصفر الرنان ، كما كانت ترمى من الجو لجيوشنا اطنان التموين والغذاء من صفائح الجبن الفاخر والمعلبات واللحـــوم والفواكه ٠ ولكن الشمس الحارقة وعدم وجود ثلاجات كان يفسد هذه الاطعمة فتترك في اماكنها مكدســـة ، وقد لعب فيها الدود وانتشرت منها رائحة العفن ، فلا يقربها احد ، واهل مصر من الجياع والمحرومين لايعرفون ان طعامهم هذا الذى يتمنونه ملقى للحشرات على تراب اليمن السعيد ٠ وهل اســـتملنا مع ذلك قبائل اليمن بذهبنا ؟ قيل أن القبائل حتى الموالية لنا كانت تأخذ ذهبنا بالنهار، وتترصد لضباطنا وجنودنا في الليل ، فتصطادهم وتجز رؤوسهم وتبيعها للطرف الاخر غير الموالى ، ثم بعد ذلك انتهى الامر باليمـن كلها أن سارت مخالفة لمصر في اتجاهها السياسي ٠ ان تاريخ حـرب اليمن سيكتب يوما في صفحات صادقة لنعرف حقيقة ماجرى هناك، وماذا كانت النتيجة التى خرجنا بها ؟ ان من المؤكد الان هـو انـه بالاضافة الى الارواح التى ضاعت من جيوشنا ، وتقدر ، فيمـــا يقال ، بعشرات الآلاف من الرجال ، فأن المعروف ايضا أن غطـــاء الذهب الذى نملكه قد ضاع بأكمله في هذه الحرب الضائعة » ٠

(عودة الوعي ، توفيقالحكيم ، بيروت ١٩٧٤ ص ٥٨ ـ ٥٩) ٠

واضح أن استاذنا الحكيم لم ير الشيء الجوهري في القضية كلها ـ ايا كانت الخسائر التي بذلت من اجل ذلك ـ وهو نشوب حدث ثوري خطير في جنوب الجزيرة العربية ظل ساحة ومركز الاحداث القومية العربية كلها لسنين عديدة ، وأن هذا الحدث قد اثر تأثيرا ايجابيا محققا ليس على اوضاع اليمن الداخلية فحسب ، وانما أيضا على مسار حركة التحرر الوطني العربية · وواضح أن الحكيم متشائم اكثر مما ينبغي ، عندما يقول أن جهد مصر في اليمن انتهى بأن سارت اليمن « مخالفة لمصر في اتجاهها السياسي » صحيح انه حدثت ردة مؤقتة وزائلة في صنعاء اثر انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ لم يتم التغلب على نتائجها حتى الآن ، ولكن حتى هذا النظام الذي مثل اتجاه مشائخ الاقطاع ، لم يملك اعلان معاداته الصريحة لمصر ، بل كان يحاول بكل جهدة العمل على استرضائها ، مدركا خطورة دورها ، فيما لو اتخذت موقعا معينا ازاءه · وصحيح ان مشائخ الاقطاع بنظرتهم الاقليمية والقبلية والطبقية كانوا يكنون اشد الكراهية لمصر وجيشها ، وظلوا كذلك بعد خروج هذا الجيش من اليمن ، ولكن اخذت هذه النظرة تتعدل بعد أن اخذ نفوذ هؤلاء المشائخ الرجعيين يتقلص بفعل حركة ١٣ يونيو ١٩٧٤ التي قادها المقدم ابراهيم الحمدي رئيس مجلس القيادة في صنعاء الذي صرح قائلا : « أما مصر ، فلها مكانة كبيرة لدينا ، ولن ننسى ابدا فضلها في العمل على انتصار الثورة في اليمن · ان هناك روابط من الدم تربط مابين مصر ومابين اليمن وعلاقاتنا مع القاهرة علاقات قوية ، وهي على احسن مايكون » · (العروبة ، قطر ، ٣ يوليو ١٩٧٥ ، سر الاحداث الاخيرة في اليمن) · كما جاء في (البيان الاول لحركة ١٣ يونيو) اننا « نحيي شهداء مصر العربية الشقيقة الذين وصلوا لمساعدة اخوانهم اليمنيين ،واستشهدوا على ارض اليمن ، تجسيدا للوحدة العربية والمصير العربي الواحد » · « اهم الوثائق لحركة ١٣ يونيو ، وزارة الاعلام صنعاء ص ٢٠ » ·

ومن جهة أخرى فان النظام الوطني في عدن اخذ منذ زيارة الرئيس سالم ربيع علي لمصر مابين ٥ ـ ٩ سبتمبر ١٩٧٤ يعيد تكييف سياسته العربية في اتجاه التعاون المتنامي والمطرد مع مصر · وتعبيرا وتقديرا للدور الذي لعبته مصر العربية في اليمن ، دعما لثورتها الوطنية قال الرئيس ربيع ـ وكأنه يرد على الاستاذ توفيق الحيكم ـ : « وايا كان الاجتهاد ووجهات النظر الان حول

حكمة القرار المصرى بالتدخل العسكرى ، لانقاذ ثورة الشمال اليمني ، فأن محاولة تخطئة هذا القرار تعنى فى التحليل الاخير نكران الانجازات التى تحققت لصالح الشعب اليمني ، ونكران المساهمة المتواضعة للشعب اليمنى فى نطاق حركة التحرر العربى . ولقد حصدت مصر خلال حرب اكتوبر فى الجنوب اليمنى موقفا مشتركا ، ما كان يمكن انجازه لو أن الثورة كانت قد تهاوت هناك » ومع ذلك فأن « مساهمتنا المتواضعة فى حرب اكتوبر ، لايمكن أن تفى بدور مصر السابق فى اليمن ، دعما لثورتيها فى الشمال والجنوب » ذلك « ان لمصر فى اعناقنا دينا غير قابل للوفاء » (الاهرام ١٩٧٤/٩/١١) .

ومن الغريب أن نزعات التطرف اليسارى تلتقى مع نزعات التطرف اليمينى ، بل ومع النزعة الليبرالية الضيقة الافق التى مثلها الاستاذ توفيق الحكيم فى تصوير دور عبد الناصر فى اليمن وفى الوطن العربى ! فهاهى الزمرة الماوية المنشقة عن الحزب الشيوعى العراقى التى تسمى نفسها (الحزب الشيوعى العراقى « القيادة المركزية » تقول فى كتيبها : (الحزب الشيوعى العراقى والمسألة الفلسطينية) الصادر فى ١٩٧١ ص ٢١ : « ولقد اوكل (الاستعمار) الى اسرائيل مهمة « ترويض » النظام الناصرى الذى ظل يراهن على دعم الحركات الوطنية ، والانقلابات العسكرية » وكان اخر مغامراته التورط فى اليمن ، باسم دعم الثورة هناك . وكان هذا اتجاه (اتجاها) فى السياسة الناصرية ، لم يكن ليتفق فى جميع الاحوال مع الحسابات الاستعمارية » .

نحن لاننكر ان هناك تضحيات عظمى بذلتها مصر فى اليمن واموالا طائلة انفقت ، ولكن هناك دورا قوميا وتاريخيا جليلا ومجيدا لايقاس به ذلك كله قد لعبته هناك ، وهو دور ايجابى فى الاساس وبكل مقياس من المقاييس ، ولم تكن نتيجته أيا كانت السلبيات خسرانا أو خذلانا ـ كما يزعق البعض عن حقد أو عن جهل ـ فلقد سقطت ـ بفضل الدعم المصرى الشامل والمتسم بالثورية والفدائية معا ـ الملكية الكهنوتية فى شمال اليمن ، وخرجت الامبراطورية البريطانية من جنوبه ، وقامت فى كل منهما جمهورية وطنية . وايا كانت الاوضاع الاجتماعية السائدة اليوم فى الشمال، فان هناك اليوم فى طول اليمن وعرضها حركة وطنية يمنية ناهضة وقتية وآخذة فى التنامى والازدهار ، ومحاولة الامساك بزمام قيادة حركة الأحداث وهى حركة ماكان لها أن تنبض بسرعة ، بدون التواجد

الثورى القومى لمصر فى اليمن ، وبدون دورها الاستثنائى فى دعم الثورة اليمنية ، بقطع النظر عن تلك (الحساسية المرضية) التى كانت تبديها (القيادة العربية) فى صنعاء ازا « الاحزاب » الوطنية، وازاء (الحزبية) من حيث هى ، وبقطع النظر عن عمليات التضييق التى كانت تعانيها القوى الوطنية اليمنية من جراء ذلك ، والذى اثر بالتالى على دورها الوطنى فى تعزيز مواقع الثورة وفى تعميق مجراها .

ولكن النظرة الموضوعية والتاريخية المنصفة ، وبقاء ونمو حركة الثورة اليمنية ، وتعاظم التقدير لدور مصر فى اليمن مع الايام ، كل ذلك يؤكد أن ما قامت به مصر فى اليمن يدخل فى باب الاعمال التاريخية العظيمة والنادرة التى ترتبط فى الغالب بفترات التوهج الثورى والقومى فى حياة الشعوب والامم .

وذلك هو ردنا على امثال تلك الملاحظات والادانات النابعة عن السطحية فى التفكير والعداء السياسى لخط الناصرية المناهض للامبريالية والرجعية ، هذه الملاحظات والأدانات التى توجه الى دور عبد الناصر الثورى فى اليمن ، والذى يطالب البعض كالصحفى زكريا نيل ، بالتحقيق فيه ، من حيث انه يمثل « التورط ـ الذى حدث فى الحرب اليمنية » (الاهرام ١٩٧٥/٧/٢٤) .

وذلك هو ايضا ردنا على ماكتبه الصحفى ابراهيم سعده فى اخبار اليوم عدد ١٩٧٤/٩/٧ والذى جاء فيه : « واستمرت خزانة الدولة تصرف على هذه الحرب ـ التى لم تتوقف الابسبب حرب ٥ يونيو ٦٧ ، وبعد مؤتمر الخرطوم ـ اكثر من مليون جنيه استرلينى يوميا ، واستطاعت أجهزة الاعلام المصرية وقتذاك أن تضلل الشعب ـ بالامر ـ وترسم له صورة غير حقيقية لما يجرى فوق ارض اليمن، وبلغت السخافة ذروتها ، عندما غنى عبد الحليم حافظ من تلحين عبد الوهاب اغنية تصف كلماتها عمليات قتل وتشويه وابادة الجنود والضباط والمدنيين فى اليمن بانها : « رحلة نصر جميلة » ! و « لم تغتصب منا ارض ، حتى نهب لاستردادها بالقوة ، ولم تجتح جحافل الاسرائليين حدود اليمن ، حتى نبادر بانقاذ الشعب اليمنى الشقيق من براثن الاستعمار الصهيونى .. ان « الجمهورى » اليمنى هو أخ « الملكى » اليمنى ، ولاشأن لنا ـ كدولة ـ تبعد آلاف الاميال ـ بما يحدث من خلافات بين الاخوين اليمنيين » و « لوكنا نملك المعارضة فى هذا الوقت ، لطالبنا بمعرفة نتيجة الدم الذى سال ، والمال الذى صرف بمنتهى البذخ ! لوكنا نستمع للرأى

الاخر ، لربما فكرنا اكثر من مرة قبل أن نتورط فى مثل هـذه الحـرب ٠ ! » ٠

لاحاجة الى القول بان مثل هذه النغمة السياسية الغريبة لاتمت الى منطق القومية والثورة العربية التى اصبحت القاهرة بقيام ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ بقيادة عبد الناصر قاعدة لهـا وطليعة . وانما يمت الى منطق العزلة والاقليمية المصرية ، بل والى عهد الاحتلال البريطانى ، وعهد الكومبراد ورية المصرية التى كانت تؤثر التطلع عبر البحر المتوسط ، والارتباط دائما وباستمرار بالغـرب على التطلع نحو الشرق ، ونحو احتضان قضية النضال القومى بمجعلها. ونحو مكافحة الاستعمار والرجعية فى كل مكان من الارض العربية٠

ولانملك الا أن نكرر على سمع مثل هذا النمط من الصحفيين التقليديين ، وسمع بقايا رموز هذه الفئة البورجـوازية المصرية الغاربة ، قول الرئيس السادات الذى كان المسئول المباشر عن قضية اليمن ، وعن متابعة تطوراتها أولا بأول ، والذى جاء فيه أن أمثـال هؤلاء « يأخذون على الثورة نضالها فى الساحة العربية وينسـون العائد القومى الضخم من تدمير اسطورة الجزائر الفرنسية ، ومـن انسحاب الاستعمار من الخليج واليمن واطراف الجزيرة العربية٠» (الجمهورية ١٩٧٤/٧/٢٤) ومن هذا العائد ـ كما يشـير الرئيس العربى فى مناقشة امام المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى فى ١٩٧٥/٧/٢٣ ان المناضلين « فى اليمن الجنوبية كان لهم موقف ممتاز اثناء الحرب بالذات « حرب ٦ اكتوبر) قبل المعـركة واثناء المعركة وبعد المعركة ، فى قواتنا البحرية اللى كانت عند باب المندب استخدمت موانى اليمن الجنوبية » (الاهرام ١٩٧٥/٧/٢٤)

ولكن كما يوجد فى مصر بعض الكتاب الصحفيين الذين لم يحسنوا تقييم دور مصر القومى فى اليمن ، فان هناك الكثير مـن الكتـاب والصحفيين الوطنيين والتقدميين الذين لم يفتهم ادراك المغزى التاريخى لمثل هذا الدور ، ولقد تصدى امثال هؤلاء بانفسهم للرعيل الاول وجادلوهم ووضعوهم امام الحقيقة ٠ ويكفى ان نقتبس هنا بعض فقرات مما كتبه الاسـتاذ كامل الزهيرى فى عـدد ١٩٧٤/١٠/٨ من الجمهورية القاهرة فى معرض محاورته للاستاذ توفيق الحكيم حول تقييماته للناصرية ونشاطها فى الداخل والخارج ابان حكم عبد الناصر ، حيث كتب : « ونكاد نظن ان الحكيم الذى يجلس فى جريدة الاهرام منذ اكثر من عشر سنوات او يزيد ، لم

يقرأ كثيرا او قليلا عن حرب اليمن او شعب اليمن · ولعله منذ كتابه عن « محمد » عليه الصلات والسلام ـ لم يعد الى تاريخ العرب او تاريخ تلك المنطقة ، والا فكيف به يتحدث عن حرب اليمن بهذا الايجاز وهذا التوبيخ قائلا : أننا لم نكد نحصل على الذهب من تأميم القناه حتي وزعناه على قبائل اليمن ·· وكأن الحكيم ·· لا يعرف ان هناك ما يشبه القانون في حياة مصر وتاريخها ، هو انها حين تصبح قوية لابد ان تخرج من النهر الى البحر ، اى تخرج من الوادى الى شواطىء البحرين الابيض والاحمر · ولم يكن عبد الناصر يندفع الى اليمن رغبة في المخاطرة والمغامرة ، ولكنه هذا القانون العميق في اعماق مصر وحياتها وتاريخها الوسيط والحديث · فلقد ذهب من قبله صلاح الدين الايوبى الى الشام واليمن معا ، قبل أن يواجه التدخل الصليبى ، وكأن هذا الداهية العقيف يفهم قانون الحركة في المنطقة من أن مصر هي القلب ، ولابد لهذا القلب من ان يتكىء على الشام واليمن معا ، ولم يستطع مواجهة الصليبين ، الا حين استكمل له هذا « الاتساع » والوصول الى شواطىء البحار ، واقول ان الشبه واحد بين ظروف الضعف الذى سبق صلاح الدين ، وظروف الضعف التى سبقت محمد علي ، وظروف الضعف التى سبقت عبد الناصر ، وان مصر في هذه العهود الثلاثة قد وصلت بعد ذلك من النهر الى البحر ، وكان ذلك حتما تاريخيا ، كما يقولون ، وليس من قبيل الصدفة ، فلقد علمنا شيخنا ابن خلدون منذ القرن الرابع عشر ان التاريخ له منطق ، وان احداثه تترابط ، ولسنا نحتاج لا الى الأستناد الى فيلسوف عظيم آخر هو هيجل في فلسفة التاريخ ، ولا لمن أعقبه من فلاسفة التاريخ · أليس عجيبا ان نقرأ عن صلاح الدين ان حملته لليمن كانت سببا في تطهير البلاد المقدسة من « المتلصصين من شراذم الصليبيين الذين كانوا يحاولون قطع الطريق الى الحجاز ·· اليس عجيبا ان نكتشف عند قراءة سيرة صلاح الدين الايوبى ان خطر الصليبيين لم يكن يمكن مواجهته الا بخروج مصر من النهر الى البحر ، وبالتحديد الى البحرين الابيض ولاحمر ؟! وتاريخ محمد على ليس بالبعيد ، ومن الثابت انه وصل ايضا من النهر الى البحر ، او من الوادى الحبيس وسط الصحراء الى الشاطىء الفسيح على البحر الابيض ثم الاحمر · ولم يكن هناك من هو اجدر من توفيق الحكيم ـ شيخنا الاديب ـ بان يتفهم هذه الظاهرة التى تتكرر ، كانها اصبحت من فرط تكرارها قانونا تاريخيا ، بكل ما يحتويه القانون من اطراد · وما يحتويه

التاريخ من اختلاف الظروف بين الرجال الثلاثة : صـلاح الدين ، ومحمد علي ، وعبد الناصر · فاذا كان وصول عبد الناصر الى اليمن مستهجنا في رأى الحكيم ، بل وكارثة مالية ، فانني لا اوافقه عـلى كل ما يقول ، وقد اوافقه على بعض ما يقول ، لان الحروب ترهق الميزانيات · ولست اعترض أن ينتقد الحكيم حملة اليمن ، بشرط واحد هو ان يكتب تاريخ هذه الحملة واسبابها وآثارها ومضاعفاتها، وألا يلخص هذه الفترة الهامة في تاريخ مصر الحديث في واحـــد وعشرين سطرا بين صفحاته السبعين · ولقد اضطررت لذلك ان اعود الى ما كتبه المؤرخون والصحفيون والسفراء الاجانب عن حملة اليمن ، أو ثورة مصر واليمن ، ولم تقتصر قراءتي مـع من يؤيدون الناصر ، فقرأت جان لاكوتير المراسل الصحفي لوكالة الانباء الفرنسية في عام ١٩٥٦ ، والذى الف كتبا ثلاثة عن مصر وعبد الناصر ولم يكن لاكوتير ـ بطبيعته الغربية ـ محبا لعبد الناصر · ورجعت كذلك الى ما كتبه السفير تريفيليان ، وهو السفير البريطاني الذى طرده عبد الناصر اثناء ١٩٥٦ ، كما رجعت الى كتابات روبرت ستفنسن وتوم ليتل ، وهنرى أزو وفانيكسيوس ، وبرنارد لويس وغيرهم ، فوجدتهم يختلفون في النتائج ، ولكنهم يتفقون في المنهج والمقدمات لقد دفعت مساعدة مصر لليمن هذه البلاد الى التحـــرك والتغيير ، ولولا معونة مصر لظلت الامبراطورية البريطانية في جنـوب اليمن ولطال حكم السلاطين وعهد العبيد في هذه المنطقة · بل ويصل جان لاكوتير الى تشبيه ثورة اليمن وموقف مصر منها ، بانها تشبه ثورة الجمهوريين في اسبانيا عام ١٩٣٦ · والحكيم يعرف بلا شك انـه لايوجد اديب كبير او فنان عظيم في اوروبا لم يمر على هذه الثورة ·· واذا كان محمد علي قد وثب على اليمن ، فأن عبد الناصر لم يدخل هذه الحملة الا داعية تطوير ومعينا لثورة عربية ضـــد حكم القرون الوسطى في وسط العصر الحديث ويشهد بذلك نتائـــج التدخل المصرى في اليمن ، ولولا هذا التغير الذى حدث في اليمنين الشمالية والجنوبية لما امكن لمصر بعد ذلك أن تقف في وجه هؤلاء الذين يتسللون من ميناء ايلات في البحر الاحمر ، وهم الصليبيون الجدد ، ولولا قيام نظامين جمهوريين ـ مختلفين حقا في هذه البقعة الان ـ لما استطاع المصريون ان يتحركوا في الشمال ، حين ارادوا العبور فوق القناة لاسترداد سيناء · بل ولا أكاد اكون مبالغا انـه لولا تجربة الوحدة التي فشلت بين سوريا ومصر لما رسبت تلك العواطف العربية التي كانت اساسا لتوحيد الميول والاهداف في معركتنـــا

الاخيرة ٠٠ لااريد ان اذكر ماكتبه تريفليان بما وصفه فى كتابه « الشرق الاوسط فى ثورة » وهو السفير الذى طرده عبد الناصر عام ١٩٥٦ ، من احداث حدثت فى اليمن الجنوبية (وفى الشمالية ايضا ـ الكاتب) يوم تنحى عبد الناصر بعد الهزيمة ٠٠ ولقد يختلف المؤرخون ، ومن حقهم ، ولكنهم بالتطع يختلفون فى المذاهب والنتائج ، لا المناهج ٠ والمناهج المطلوبة هى الانصاف وتقديم الحقائق ، لاتخليص (تلخيص) حرب استمرت خمس سنوات فى سطور عشرين » ٠

ان من اصدق واصح ما كتب عن دور مصر وجيشها الباسل فى اليمن هو ما كتبه ايضا كاتب تقدمى مصرى أخر ـ وهو الأستاذ محمد عوده ـ فى كتابة (الوعى المفقود) ص ١٢٣ ـ ١٢٤ بقوله : « وقصة الحرب فى اليمن لابد ان تروى وتعرف فى اطارها الصحيح، وقد بدأت احداث اليمن بعد عام تقريبا من الانفصال فى سوريا ، وقد ارادت كل القوى المضادة ان تتخذ من ذلك الحدث بداية الانحسار العام ، واعلنت مزهوة ان المعركة سوف تنتقل بعد الان الى قلب القاهرة ٠ وفجأة وفى غمرةالاحساس بالزهو والنصرانفجرت ثورة اليمن ٠ ونجحت الثورة ، واطاحت باشد النظم رجعية وقامت جمهورية فى قلب شبه الجزيرة العربية ، ووقفت الثورة منتصرة هناك ، وانقلبت الخطط من قيادة الهجوم الزاحف الى القاهرة ، الى الدفاع المفزوع عن الحدود ٠ واستغاثت الثورة الوليدة بمصر ولم يكن هناك احد آخر تستغيث به ٠ وتحرك الجيش المصرى الى اليمن كما تحرك من قبل الى سوريا والى العراق والى الجزائر والى كل مكان تهددت فيه الثورة ٠ لم يكن للجيش المصرى مهمة افضل من مساندته للثورة العربية ٠ ولايمكن انيتخلى جيش مصر عن مسئولية تاريخية ! وذهب الجيش المصرى ، وحقق معركة نموذجية من أشرف معارك الثورة العربية وأشجعها وقدردت المعركة ضربة الأنفصال واعادت هيبة الثورة عامة ، وأكدت دور مصر ، والزمت الرجعية العربية حدودها واستعملت كل الأسلحة وطرق الحرب وسخرت القوات القبلية والنظامية والمرتزقة ، وشنت دعاية عنيفة محسوبة داخل مصر وخارجها وفى كل مكان أن مصر تستهلك اموالها وابناءها ، أن مصر تحارب الاسلام والاراضى المقدسة ، أن مصر تحمل (الشيوعية) الى قلب شبه الجزيرة ٠ وكانت شبه الجزيرة هى القلعة التى لا ينبغى ان ينفذ اليها احد ، ولهذا كان

العمل محموما ، اشتركت فيه الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية معا ٠ ومع هذا انتصرت الجمهورية ، وامتدت الثورة الى جنوب اليمن ٠ وصرح كيسنجر (ان كل شيء مهدد حتى قلب ايران) ٠

أن من الغريب ان نجد الاديب المصرى التقدمى الكبير نجيب محفوظ يساير الاستاذ الحكيم فى نقده لدور الناصرية فى اليمن ، وفى المنطقة العربية ، وتجريحة لها فيما يتعلق بسياستها الداخلية فى مصر ، دون ابراز حتى لبعض الجوانب الايجابية والحاسمة فى سياسة عبد الناصر على النطاق الوطنى والقومى ، ومن هنا تصوير نجيب محفوظ لمساندة عبد الناصر لثورة اليمن بأنه من اخطر القرارات التى ما كان ينبغى ان يتورط فى اتخاذها ، تماما كقرار اغلاق خليج العقبة فى عام ١٩٦٧ ، بما اعقبه من عدوان اسرائيل فى ٥ يونيو من ذات العام ٠ (انظر نجيب محفوظ صريحا ، صباح الخير القاهرة فى ١٩/١٢/١٩٧٤ ص ٣٠)

ان من المفارقات والتناقضات التى يقع فيها هذا الاديب ،قوله فى عدد ٦/١٢/١٩٧٤ من مجلة (المصور) القاهرية بأن سياسة عبد الناصر القومية ، ودعوته الحماسية للاشتراكية ٠ كان من نتيجتها « ان دخلت الاشتراكية ، اليمن ، وتزعزعت الاشتراكية فى مصر ! » مشيرا بذلك الى النظام الوطنى الديمقراطى فى عدن !

لقد كان الاستاذ محمد حسنين هيكل اقرب الى الصواب ـ الى حد كبير ـ رغم اختلافنا معه حول تقييمه لبعض نواحى الدور المصرى فى اليمن ، ولطبيعة الاوضاع هناك ، عندما كتب : « من الجائزان الظروف فى اليمن لم تكن جاهزة موضوعيا لقيام الثورة ، ومن الجائزان مصر عندما تدخلت ، كان تدخلها بأكثر مما تحتاج اليه الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية فى اليمن ، يعنى انه بدلا من مواكبة التفاعلات الدورية ، حدث نوع من الاستعجال ، لأحداث هذا التفاعلات ، أو أن بعض هذه التفاعلات افتعل ٠ جائز ٠ ويمكن المحاسبة على هذا كله ، انما بمنطق المواجهة الشاملة مع الاستعمار على جبهة عريضة من المحيط الى الخليج ٠ » (الطليعة القاهرة ،فبراير ١٩٧٥ ، عن الناصرية ، حوار مع محمد حسنين هيكل ، ص ٧٠)

ان ما ينبغى التأكد عليه دائما وباستمرار انه عند اجراء عملية مقارنة بين الايجابى والسلبى للدور المصرى فى اليمن ، فأنه لابد من ملاحظة ان الجانب الايجابى يطغى ـ بكل مقياس من المقاييس ـ على الجانب السلبى ، حيث انه امكن بفضل ذلك اسقاط نظام امامى كهنوتى عمره الف عام ، واخراج احتلال بريطانى دام اكثر من قرن

وربع قرن ، كما امكن اخراج اليمن من حالة العزلة الطـــويلة التى ضربت عليها ، وانهاء حالة الركود والجمود الاجتماعى والسياسى التى كانت تلف جميع انحائها ، وتحويلها الى ساحة عراك قومية ملتهبة لاول مرة فى تاريخها ، بل وجعلها مركز الأستقطاب وبؤرة الاحداث العربية كلها لفترة خمس سنوات كاملة واتيح بذلك كله لشعبها أن يدخل فى عملية احتكاك وتفاعل خصبه وخلاقة مع حركة الثـــــورة العربية بمجملها ، وان يطلق طاقاته المختزنه والمتفجرة ،وان تنموفيه حركة وطنية يمنية شديدة الحيوية والثورية ٠

وقد صور الأستاذ عوده فى ص ١٢٥ ــ ١٢٧ من كتابه(الوعى المفقود) الجوانب الايجابية والسلبية فى هـــذا الدور القومى الذى لعبته مصر فى اليمن ، موضحا رجحان الايجابى على السلبى فى هـــذا الدور ، صور ذلك على النحو التالى :

« وربما كانت هناك اخطاء كثيرة وكبيرة فى اليمن واخطـــاء عسكرية وسياسية معا ٠٠ ولكنها تظل جميعا اخطاء ثانوية ٠٠ لقد حققت حرب اليمن اهم اهدافها ، وقامت جمهورية عصرية فى اليمن الشمالية ، وقامت جمهورية ديمقراطية وشعبية فى اليمن الجنوبية، هى التى اغلقت باب المندب فى حرب اكتوبر ، وقدمت القواعد للاسطول المصرى ، وسرت ريح الثورة عبر كل رمال شبه الجزيرة وغيرت كل المشاريع والموازين ٠٠ مهما تكن الاخطاء ٠ ذهب الجيش المصرى الى ارض غريبة وذهب فى اسرع وأقصر وقت ٠ ولانقاذ موقف مهدد ٠٠ وكان طبيعيا أن يصادف كل القبلية والعثرات ٠ وحشدت ضد الجيش المصرى كل انواع القوات القبلية والنظامية وانضمت اليها قـوات المرتزقة الاوربية ممن حاربوا فى الحرب العالمية والكونغو وتميزوا بفظائعهم ووحشيتهم ٠ ولكن فشلت كل هذه القوات فى النهـــاية وقامت الجمهورية وصمدت ، وقدم الجيش المصرى نماذج باهـــرة وخلاقة فى العسكرية وفى المبادرة والشجاعة ٠ وقد وقعت اخطاء سياسية كثيرة ٠٠ كان الجيش المصرى يفتقر الى التكوين السياسى ويفتقر الى الضباط السياسيين ، وهم عنصر اساسى فى مثل هـــذه الحملات ٠ وكان الجيش المصرى عامة يفتقر الى « التسييس » ولكن ذلك كان لاسباب ومعادلات صعبة ودقيقة ٠ كانت القيادة حريصة كل الحرص على تأمين القوات المسلحة ضد الاختراق ٠٠ وكان السلاح الوحيد للاستعمار الامريكى واجهزته فى العالم الثالث هو اختـــراق الجيوش والنفاذ اليها ، وذلك لتدبير الانقلابات العسكرية ٠ وقـد

ركز اقصى جهده ، على الجيش المصرى ٠٠ وهو قام بالثورة وتسلح باسلحة سوفيتية واصبح اكبر قوة ضاربة ضد الاستعمار فى المنطقة وكان إبعاد الجيش عن السياســة ضرورة تحتمها الثورة وحماية الجيش نفسه ٠ ولكن النقص كان فى عدم التفـريق بين الابعاد عن السياسة ، وبين التكوين السياسى والذى لابد منه للجيوش الوطنية والثورية والذى هو أفضل تحصين للجيوش ضد الاختراق وعملائه ولكن مـع هذا لم يفتقر الجيش المصرى قط الى الوطنية والبســالة الخارقة ٠ ولم يفشل فى اليمن ٠ وتظل كل الاخطاء ثانوية ازاء العمل الكبير الذى تحقق » ٠

ليس معنى ذلك أن فترة الوجود القومى لمصر فى اليمن كانت خالية من الشوائب والاخطاء والسلبيات التى لعبت دورا فى اضعاف الجوانب الايجابية ذاتها ؟ لقد كانت هناك أشياء غير قليلة فى هذا الصدد ، ولقد أثرت بشكل عكسى ، كما حدث فى كل بلد عربى كان لمصر دورا ايجابى فيه : « والحقيقة ان المنطلق الثورى الصحيح فى التوجه الناصرى نحو العرب قد فتح آفاقا غير محدودة امام الناصرية ، لكن الناصرية لم تستطع مطلقا أن تحرر نفســـها من القيود التى كبلت بها يديها ، فهى ترفض الاعتماد عـلى الجماهير فى مصر ، وقـد رفضت ذلك فى اليمن بالطبع ، واكتفت بالاعتماد هناك ـ كما فى مصر ـ على قوى تقبل أن تقول نعم ، بغير أن تفكر مطلقا فى قول لا ، وهى بالضرورة قوى لا يمكن للجماهير ـ فى أى مكان ـ أن تحترمها ، أو أن تلتف من حولها ، ولقد استخدمت الناصرية كل ما فى جعبتها من حيل وامكانيات لكســـب او اسكات شيوخ القبـائل اليمنية الرجعيين ، ابتــداء من الاغداق عليهـــم بأكوام من الذهب (وانا لا أستخدم الكلمة مجازا فقد رفض شيوخ القبائل الا أن يقبضــوا ذهبا أصفر بالفعل) الى قصف تجوعهم وتجمعات قبائلهم بالقنابل لكنها لم تفكر ولو للحظة واحدة فى أن تجرب الحل الاسهل ، الحل الامثل ، بل وربما الحل الاوحد ، وهو حشد القوى الوطنية والثورية والتقدمية اليمنية ، وتعبئتها وتنظيمها من اجل يمن حر تقـدمى ، ولقد ظل هذا الحل متاحا وممكنا لفترة طويلة من الزمن ، لكنه رفض باصرار من جانب عبد الناصر ، وعلى العكس من ذلك ، فقد كانت القوات المسلحة المصرية تواجه فى بســالة مؤامرات اليمين الرجعى باليمن المتحالف مع السعودية والمستند الى الاستعمار ، بينما كانت أجهزة الامن المصرية باليمن تبطش بكل بادرة لتحرك ثورى أو تقدمى

فى اليمن ، وكانت النتيجة المنطقية ان يحسم الصراع فى اليمن (الشمالية) لصالح اليمن الرجعى » . كما كتب كاتب مصرى ماركسى معروف يرمز الى اسمه باسم مستعار هو محمد فريد شهدى فى كتابه (تأملات فى الناصرية) الصادر فى بيروت ١٩٧٣ فى ص ٧٦ ـ ٧٧ .

على أن من المهم هنا الاشارة الى أن طبيعة التخلف المزرى فى اليمن قد عكست نفسها على طبيعة واسلوب العمل الناصرى فى اليمن ، فعلى الرغم من أن الناصرية معادية اساسا للاقطاع ، وان وجودها فى اليمن كان ـ موضوعيا ـ موجها ضد النظام الاقطاعى فيها ، الا انها ـ اذااستثنينا ماتضمنته خطابات عبدالناصر من اشارات الى الاقطاع ـ لم تتحمس أو تحاول قط أن تنشر أو حتى تسرب الافكار المناوئة للاوضاع والقوى الاقطاعية فى اليمن ، ولم يحدث ـ ولو مرة واحدة ـ أن انزلت أو شجعت على انزال برنامج نضالى موجه ضد التركيب الاقطاعى ـ القبلى ، اساس التخلف والرجعية فى اليمن ، وظل عملها محصورا فى الجانب العسكرى البحت ، او معتمدا على محاولة شراء شيوخ الاقطاع (الجمهوريين) واكتساب ولائهم السياسى عن هذا السبيل ضد (الملكيين) ، بينما اثبتت الاحداث أن الحس الطبقى لجميع المشائخ (جمهوريين أو ملكيين) يضعهم فى صف واحد ، صف المعاداة للثورة اليمنية والعربية معا .

ولكن الاشارة الى سلبيات الناصرية فى اليمن ، وتحديد حجمها ، وانماطها ، ونقدها شيء ، ومحاولة طعن وتجريح دور مصر فى اليمن جملة وتفصيلا شيء آخر ، كما فعل ، ليس بعض الكتاب اليمينيين والليبراليين فى مصر ، وانما كان فعل ايضا ـ للاسف الشديد ـ بعض الكتاب (التقدميين) اليمنيين ، لكان هؤلاء يريدون أن يؤكدوا ـ كما يفعل الرجعيون ـ ان اليمن لحقت بها (لعنة الفراعنة) التى لحقت بمصر على يد ناصر والناصرية !! بل ان اللعنة ينبغى أن تحل بالاحرى على ثوار اليمن انفسهم ـ من وجهة نظر هذا الطراز (الخاص) من الكتاب (التقدميين) اليمنيين ، لسماحهم بدخول الجيش المصرى الى اليمن ، (وتآمرهم) مع مصر الناصرية لتمكينه من البقاء فيها ، حتى أخرجته نكسة يونيو ١٩٦٧ ! وكان مثل هذه الاقلام التى كتبت بالفعل تشجب (التدخل) المصرى فى اليمن ، كانت ضد ذلك الدور التاريخى والقومى العظيم الذى نهضت

به مصر في اليمن ، ومساعدتها من خلاله في انهاء مرحلة القرون الوسطى التى كانت ماتزال مخيمة عليها ، وفى دحر الامبريالية البريطانية من جنوب اليمن ! وكأن أصحاب هذه الاقلام يريدون أن يعمقوا المرارة فى حلوق قطاعات غير قليلة من ابناء مصر الذين ــ كما كتب الاستاذ عودة فى ص ١٢٢ من كتابه الآنف الذكر ــ يقولون انه بعد (مئات الملايين التى انفقت ، وآلاف الرجال الذين ماتوا ، انسحبت مصر ، أو على الاصح طردت مصر ، يلعنها أولا الذين حررتهم) • !

ألم يدرك هذا (النمط) من الكتاب اليمنين ــ شأن امثالهم فى مصر ــ ان موقف عبد الناصر من الثورة اليمنية كان نابعا عن موقف (قومى نضالى) وعن موقف ثورى معادى للاستعمار والامبريالية والرجعية ، وعن شعور كامل بمسئولية مصر القيادية فى المنطقة العربية ، والتى تحتم عليها العمل ــ بحسب حجمها ودورها وعن شعور كامل بمسئولية مصر القيادية فى المنطقة العربية ، والتى تحتم عليها العمل ــ بحسب حجمها ودورها الطليعى هذا ــ على تحرير وتوحيد الوطن العربى • ان هذه الرؤية الناصرية التى أملت الوقوف الى جانب الثورة اليمنية وغيرها من الثورات العربية ، هى ما عبر عنه الاستاذ ابو سيف يوسف مدير تحرير مجلة الطليعة القاهرية فى عدد يونيو ١٩٧٥ منها (ص ٥٤) بقوله انه انطلاقا من مبدأ « النضال ضد الامبريالية والاستعمار وضد الاستعمار الجديد ، التزم عبد الناصر بمساندة الثورات الوطنية فى البلاد العربية التزام مصير ونضال مشترك • كان هذا موقفه من ثورة الجزائر ، ثورة اليمن ، ثورة الجنوب اليمنى ، ثورة فلسطين ، ثم من ثم ثورة ليبيا • الخ وبذلك دشن عبد الناصر دور مصر العربى القيادة على أسس نضالية وتحررية وطنية • وهذا ما سوف يبقى من تراث الناصرية »

ولكن لاينبغى أن يتبادر الى ذهن القارىء العربى ان اليسار اليمنى لايحسن تقييم دور ثورة ٢٣ يوليو بقيادتها الناصرية فى اليمن • وأى تقييم مخالف أو قاصر ــ حتى ولو جاء من عناصر محسوبة على هذا اليسار فانه لايعدو أن يكون هو (الشذوذ) الذى يؤكد القاعدة ، كذلك الشذوذ الذى مثله زميلنا عمر الجاوى رئيس تحرير مجلة الحكمة التى تصدر فى عدن ، الذى كتب فى عدد مارس ١٩٧٥ ــ فى مقام تمجيده لأحد زعماء حركة المعارضة الاصلاحية قبل الثورة اليمنية ــ وهو القاضى محمد محمود الزبيرى الذى وقف

موقفا مناوئا للوجود المصرى الثورى فى اليمن بحجة انه يقلل من قيمة الشخصية اليمنية كتب يقول ـ بدون تحـــرج أو تحفظ ـ :
« فقد حيينا موقفه الاخير (أى مـوقف الزبيرى) فى عشـــية ثورة سبتمبر ، حين رفض التدخل الثورى من الجمهورية العربية المتحدة لقلب الامام (لان ذلك ان يدمغ الشعب بوصمة فى جبينـــة الى الابد » •

على أن ما يدعو الى الغرابة حقا هو أن ينظر مثل هذا الصحفى الذى يغمز جانب واحد من اعظم امجاد الثورة العربية فى اليمن الى كل من يحسن تقييم دور مصر الثورى فى اليمن بأنه لايعدو أن يكون من (اليسار الناصرى) ـ كما اسمى ـ على سبيل المثال ـ كاتب هذه السطور ـ ناسيا أن دور مصر القومى والجبار فى اليمن يحظى بتقدير لامثيل له ـ يكاد يبلغ حد الاجماع ـ من قبل كل قوى التقدم اليمنية والعربية والعالمية ، وليس من الناصريين العرب وحدهم •

والأغرب من ذلك ايضـــا أن يقلب رئيس مجلة (الحكمـة» الحقائق التاريخية رأسا على عقب ، ويزعم ان « ناصر نفسه » «يعتز» بأولئك الذين يهاجمون ما قام به وقامت به مصر فى اليمن ! ولوضع حد لمثل هذه الترهات والتخرصات ، وايقاف اصحابها الذين يهرفون بما لا يعرفون عند حدهم ، فانه لا مفر من ان نستعرض بعض أقوال وتقييمات ناصر ذاته لثورة اليمن ودور مصر فى تأييـــدها • ففى خطاب ١٩٦٢/١٢/٢٣ فى عيد النصر قال عبد الناصر انه بعد قيام ثورة اليمن ، سألنا أنفسنا « هل نترك الثوار ••• ونقول احنا مالنا ومال العرب ، احنا مالنا ، ومال العرب ازاى ؟ ده كلام الاستعمار ، وكلام الصهيونية وكلام راديو اسرائيل ، راديو اسرائيل اللى زعلان قوى على الامام البدر ، والامام الحسن ••• »

واذن فان الذين يعترضون على تدخل مصر الثورى فى صـالح الثورة اليمنية لا يضعون انفسهم بعيدا عن مواقع هذه القوى المعادية التى اشار اليها عبد الناصر !!

ويقول قائد الثورة العربية الراحـل فى معرض تبرير اقدام مصر على ارسال جيشها لمناصرة الثورة اليمنية ، وتمكينها من نشر لهيبها حتى عدن ، ووضع الاستعمار البريطانى بذلك فى دائرةالنار: «بعدما قامت ثورة اليمن •• الخـواجات اللى قاعـدين فى الجنوب ، الانجليز اللى قاعدين فى عدن والمحميات أيضا ، طبعا قلبهـــم وقع

وظهر انهم مش هيسكتوا ، لان ظهور الثورة فى الجزيرة العربيـة يقلق الاستعمار ، ويقلق الرجعية ، يقلق الانجليز والملك سعود ، يقلق أعداء التقدم ، يقلق أعوان الاستعمار ، الملك حسين ، بعد الثورة بيوم كنا نبحث ماهو موقفنا تجاه الثورة وما هو موقفنا اذا تعرضت الثورة للعدوان الخارجي ، هل نسكت ، هل نسيب الرجعية» ؟ ثم يقول عبد الناصر على الفور ان شعب مصر أجاب على هذا التساؤل بشكل ايجابى ، لماذا ؟ لانه « عارف فين مصلحته ، عارف فين مبادئه ، عارف فين الحق الذى يجب أن ينحاز اليه والذى يجب أن يعمل فى جانبه ٠» ذلك ان «احنا قلعة القومية العربية ، وقلعة الكفاح العربى والنضال العربى ، احنا اللى أخذنا الفرصة ، احنا اللى استطعنا أن نستقل ، واحنا اللى عندنا الامكانيات واحنا اللى قمنا بثورة علشان نتخلص منأمثال سعود ،وعلشان نتخلص منالأقطاع والاستبداد ٠»

ومن هنا كان قرار مصر الحاسم بأنه «أبدا لايمكن بأى حال من الاحوال » ترك القوى الرجعية والاستعمار تهزم ثورة اليمن ، وكان قرار ثورة ٢٣ يوليو وقادتها بأنه « لابد أن ندافع عن مبادئنا فى قلب الجزيرة العربية ضد الرجعية وضد الاستعمار وضد الصهيونية ٠» وكان تقييم عبد الناصر بأن «المعركة دى مش معركة اليمنيين ، ولا الشعب اليمنى ، معركتنا احنا ، ومعركة كل شعب حر لاننا كل مانكسب شعب حر،كل مايتحرر شعب من الشعوب العربية الخاضعة لذل الاستعمار ، والخاضعة لذل الرجعية ، كلما تزيد قوتنا ، كما تزيد قيمتنا ٠» ونحن الآن بالفعل «بنشعر بالفخر وبالعزة ،وبنشعر بقوة زيادة ، وبنشعر بأن احناالنهارده أقوياء ضد الاستعمار ،بنشعر ان احنا أقوياء ضد الرجعية ، بنشعر ان احناأقوياء ضد الصهيونية» بعد أن أخذ ملايين الشعب اليمنى الذين كانوا يعيشون فى القرون الوسطى ينتقلون «دفعة واحدة الى القرن العشرين ولينضموا الىقافلة التحرر العربى٠» (مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر ، القسم الرابع ، فبراير ١٩٦٢ - يونيو١٩٦٤ ص ٢٦٢ فيما بعد)

ذلك هو اذن تقييم عبد الناصر لثورة اليمن ضد الاستبداد والاستعمار ، وتقييمه لدور مصر فيها ، وللدوافع القومية العميقة التى أملت عليها ذلك ٠

ومن اجل ان تكتسب الثورة اليمنية امتدادها وطابعها الوطنى

العام ، فان مصر لم تشجع وتساعد فحسب على تشكيل «الجبهة القومية» التى أنشأت فى صنعاء عام ١٩٦٣ ، انما ساعدت أيضا على اشعال الثورة المسلحة وبناء اداتها القتالية ، هذه الثورة التى شكلت امتدادا طبيعيا ومتفجرا للثورة الأم ، ثورة ٢٦ سبتمبر ، والتى بالاستناد اليها والى قاعدة الثورة العربية فى مصر أمكنها أن تدحر الاستعمار البريطانى – فى آخر الامر – من جنوب اليمن .
وحول ذلك قال عبد الناصر فى خطاب الوحدة فى ٢٢ / ٢ / ١٩٦٧ اننا أمام الاستعمار البريطانى كنا وما زانا «مستعدين لعمل جيش لثوار الجنوب العربى ، ونسلحهم بكل أنواع الاسلحة ، علشان يقفوا للمرتزقة ولعملاء الاستعمار .»

ولتعرية العناصر المأجورة التى كان يستخدمها البريطانيون للنيل من الدور المصرى فى اليمن – كما فعل الجاوى فيما بعد ، ولو بحسن نية – أعلن عبد الناصر : « كل يوم مستر ويلسون بأجر واحد فى عدن ، ويعمل له مؤتمر صحفى ويدفعوا له ... عسكرى يمنى هرب من الجمهوريين ، وعمل مؤتمر صحفى فى عدن ، يقول ايه بأه .. ان المصريين دول مستعمرين ، وان المصريين بيموتوا اليمنيين .. هيضحكوا على مين ، حيضحكوا على الشعب العربى ، المصريين راحوا اليمن ، علشان يضربوا الاستعمار والقوى الرجعيه ، والانجليز طبعا محروقين علشان حيسيبوا عدن ، وحيسيبوا الجنوب العربى ، وحيسيبوا الخليج ، ومش هيقعدوا فى العالم العربى ، واحنا وراهم لغاية مننضفه منهم ، احنا نسينا والا ايه» ؟!

وكان عبدالناصر يفلسف هذا الدور الثورى الذى تقوم به مصر ضد الأستعمار والرجعية بأنه يعود – كما قال – الى «وحدة النضال بين مصر واليمن» هذه الوحدة النضالية العربية التى لم يتأثر الايمان بها والعمل على تأكيدها عمليا انفصال سوريا عن مصر ، فرغم هذا – كما يواصل القائد العربى – «صممنا على أن نقوم بدورنا الطليعى فى اليمن ، دورنا النضالى ، دورنا الثورى .»

بل ان عبد الناصر كان يتعامل مع الثورة اليمنية بطريقة فريدة وخاصة ، ويفرد لها مكانا متميزا بين كل الثورات العربية ، ولم يكن ينظر اليها بعين (الغيرية) وعلى أساس انها من صنع عرب (آخرين) جاء لمساعدتهم ، وانما كان يعتبرها ثورة عربية قومية ناصرية ، قام بها الناصريون العرب ، واشتركوا فى التخطيط لها من البداية والى النهاية ، سواء كانوا يمنيين أو مصريين ، ومن هنا فهو لم يعتبرها

ثورة يمنية بحته ـ وتلك حقيقة تاريخية مؤكدة ، لاينكرها حتى ثوار اليمن أنفسهم الذين وضع عبد الناصر يده فى أيديهم من قبل قيامها، ومن أجل تفجيرها ـ وانما كان يعتبرها ثورة قومية ، أو ثورة ذات طابع قومى وقامت لأهداف قومية ، تتجاوز ـ فى اتساعها ومداها ونتائجها ومضاعفاتها ـ الساحة والمصالح الوطنية اليمنية ، كانت اليمن فى التخطيط الناصرى هى الحلقة الضعيفة فى سلسلة الانظمة الرجعية فى المنطقة العربية ، التى يمكن ـ لهذا السبب ـ كسرها ، وهز السلسلة كلها من خلال ذلك ، وبالتالى الانطلاق من هنا ، من الساحة اليمنية ، لقيادة هجمة ثورية معاكسة ضد هجمة الجبهة الرجعية والاستعمارية ، التى كانت قد أخذت تطبق على مصر بعد نكسة الانفصال ، ومن ثم اعادة الروح لحركة القومية والوحدة والثورة العربية ، ولمحاصرة وعزل الاتجاهات الاقليمية والانفصالية التى أخذت تظهر من جديد فى الساحة العربية . وقد عبر عبدالناصر عن ذلك كله بايجاز فى خطابه فى عيد أول مايو للعمال عام ١٩٦٦ بقوله : «ونعتبر أن ثورة اليمن ثورتنا ، ثورة العرب كلهم ، والا ماكناش بعتنا أبناءنا هناك ، وقاتلوا واستشهدوا ، ويضربوا أكبر صفحات البطولة .» (مجموعة خطب وتصريحات وبيانات الرئيس جمال عبد الناصر ، القسم الخامس يوليو ١٩٦٤ ـ يونيو ١٩٦٦ ، ص ٥٥٤) و (وثائق عبد الناصر ، يناير ٦٧ ـ ١٩٦٨ ص ٥٧ـ٨٧)

وفى خطاب ٢ مايو ١٩٦٧ صور عبد الناصر مخاوف قوى الاستعمار من الثورة اليمنية ، ودعم مصر لها على النحو التالى : « بنقرأ الجرايد ، بيقولوا خطر ، امبارح فى جريدة انجليزية ان الخطر من الجيش المصرى فى اليمن ، ان الجيش المصرى بعدما يمشوا الانجليز من عدن والجنوب لعربى هينزل على عدن والجنوب العربى ، وبعدين حيحود شمال من هناك ، ويطلع على الخليج، وياخد البترول ، ويحط البترول تحت نفوذه الروسى . » ثم يؤكد عبد الناصر استمرار دعم الثورة اليمنية ، حتى ينتهى الخطر والنفوذ الاستعمارى القديم والجديد من الجزيرة العربية : «احنا قررنا ان احنا نساند الجمهورية اليمنية ، ومساندتنا للجمهورية اليمنية مستمر الى مالانهاية ، حتى يزول الخطر الانجليزى الامريكى السعودى زوال كامل .» (وثائق عبد الناصر يناير ١٩٦٧ ديسمبر ١٩٦٨ ص ١٤٣ـ١٦٧) وفى الحديث الذى أجراه كمال الدين حسين مع روزاليوسف عدد ١٩٧٥/٨/٤ قال انه اقترح سحب الجيش المصرى من اليمن بعد نكسة ٥ يونيو

١٩٦٧ ، وكان رد عبد الناصر عليه بلهجة الاستنكار : «لكي يعود الامام البدر ؟ »

من ذلك يتضح — ورغم السلبيات — الاهمية التاريخية والاستثنائية الفائقة للثورة اليمنية ، وتتضح الأهمية الخاصة والبعيدة المدى التي اعطاها عبد الناصر لها ، والتي على أساسها بنى حساباته للدخول في عملية دعمها — بكل ثقل مصر العربي ومكانتها الدولية — ودعمها الى النهاية ، ومهما كانت الخسائر • ومن كلمات عبد الناصر يتجلى انه كان يرى في اليمن انها كانت تمثل رأس الجسر الآخر الذي تمسك مصر بالطرف الجنوبي منه : فكما ان مصر تسيطر على قناة السويس ، فان اليمن بموقعها الجغرافي والاستراتيجي تسيطر على باب المندب ،وتطل من خلال ذلك على المحيط الهندي• وفي ظل الثورة العربية ، ثورة استعادة السيادة القومية ، وتقرير حق المصير واقامة الكيان الدولي للامة العربية ، اكتسبت اليمن لوضعيتها الاستراتيجية الفريدة هذه أهمية وخطورة متزايدة • وما كان في امكان قائد قومي ، يطمح الى بناء وابراز الكيان القومي العربي المستقل الموحد الى حيز الوجود ألا يفكر في طرد قوى الاستعمار البريطاني وركائزه المحلية من هذا الركن الهام من جزيرة العرب، وألا يعمل على تحرير الطريق العالمي القديم والجديد الذي تشكل اليمن ومصر نقطتي الحراسة على مدخليه الجنوبي والشمالي !

لقد جاءت حرب ٦ اكتوبر المجيدة ، لتؤكد صحة هذه النظرة القومية البعيدة المدى وهذا الوعي القومي المستنير ، وهذا التخطيط الثوري والاستراتيجي الناضج لعبد الناصر : فلولا انه كانت قد قامت في اليمن ثورة وطنية تحررية طرد بفضلها الاستعمار والرجعية، وتحررت عدن وباب المندب من قوات الاحتلال البريطاني وتهيأت اليمن شعبا وأرضا للارتباط بالوجود القومي العربي والنضال جنبا الى جنب مع قادة حركة التحرير العربي ، لما أمكن أن يتم بسهولة وفعالية ونجاح ضرب حصار باب المندب الشهير من قبل الاسطول المصري المدعم بالأمكانيات اليمنية هناك ، هذا الحصار الذي شل ميناء ايلات تماما ، وأفقد خليج العقبة كل قيمة له ، وعزل اسرائيل عن قارات افريقيا وآسيا ، وحرمها من بترول ايران ، وأوقف تجارتها مع محيط واسع مع العالم القديم ، وفرض عليها حالة من الانكماش كادت تبلغ حد الاختناق ، بحيث لم تجد متنفسا آخر غير البحر الأبيض ، وغير مساعدات الامبريالية الامريكية العاجلة التي أظهرت

مدى تبعية الكيان الاسرائيلي للاستعمار الامريكي ٠

لقد حدد (التقرير السياسي للقيادة العامة الى المؤتمر العام الخامس للتنظيم السياسي ـ الجبهة القومية ـ الذى ألقاه الرفيق الأمين العام عبد الفتاح اسماعيل) فى ٢ مارس ١٩٧٢ فى ص ٣١ منه العلاقة الجدلية بين قيام ونجاح الثورة اليمنية ،ودور مصر الثورى فى ذلك كله كما يلي : «لقد مكن انتصار شعبنا فى الشطر الشمالى من الاقليم فى قيام ثورة ٢٦ سبتمبر وكذلك الوجود العسكرى المصرى فى الشمال اليمنى على بدء النضال المسلح فى الشطر الجنوبى من الاقليم وحيث أصبح الشمال اليمنى القاعدة الخلفية التى تدعم وتعزز النضال المسلح فى الشطر الجنوبى من الاقليم ، ومع بدء تفجر النضال المسلح ضد الاستعمار البريطانى ، أصبح مسار الحركة الوطنية النامية محددا فى هذا الاتجاه ٠ ورفع حينها شعار النصر أو الموت »

وفى ص ٩ـ١٠ من(موجز تجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية) قيم أمين عام الجبهة القومية الاخ عبد الفتاح اسماعيل دور مصر الثورى فى اليمن فى كلمات مختصرة كما يلى « كانت القوات العربية قد وصلت الى صنعاء للمشاركة فى الدفاع عن ثورة سبتمبر أمام الهجوم الملكى ـ السعودى ، والاعتداءات العسكرية الانجليزية من الجنوب ٠٠ حينها كانت العلاقة داخل الحركة الوطنية مشوبة بالخلافات والمشاحنات العدائية ٠٠ فقد كانت العلاقة بين الناصرية والبعث قد وصلت الى درجة كبيرة من العداء والشتائم ، وكانت العلاقة بين حركة القوميين العرب والرئيس الراحل عبد الناصر علاقة جيدة ٠ وبسبب العلاقة الجيدة بين الحركة وعبد الناصر ، وبسبب الاخطار المحيطة بجمهورية ٢٦ سبتمبر ، اضافة الى نضوج الظروف الداخلية للقيام بالكفاح المسلح استطاعت حركة القوميين العرب أن تلتقط مؤشرات النضال التحررى فى الساحة وتدفع به خطوات الى الأمام ٠٠ كان الصدام بين القوات المصرية والبريطانية على «الحدود» بين اليمن الجمهورية «الشمالية» واليمن المستعمرة «الجنوب» يمهد لتجسيد العلاقة الجيدة بين الحركة وعبد الناصر ، بتدعيم العمل المسلح فى الجنوب بالسلاح ٠٠ ولذلك فقد أيد عبد الناصر تبنى حركة القوميين العرب للكفاح المسلح ، وعبر عن استعداده لتقديم السلاح للجبهة القومية ، من خلال وجود القوات العربية فى صنعاء وتعز ٠٠ وفى الجانب السياسى ، بدأت قيادة الجبهة القومية تنشط

نشاطا واسعا من خلال اذاعة صنعاء وتعز وصوت العرب لتحريض الجماهير وتوعيتها بالكفاح المسلح باعتباره الطريق الوحيد لتحقيق الاستقلال الوطني . »

ومن جهة أخرى يصور سفير الولايات المتحدة الامريكية في مصر خلال هذه الفترة (من ١٩٦١ ـ ١٩٦٤) جون س . بادو طبيعة وأبعاد الصراع في اليمن ودور مصر المتميز فيه ـ من وجهة النظر الامريكية ـ على النحو التالي : «وكانت الجمهورية العربية المتحدة تعمل بنشاط متزايد منذ عام ١٩٦٤ ، على اثارة واذكاء الاضطرابات في عدن ، فقد ساعدت في تدريب الارهابيين ، وقدمت الأموال وساندت المنظمات الوطنية المتطرفة ، وربما اشتركت مباشرة في حوادث القاء القنابل ، ولم يكن اهتمام الجمهورية العربية المتحدة بعدن مجرد تعبير عن الطبيعة الثورية الكامنة لمصر ، والنشاط الخارجي للرئيس عبد الناصر ، وانما كان يرتبط بصفة خاصة بالتورط المصري في اليمن ، ذلك أن الرئيس عبد الناصر كان قد أعلن في شتاء ١٩٦٤ أن القوات المصرية لن تنسحب من اليمن طالما ظل البريطانيون في عدن ، وكان من الواضح انه يأمل في الدفاع عن الاحتلال المصري المستمر ، باعتباره تأمينا ضد «الامبريالية البريطانية » ويحول الاهتمام عن دوره كقوة تقاتل عربا أشقاء وعندما فشلت مفاوضات فض الأشتباك بين السعودية والجمهورية العربية المتحدة ، ووجدت مصر نفسها تواجه مقاومة متزايدة في اليمن من جانب بعض الفئات في الحكومة الجمهورية ، بالاضافة الى الملكيين ، فان التحول على عدن يمكن أن يكون اغراء تصعب مقاومته . وقد أثار هذا الأحتمال قلقا كبيرا ، فان الأجراء المصري في عدن لن يزيد عدم الاستقرار في المنطقة فحسب ، ولكن يمكن ، في رأى الكثيرين ، ان يؤدي الى وجود سوفيتي في القاعدة البحرية في عدن بعد انسحاب بريطانيا « ورأى البعض أن ذلك قد يكون مقدمة لحركة يساندها السوفيت للسيطرة على المواد البترولية في رأس الخليج الفارسي ، وعلى ذلك يمكن القول انه بعدم التوصل لاخراج الجمهورية العربية المتحدة من اليمن ، وقبول حالة الجمود هناك ، تكون الولايات المتحدة قد مهدت الطريق لمغامرة جديدة ومشئومة . »

(الموقف الامريكي تجاه العالم العربي . جون . س . بادو . ترجمة مصلحة الاستعلامات المصرية . ص ١١)

في هذا الضوء يمكن فهم عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ الذى نفذته

اسرائيل ، لضرب قاعدة الثورة العربية التي كانت قد وصلت طلائعها المتقدمة الى جزيرة العرب ، جزيرة الثروات الاسطورية الهائلة ، ومنطقة الاحتكارات البترولية الضخمة ، ولاخراج هذه طلائعها المتقدمة الى جزيرة العرب ، جزيرة الثروات الاسطورية والكمبر ادورية الواسعة والانفراد بحركة الثورة اليمنية والعمل على اطفاء جذوتها وأهالة التراب عليها ٠

ومن زاويته يصور الاستاذ احسان عبد القدوس ، رئيس مجلس ادارة مؤسسة الاهرام في عدد ١٩٧٥/٦/١٣ من صحيفة (الاهرام) الابعاد العربية والدولية للصراع الذي احتدم على الساحة اليمنية بعد نشوب الثورة هنا وهناك ، والمسئولية السياسية والتاريخية الضخمة التي حملتها مصر على عاتقها في هذه الساحة بقوله : « والمرحلة الثانية بدأت باشتراك مصر في ثورة اليمن ، والتوسع في هذا الاشتراك الى حد أن اصبح من المحتمل ان تمتد الثورة الى المملكة السعودية ، بل انه وقعت فعلا معارك بين القوات المصرية والقوات السعودية ، وكانت مصر معتمدة في كل هذا اعتمادا كاملا على الامدادات السوفييتية التي تعني أن السوفييت موافقون ومؤيدون للثورة ، وبالتالي يخططون لفرض نفوذهم على اليمن والسعودية ، امتدادا لنفوذهم في مصر ٠ وهنا بدأت الولايات المتحدة تتحرك تحركا جديدا للدفاع عن مواقعها ، ومهما كانت الاسباب والاحداث التي سبقت حرب ٦٧ واحتلال اسرائيل لمصر وسوريا وفلسطين، فاني مقتنع ـ ولست وحدي ـ بان الذي اعد هذه الحرب وتحمل مسئوليتها هي الولايات المتحدة الامريكية ، ردا على تخطيط التوسع السوفيتي ، وكانت النتيجة التي وصلت اليها الولايات المتحدة هي جذب القوى الثورية من محاولة السيطرة على العالم العربي،وحصرها محليا ٠ »

ومن جميع ما سبق يتضح جليا ان الثورة اليمنية كانت قد غدت اخطر ساحات النضال القومي على الاطلاق في مواجهة المصالح الامبريالية في الارض العربية وفي مواجهة كل قوى التخلف فيها، وان الارض اليمنية كانت قد اصبحت واحدة من أهم معارك الصدام الحاسم بين الجبهة الثورية العالمية المعادية للأستعمار والرجعية وبين جبهة الاستعمار والاستعمار الجديد والعملاء والصهيونية ٠

ومع ذلك فان سلبيات الدورالمصرى القومي في اليمن ،الناجمة من جهة عن طبيعة الاوضاع المتخلفة المعقدة والشائكة في اليمن

المصرية التى اعتمد عليها عبد الناصر هناك قد أثرت تأثير سيئا على مجرى الحركة الثورية اليمنية ، ولم تساعد على ظهور حركة جماهيرية ديمقراطية واعية منظمة، وقادرة بالتالى على تنمية وتصليب وتعميق وتطوير وتوحيد حركة التحرير الوطنى اليمنية والمضى بها ـ فى مدى أقصر من الزمن ـ فى اتجاه انجاز مهمتها التاريخية العظيمة ، فى قيام دولة اليمن المركزية الموحدة ، الحديثة المتقدمة ، الوطنية الديمقراطية ٠

وكما جاء فى ص ٦٧ من كتاب (المجتمع اليمنى ـ الجزء الاول) الذى اصدرته وزارة التربية والتعليم فى عدن فان « سياسة بعض اجهزة القيادة المصرية قد أدت بها الى مزالق باتباع سياسة هدفها توازن القوى فى المنطقة ، فتركت التعاون مع القوى الوطنية المنظمة، والتى تعاظم دورها وتوسع بعد الثورة ، واعتمدت على القوى التقليدية الميشخية الاقطاعية ، بدلا من الاعتماد على جماهير الشعب وقواها الثورية الوطنية والديمقراطية ، لذا ظلت القوى الاقطاعية التقليدية ، وان لبست ثوبا جمهوريا ، هى القوى الاساسية المتحكمة بمصير البلاد ، لقد نشأت سياسة التوازن هذه بين القوى التقليدية التى اتخذها بعض العناصر فى الأجهزة المصرية ، ممثلة بكتلة « خمر » التى سيطرت على السلطة فى ٥ نوفمبر ١٩٦٧ م فور انسحاب الجيش المصرى بعد الهزيمة ، واسقطت حكومة السلال الوطنية التى كانت ممثلة للتجمع الناصرى ، واكثر استعدادا للانفتاح على التطورت الحديثة ٠ »

وفوق ذلك كله فان صراعات مراكز القوى فى مصر عكست نفسها على الساحة اليمنية ٠ ولان القوات المسلحة المصرية كانت قد غدت تحت هيمنة قائدها العام المشير عبد الحكيم عامر الذى كانت تخضع له القيادة العربية فى صنعاء ـ وكان قد جعلها عامر مركز قوة له ، شأن القيادة العامة فى مصر ذاتها ، فى مواجهة شعبية عبد الناصر المتنامية داخل مصر وعلى امتداد الساحة العربية ، فان قائد الثورة العربية حرص (على الا يناطح عامر فى شئون القوات المسلحة الداخلية ٠) كما اشار الاستاذ احمد حمروش فى بحث (عندما حكم المشير مصر) الذى نشرته روز اليوسف فى عدد ١٩٧٥/٧/٢١ ٠ ولقد كان مكتب المشير ـ ببيروقراطيته المفرطة واحتقاه للجماهير ـ ضد اى نشاط سياسى او شعبى فى اليمن ،

ومن جهة أخرى من طبيعة القيادات البيروقراطية العسكرية والمدنية وبدء أي تحرك تقوم به القوى الوطنية ، حتى ولو كان لدعم وتنمية حركة الثورة ، بحجة ان هذه القوى (حزبية) بينما تركت القيادة العربية في صنعاء ـ بالمقابل ـ المجال مفتوحا امام النشاط السياسى والقبلي الرجعي والمناوىء للوجود المصرى ذاته ، والذى كان يقوده مشائخ الاقطاع ورؤساء العشـــائر ، وممثلوهم الايديولوجيـــون والسياسيون ، وعلى رأسهم القاضى عبد الرحمـن الاريانى ـ الذى اصبح بانقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ الرجعى رئيسا للمجلس الجمهورى ـ والقاضى محمود الزبيرى الذى قتل فى اول ابريل ١٩٦٥ على يـد الملكيين ـ فى الاغلب ـ بعد ان اصبح اخطر وانشط زعيم سياسى وروحى منافس للاماميين فى اليمن . صحيح ان القيادة العربية فى صنعاء لم تكن راضية كل الرضا بمثل هذا النشاط الذى كان يقوم به هذا المحور الاقطاعى ـ القبلى (الجمهورى) ولكنها لم تحاول قط مجابهته ، بقدر ماحاولت استمالة عناصره القيادية المشائخية السياسية حتى قدمت لرؤساء العشائر الميزانيات والمرتبات الشهرية الطائلة ، بحجة كسبهم والساســة «الجمهوريين التقليـديين» الى جانبهـا فى مواجهة حرب تدخل امبريالية ضارية ، الا انها لم تستطيع الفكـاك من ضرورات الواقع القبلى ، والافلات من اسر الطبقة الاقطاعيـــة ، ووجدت نفسها تقع فى بعض الاحيان تحت تاثير التركيب القبلى ـ الاقطاعى المتشابك والمعقد . «فبينما احتفـــظ مكتب الرئيس أنور السادت برؤية صافية ازاء مهمة ج . ع . م . التاريخية فى اليمن، ولم يمنح دعمه السياسى لغير القـــوى الجـديدة المنتمية ـ بطبيعة الاوضاع ـ الى الطبقة الوسطى بمختلف مراتبها الاجتماعية ، غرق المكتب العسكرى الى اذنيه فى تعامل واسع مع القوى القديمة الممثلة فى رؤساء العشائر ، ومشائخ الاقطاع ، ولم يقف الامـر عند حـد الاعتماد على « مقاولى الانفار » من المشائخ فى التجنيد باسم مواجهة الخصم الملكى ، وانما بلغ حد تقاسم الاموال معه ، حتى بدا واضحا للقوى الوطنية فى اليمن أن « المجموعة العسكرية » التى نشأت فى ظل القيادة العربية ، وسارت فى هذا الطريق الخاطىء امـــا غير مدركة ـ بما فيه الكفاية ـ لطبيعة الواجب الجليل الذى كلفت به ، او انها غير قادرة على معرفة الاسلوب الصحيح لتحقيقه ، او انهـا تسير فى خط مغاير لخط عبد الناصر الثورى ، والقومى ، ولـــم يتضح الافيما بعد أن هذا السلوك لم يكن مستغربا ، ليس فقـــط

لانتماء المكتب العسكرى الطبقى ، واحتفاظه ـ حتى بعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ بعلاقات ما مع بعض بقايا المشايخ والعمد فى الريف المصرى ، وانما ايضا لأن المجموعة العسكرية البيرقراطية المعينة فى القيادة العربية بصنعاء كانت ـ تحت تأثير ما وجدته تحت تصرفها من اموال طائلة ، بحكم تطلعاتها السياسية الجديدة نحو السلطة فى القاهرة ، قد اصبحت تشكل مركز قوة يعمل فى اتجاه غير اتجاه عبد الناصر ، ويسعى من اجل احباط غايته الثورية والنبيلة فى اليمن ، بما يترتب على ذلك من أصداء ونتائج سلبية داخل الجمهورية العربية المتحدة نفسها ، على أن يكون ذلك خطوة تمهيدية لتطويقه والانقضاض عليه فى ظروف معينة وملائمة وذلك هو بالضبط ما أظهرته وأكدته بوضوح حرب يونيو ١٩٦٧ ، ومتلاها من محاولات استهدفت الاستيلاء على الثورة العربية من اساسها ، والامساك بقيادة الامور فيها وتوجيهها ، وتوجيه احداث الوطن العربى معها فى مسار آخر مختلف تماما ، بل ومعاكس جملة وتفصيلا « للمسار الناصرى » ٠ وهكذا بدلا من اطلاق قوى الثورة الاجتماعية ، وتنمية المبادرات الجماهيرية والاعتماد على القاعدة الشعبية ، والمساعدة فى تنظيم القوى الوطنية ، والاسهام فى وضع برنامج نضالى وطنى ديمقراطى، تسير عليه وتجند الشعب من حوله ـ كما حدث بالنسبة للجنوب اليمنى ، بدلا من ذلك كله آثر مركز القوى العربى فى اليمن ـ تعبيرا عن نفسه السياسى ، وبوحى مخططه الخاص ـ التعامل فى وضوح مع « القمم » الاقطاعية العاليه « والرءوس » الارستقراطية البارزة ، ومع الممثلين الايديولوجيين والتقليديين الاقوياء لهذه الطبقة العريضة والعتيدة ، باعتبار ذلك اقرب طريق « لتهدئة الحال » فى اليمن ٠ وذلك هو مضمون ما اشار اليه الاستاذ محمد حسنين هيكل فى برنامج « حوار مفتوح » الذى اذاعه تليفزيون الجمهورية العربية المتحدة مساء ٢٢ ، ٢٣ يونيه ١٩٧١ عندما تحدث عن أول مركز للقوى نشأ فى اليمن بالذات حيث تجمع المال فى يد القيادة هناك، كان يحول الى ذهب ، ويتقاسم بين مركز القوى فى القيادة ، وبين زعماء القبائل اليمنية الذين كانوا يشترون بالمال بغية الحصول على ولائهم ، ونظرا لان شراء القبيلة كان اسهل دائما من تحريك لواء ضدها ٠ وذلك ما كان قد اوضحه بجلاء فى التحقيق الصحفى الذى اجرته معه مجلة الصياد البيروتية فى ٢ يونيه ١٩٧١ ، حيث قال:

« ان مركز القوة الاول قد تكون في اليمن ، حين ارسل عبد الناصر الجيش المصرى ، ليتولى حماية ثورتها هناك ، ولاول مرة . وبسبب طبيعة العلاقات العشائرية السائدة ، ولان الولاء يشترى ولا يمنح بدأ الضباط يتعاملون مع الناس بالفلوس .. وكانت هذه تجربة جديدة لم يصمد فيها مع الاسف الا قلة من اقوياء النفوس .وهكذا تحولت قيادة الجيش الى مركز قوة بسبب ما في يدها من صلاحيات وامكانيات هائلة ، خصوصا اذا ما تذكرنا اننا لم نكن وحدنا من يشترى الولايات . ونشأت .. على هامش المهمة الثورية النبيلة بؤرة فساد وافساد شمل شرها الكثير من القيادات الشابة ، والعناصر التى كانت مثالية فى طهارتها . » وهو ماتنبه اليه الزعيم الخالد جمال عبد الناصر وقتها ، حيث امر ـ وقد رأى ابعاده ومراميه السياسية اساسا ـ بوضع حد له بعد عملية تحقيق شملت مكتب المشير عامر نفسه ، بما فى ذلك « على شفيق الذى كان مديرا لمكتب المشير عبد الحكيم عامر ، واحيل الى التقاعد على اثر تحقيقات جرت عن بعض التصرفات » كما كتب الاهـرام فى ٤ ـ ٩ ـ ٩٧١ » (موقف البراجوازية الوسطى اليمنيةمن الثورة الوطنية الديمقراطية د . محمد على الشهارى . الطليعة القاهـرية اغسطس ١٩٧١ ص ٨٧ ـ ٨٨) .

وعدا ذلك فانه اتضح أن بعض الضباط الذين اغرتهم كثرة الذهب الذى كان يوزع على مشـائخ اليمن الذين « لم يكونوا يستحقون كل هذا » كما كان لسان حالهم يقول ، والذين ـ بالتالى ـ اخذوا نصيبهم منه ، راحوا يتجرون به ، ويشترون من سوق عدن الحرة مايروق لهم ، ويبعثون به الى مصر على طائرات عسكرية خاصة ، دون أن يخضع لأى نوع من انواع التفتيش ، ودون دفع أى نوع من الضرائب الجمركية ! بل ان مكتب المشير عامر نفسه فى مصر كان قد غدا احدى بؤر الفساد التى ساهم (ذهب) اليمن في خلقها ، هذه البؤر التى راحت تخلق لها حياة اسطورية خاصة والتى غدت احدى بل أهم مركز من مراكز القوى البيروقراطية فى البلاد المناوئة لخط الثورة الوطني والقومي والاجتماعى ، « ولم تلبث أجهزة المباحث الجنائية العسكرية ان اكتشفت أثناء تتبعها لبعض الذين يتاجرون بأجهزة وآلات يحضرونها من اليمن أناثنين من أعضاء مكتب المشير قد هربا عدة صناديق من دخان التمباك للمتاجرة فيها ـ حسب رواية الصاغ حس خليل الذى رفع مذكرة الى الصاغ

شمس بدران · وعندما عرض الامر على المشــــير أصــدر تعليماته بالتحقيق ، وآثر شـــمس بدران الابتعاد عن التحقيق الذى قام به الصاغ حسن خليل ، والذى اكتشف فيه أن هناك عصابة فى ادارة الشئون العامة للقوات المسلحة تصدر اذونات صرف وهمية تستولى عليها ، وانها مرتبطة بعصابة أخرى فى مكتب المشير يرأسها الصاغ عبد المنعم أبو زيد · قدم المتهمون للمحاكمة ، ولم يحطهم المشـــير بحمايته ، وأصدرت المحكمة العسكرية التى رأسها اللواء محمد أحمد صادق (وزير الحربية فيما بعد) احكامها بالسجن على عددمن أعضاء المكتب ، وانتهى الامر بعد كشف هذه الفضائح الى احالة على شفيق صفوت للمعاش فى نهاية عام ١٩٦٦ » · (عندما حكم المشير مصر · أحمد حمروش ، روز اليوسف ١٩٧٥/٧/٢١) ·

ومن هنا كانت « الهزيمة المهولة التى وقعت عـــلى رأس مصر وحركة التحرر الوطنى العربى ككل فى عام ١٩٦٧ ، والتى جاءت نتيجة لعجز وفساد الجهاز البيروقراطى العسكرى والمدنى وما سببه من ضعف ونزيف داخل للتجربة منذ نهاية خطة التنمية الخمسية فى ١٩٦٥ حتى ١٩٦٧ » · (لطفى الخولى فى (اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم) الطليعة يونيو ١٩٧٥ ص ٦٣) ·

ويشير الاستاذ محمد حسنين هيكل الى ان من أهم سلبيات الوجود المصرى فىاليمن هو« اننا بسببضعف الثورة اليمنية وجدنا دور الأدارة المصرية يحل محلها ، وهذا جعل اقامة مصر فى اليمـن مدة طويلة · ولقد ذهبنا الى اليمن من دون أن نحدد مدىمعينا لبقائنا هناك ، وحجما معينا لمساندتنا ، ولذا وجدنا انفسنا أسرى الظروف والتطورات التى لم نستطع التحكم بها ، ثم وجدنا انفسنا نتيجـــة لذلك ننحى الثورة اليمنية ونتصرف بالنيابة عنها · ومن السلبيات على الصعيد العسكرى أن ضباطنا وجنودنا تعلموا القتال الســـهل والاسراف فى استعمال قوة النار ، واستعمال اسلحة فىغير موضعها والبطء فىرد الفعل ، لانهمخاضوا معركة من نوعجديد ، همخاضوها نظامية ، والقوات اليمنية المعادية للثورة خاضتها بنوع متخلف من حرب العصـــابات » · (بصراحة عن عبد الناصر ، حوار مع محمد حسنين هيكل · فؤاد مطر القاهرة ١٩٧٥ ص ١٥٩) ·

ومن هذه السلبيات أنه حتى صيغة التنظيم السياسى الواحد التى اريد تطبيقها فى اليمن ـ وفق نمط التنظيم الواحد فى مصر ـ

والتى كان ينبغى أن تحل محل صيغة الجبهةالوطنية ، ومحل الحزبية (المحظورة والمحرمة) فانها ــ في الواقع ــ لم تتسع لغير الناصريين، ومن ادعوا الناصرية ــ حقا أو باطلا ــ وحرمت ــ الا فى القليل جدا ــ القوى الوطنية والديمقراطية والاشتراكية الاخرى من الدخـــول والمشاركة في مثل هذا التنظيم السياسى الوحيد ، والشـــكلى ، والمتعثر والذى كان يتخذ من حين لآخر اسماء مختلفة ، وقد حرمت من ذلك بحجة صريحة هو انها قوى حزبية ، ماركسية ، أو بعثية ، أو حركية !

وبدلا من أن تكون الناصرية حضنا واطارا يضم ويحتوى جميع القوى الثورية ، ولاسيما وان نهجها الوطنى كان هو السائد والمتمكن، وانها كانت تواجه مع جميـــع هذه القوى عدوا داخليا وخارجيـــا مشتركا ، فانها دخلت كطرف في الصراع مع بقية القوى الوطنيـة الاخرى ، التى كانت تشكل ــ مع ذلك ــ اقلية ثورية في بحر قوى التخلف والرجعيـــة في اليمن والجزيرة ٠ ! وبدلا من أن تعمـــل الناصرية على لم شمل هذه القوى وحشدها فى جبهة نضال وطنى على امتداد الساحة اليمنية فانها ــ باستثناء مساعدتها على تشكيل جبهات مناوئة للاستعمار البريطانى بالذات ، كالجبهة القوميـــة ، وجبهة التحرير لجنوب اليمن المحتل ــ فأنها صادرت حق القـــوى الوطنية في الوجودوالعمل السياسى والتنظيمى والأيديولوجىالعلنى والمشروع والمستقل !

ان ذلك لايعنى ان الاطراف الاخرى لم تكن تحمل قســطا من مسئولية نشوب هذا الصراع ، ولربما تحملت المجموعة البعثية فى اليمن التى كانت مربوطة بالخط السياسى العام لمركز القيادة فى دمشق ، والذى كان في حالة تصـــادم مع الخط الناصرى الذى كان أكثر ثورية وراديكاليـــة ، ربما تحملت جزءا من مســئولية هـــذا الصراع ، ولاسيما وان سياستها المناوئة للتيار الناصرى فى اليمن قامت على اتباع اســـلوب التحالف الانتهازى واليمينى مع الكتلة الاقطاعية ــ العشائرية ــ الطائفية ، كتلة خط عمران ــ خمر ــ الجند التى كان يتزعمها القاضى محمدمحمود الزبيرى ، والقاضى عبد الرحمن الاريانى ، هذه الكتلة المناوئة لخط الثورة وللوجـــود المصرى فى اليمن !

وهكذا غدت اليمن مسرحا لصراعات من نوع تلك الصراعات

الموجودة فى المنطقة العربية ، بين الناصرية والبعثية ، ثم بين النصرية والحركية ، والى حد ما بين الناصرية والماركسية ، رغم ان التيار الماركسى كان اكثر تعاونا مع الخط الناصرى ، واشد دفاعا عنه ، وتأييدا له من اى تيار اخر فى البلاد !

وليس معنى ذلك – مرة اخرى – ان القوى الوطنية والتقدمية اليمنية كانت مسئوليتها قليلة ازاء هذا الوضع المضطرب وغير السليم بين قوى الثورة . لقد كانت هى ايضا تتحكم فيها ، أو على الاقل تؤثر على موقفها السياسى ومسلكها النضالى تلك الحالة المعقدة والشائكة والمتخلفة السائدة فى اليمن ، والناجمة عن الطبيعة القبلية الاقطاعية – الطائفية – العرقية – الاقليمية – القروية للاوضاع هناك حيث حالت مثل هذه الاوضاع والروابط البدائية المتخلفة دون الوصول الى ايجاد (ربطة وطنية ديمقراطية عصرية) ورابطة ثورية نضالية موحدة بين جميع قوى الثورة اليمنية ، واستحال من ثم قيام أى جبهة عمل وطنى موحدة على نطاق اليمن كلها ضد جميع القوى الاقطاعية والاستعمارية ، وظلت المنظمات الوطنية الناشئة – اضافة الى تجسيدها لخلافات الاحزاب القومية الام فى الوطن العربى – واقعة الى هذا الحد أو ذاك – تحت تأثير العلاقات والقيم الطائفية والاقليمية والقروية فى اليمن ، وعجزت – وحتى الان ، وبعد خروج الجيش المصرى من اليمن وضرب التيار الناصرى فيها قيام أى جبهة عمل وطنى موحدة على نطاق اليمن كلها ضد جميع بكل ملامحه وأشكاله – على أن ترتفع الى مستوى خلق وحدة نضالية وطنية وشعبية بينها ، على أساس برنامج عمل وطنى موحد ، موجه ضد قوى الاقطاع والقبلية والتخلف والاستعمار فى اليمن ، وضد أى قوى رجعية أخرى مناوئة للثورة اليمنية فى المنطقة ، ومن أجل اقامة دولة يمنية مركزية موحدة ، وطنية ديمقراطية ، ناهضة متقدمة .

وبعد : فان دور ثورة ٢٣ يوليو والناصرية فى اليمن – بجميع ايجابيات هذا الدور ، وهى الراجحة ، وجميع سلبياته وهى الثانوية ، مهما عظمت – لايمكن فهمه والحكم عليه حكما سليما الا بالنظر اليه من زاوية الخط والتوجه الناصرى القومى عموما ، والا بوضعه فى موقعه الصحيح من التجربة النضالية التحريرية للناصرية على المستوى القومى كله . وكما كتب الاستاذ لطفى الخولى فى ص ٦٢ من المصدر الانف الذكر فان ثورة يوليو فى مصر قد فتحت « باب الحياة الانسانية والثقافية والتأثير المتفاوت الدرجات

فى سير الاحداث ، أمام الكم الساحق من الجماهير الشعبية المطحـونة .. وكان هذا حدثا جديدا فى المنطقة العربية ، جاءت بعده تجارب الجزائر ، العراق وسورياواليمن وغيرها تدعمه وتعمقه .وكانت هذه الجماهير من قبل خارج اطار الحياة والتأثير فيها . غير ان ثورة يوليو لم تنجح أو أخفقت فى أن تحول هذا الـكم الجماهيرى الى نوع مـؤثر وفعال ومسيطر ثوريا . ذلك أن التجربة الناصرية كانت تعتمد على الشارع الهادر والجماهير غير المنظمة . وليس عـلى الحركة الثورية للجماهير من خلال تنظيم حزبى وحركة ديمقراطية شـعبية . فقد كانت لاتريد أن تقوى الحركة الجماهيرية الديمقراطية ، بحيث تحد من حركة القيادة وتصبح قادرة على المشاركة فى السلطة والحساب بحيث تدفعها الى اتخــــاذ اجراءات اكثر ثورية وجذرية . وكان عبد الناصر يقول دائما انه لا يريد قوة على يساره ابدا فى مصر او الوطن العربى » .

وفى كلمات ختامية يمكننا القول ان اندفاعة مصر بقيـــادة عبد الناصر عبر البحر الاحمر الى جزيرة العرب للاسهام فى تحريك وتثوير اوضاعها الاقطاعية والقبلية والاستعمارية ، وهز حياتهـا الجامدة والراكدة منذ مئات السنين واصـطدامها القـوى والحاسم هناك – من خلال احتضانها ودفاعها عن الثورة اليمنية – مع كـل قوى الاستعمار والرجعية فى المنطقة – قد كانت بعدا هاما وعميقا من ابعاد الوثبة القومية العملاقة والشامخة ، والنهوض الثــورى العارم والشامل لذى احدثته ثورة ٢٣ يوليو بزعامة عبد النـاصر فى الارض العربية وفى الشرق الاوسط باجمعه ، بـل وفى منطقة التحرر الوطنى بمحملها .

ان الآثار والنتائج الباقيـة لهـذه المهمة التاريخية الجليـلة والمجيدة التى نهضت بهـا مصر الناصرية فى اليمن لا تتمثل فقط فى أحداث انعطافة حضارية وقومية فى اليمن ، وفى وجود جمهوريتين على أرضها قامتا على انقاض الحكم الاستعمارى والامامى – وما كان لهمـا أن تقـوما فى ذات الوقت الذى قامتا فيـه وبنفـس الـكيفية والسرعة بدون الدعم المصرى الشامل والسـخى وغير المسـبوق – وانما تتمثل هذه الاثار والنتائج الباقية والمتنامية ايضا فى وجود حركة تحرير وطنى يمنية فتية ، يزداد وعيها وتقديرها لهذا الدور القومى العظيم والباسل الذى ادته ثورة ٢٣ يوليو بقيادة عبد الناصر على ساحة اليمن !

وعندما تتمكن اليمن من تمزيق سياسة الاستيعاب والاحتواء الرجعية الاستعمارية المحيطة بها اليوم ، وتقوم على الارض اليمنية كلها — فى المستقبل المنظور — دولة يمانية مركزية موحدة ، وطنية ديمقراطية ، ناهضة متقدمة فانه لايتحقق بذلك فحسب ، واحد من أعظم وأغلى أحلام وأمانى الشعب اليمنى الوطنية ، وانما ستكون اليمن بذلك أيضا قد أصبحت — كما كان يطمح ويريد عبد الناصر — ركنا أساسيا من أركان الحركة القومية العربية الشاملة ، وزاوية جوهرية فى بناء صرح الوحدة العربية الديمقراطية التقدمية التامة الناجزة !

---

(١) فى تقييمه للنتائج الايجابية لدور ثورة ٢٣ يوليو فى اليمن قال السيد كمال رفعت عضو مجلس الرئاسة السابق — فى مؤتمر المبعوثين الذى حضره الرئيس جمال عبد الناصر فى اغسطس ١٩٦٦ : « لقد تمكن الشعب المصرى نتيجة كفاحه الطويل ان يطرد الاستعمار من مصر وان يحرر قناة السويس من سيطرته ، وان يجعل المداخل الشمالية للبحر الاحمر تحت سيطرة القوى الثورية ، وتدعيمنا لثورة اليمن واجبار الاستعمار على التخلى عن قواعده فى عدن والجنوب سيحرر هذه المناطق من النفوذ الاستعمارى ، ويجعل المداخل الجنوبية للبحر الاحمر تحت سيطرة القوى الثورية الممثلة فى ثورة اليمن . وبذلك يصبح البحر الاحمر بحرا عربيا خالصا لا اثر فيه لاى نفوذ استعمارى . كما ان ذلك يعتبر فى حد ذاته حماية لقناة السويس من اى تهديد ياتى من المداخل الجنوبية للبحر الاحمر » .

انظر (الصامتون فى الميزان) جمال سليم ، القاهرة ١٩٧٦ ص ٣٨٤) .

وهذا التقييم لنتائج ثورة ٢٣ يوليو فى دعم ثورة اليمن ، ولمردود هذه الثورة ازاء المنطقة العربية ، هو ما اثبته سير الاحداث فيما بعد ، ولاسيما منذ حرب ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، حيث تجلى التضامن النضالى فى حصار باب المندب بين ثورة ٢٣ يوليو والثورة اليمنية .

عملية حصار باب المندب برهان على مدى ٢٣ يوليـــو فى الثورة اليمنيـــة

عملية حصـــار باب المندب التى تمت فى حرب ٦ أكتـــوبر المجيدة ليست شاهدا فحســـب على وحدة اليمن الطبيعية ، وانما أيضا على مدى التلاحم النضالى بين ثورة يوليو والثورة اليمنية .ولقد احتلت عملية حصار باب المندب موقعا بارزا في ساحة حرب التحرير العربية ، ودخلت تاريخ الحرب الرابعة العربية الاسرائيلية من أوسع الابواب ، « ومضـــيق باب المندب ــ وهو المدخل الجنوبى للبحر الاحمر ــ تقسمه جزيرة بريم الى قناتين ، قناة شرقية وعرضها ٧ر١ ميلا بها انحناءات عرضها ثلاثين (ثلاثون) قدما ، وعمقها اقصــاه ٩٦ قدما ، وقناة غربية ، وهى المفضلة للمــلاحة ، وعمقها ١٠٢٠ قدما ، وعرضها ٤ر١٠ ميلا تحصر المدخل بين جزيرة بريم والجزر الغربية من الساحل الافريقى » . (تلخيص لدراسة عن جزر البحر الاحمر ، جامعــة الــدول العربيـــة ، الامانة العـــامة ، الادارة السياسية ص ٣) .

مضيق باب المندب شاهد مادى على وحدة الاقليم اليمنى :

وعلى ذلك فان مضيق باب المندب بقناتيه يقع ــ ســـواء وفق القانون البحرى لليمن الديمقراطية القاضى بمد المياه الاقليمية ١٧ ميلا ، أو وفق القانون البحرى لليمن الشمالية القاضى بمدها ١٢ ميلا ــ يقع ضمن المياه الاقليمية اليمنية ، « وجزيرة بريم لها اهمية استراتيجية بحرية عسكرية بالغة ، فهى مفتاح باب المندب ، تتحكم بموقعها وانحصار المدخل من حولها فيما لا يتجاوز اثنى عشر ميلا فى القناتين المفضيتين الى البحر الاحمر من مدخل خليـــج عدن » . (المصدر السابق ص ٥) .

من هنا يبرز باب المندب كواحد من الشواهد الطبيعية والمادية

الصلبة على وحدة الاقليم اليمنى التى لا تقبل التجزئة أو التقسيم ، والتى اجمع على ضرورة الاسراع فى اعادة تحقيقها سياسيا وعلى أسس ديمقراطية ليس الوطنيون اليمنيون فجسب ، وانما أيضا الانظمة الوطنية العربية كلها التى أسهمت فى صنع اتفاقيات الوحدة اليمنية ٠ وما تزال تسهم فيها من خلال ممثليها ،والتى ساعدت فى دفعها أيضا الجامعة العربية نفسها التى ما انفكت تتابع مسارها من خلال ممثل الامين العام للجامعة العربية سليم اليافى ، والتى جاء فى أحد بحوثها القيمة حول الوحدة اليمنية وضرورتها كخطوة هامة ولازمة فى اتجاه الوحدة العربية وعلاقة ذلك بالاستراتيجية العربية فى جنوب البحر الاحمر ان ما « يعنينا فى صدد دراستنا هذه عن البحر الاحمر هو ماتشكله هذه الوحدة من اتساق استراتيجى هام فى حوض البحر الاحمر . فاليمن بشماله وجنوبه يشكل الاطار الاستراتيجى المحيط بالجزيرة العربية من الجنوب ٠ ولقد كان هذا الاطار دوما موضع اهتمام استعمارى حرص على السيطرة المباشرة على الجنوب منه ، وعمل على استمرار الاوضاع المتخلفة فى الشمال منه ، ليضمن اطراد مصالحه المتعددة . . واليمن بشطريه يشرف على المجموعة لمداخل البحر الاحمر الجنوبية ،وبالتحديد حول بحر العرب والمحيط الهندى وخليج باب المندب ومضيقه والشطر الجنوبى من حوض البحر الاحمر ، كما ان مجموعة الجزر اليمنية المتناثرة عند مداخل البحر الاحمر وفى حوضه الجنوبى لاريب ستكون فى موضع أكثر تعزيزا بقيام الوحدة بين شطرى اليمن ،وأول مراتب ذلك التعزيز انهاء الخلافات حول التبعية شمالية أو جنوبية لعدد من تلك الجزر المختلف عليها ، ومن امثلة ذلك الخلاف على جزيرة قمران مثلا ٠٠ وان مفهوم الوحدة اليمنية من شأنه أن يؤكد التناسق الاستراتيجى الهام للرقعة اليمنية بما تمثله من عناصر حيوية وحاسمة فى شأن الاستراتيجية العربية من حول البحر الاحمر ، فهو من ناحية أولى يقلل من عدد الوحدات السياسية بما قد يبعث على تباين القيادات السياسية فى التخطيط الاستراتيجى ، ومن ناحية ثانية يدعم امكانات الاستفادة من سائر عناصر القوة الاستراتيجية المتاحة لهذه الرقعة اليمنية ٠ فاتساع الرقعة الارضية بما يصل الى ٩٨٧ر٢٥٣ ميلا مربعا ، أى قرابة مائتين واربعة وخمسين ميلا مربعا ، بما فيها أهم الجزر ،مضافا اليه التعداد البشرى الشامل الذى يقرب من سبعة ملايين ونصف المليون ، الى جانب الطاقات والموارد الطبيعية والمعدنية واحتمالات بترولية واستغلال منسق للطاقات الزراعية ، كل ذلك

يوفر عناصر استراتيجيةحيوية .. وعلى مجال التخطيط الاستراتيجي العربيلمنطقة البحر الاحمر ،فان الاتساع اليمنى الموحد يشكل الامتداد الاستراتيجي للمملكة العربية السعودية واتحاد الامارات العربية على الخليج العربى . وبالنسبة لاهمية السيطرة على مداخل البحر الاحمر وحوضه الجنوبى ، فان الوحدة اليمنية تتيح التنسيق المتكامل المعزز بالتنسيق العربى المشترك لمواجهة استراتيجيات الصهيونية والاستعمار الساعيين الى استغلال منطقتى مصوع وجيبوتى واحتلال بعض الجزر المواجهة على الطرف الغربى للبحر الاحمر .. واليمن الموحدة تمثل عمقا دفاعيا من حول الطرف الجنوبى للبحر الاحمر ، بما تتيحه اتساعاتها الارضية من امكانات منوعة للنشاطات العسكرية من بحرية وجوية وحشود برية متعددة تتوافر لها وسائل التموين والتشوين والتجمع، حيث تصلح الارض لانواع الحشود والتدريبات، وتتوافر ويمكن أن يتزايد توفر وسائل الاعاشة ، ويمكن انشاء المطارات البعيدة المحصنة ، وتحقيق الوجود البحرى المؤمن القواعد» . (دراسة تحليلية عن الاهمية الاستراتيجية للبحر الاحمر والدعوة لمؤتمر دول البحر الاحمر العربية ، لجامعة الدول العربية ، الامانة العامة ، ادارة الشئون السياسية ، ص ٢٨ ـ ٢٩) .

أهمية مدخل البحر الأحمر فى الاستراتيجية العربية :

وجاء فى ص ١٤٠ من الدراسة حول مدخلى البحر الاحمر الشمالى والجنوبى مانصه : « الظاهرة الاولى للمشكلة : هى التحرك الاستراتيجي المعادى والعدوانى فى البحر الاحمر ، وتركز ذلك فى المدخلين الشمالى والجنوبى ، ففى المدخل الشمالى استطاعت تلك الاستراتيجية عن طريق العدوان عام ١٩٦٧ ، تثبيت تحركاتها السابقة منذ حرب ١٩٤٨ ، وعبر عدوان ١٩٥٦ لفتح خليج العقبة وانعاش ميناء ايلات ، وفى نفس الوقت تعطيل قناة السويس بكل تأثيرات ذلك على موانى البحر الاحمر الاخرى .. وفى المدخل الجنوبى يتجه التحرك العدوانى الى الدخول فى لعبة الجزر ، والسعى لاقامة قواعد يمكنها أن تتسلط على بوغاز باب المندب تسلطا يستطيع ان يعطل القدرة العربية على التحكم فى المدخل الجنوبى .. والظاهرة الثانية : هى انعدام التنسيق العربى ،بحيث انه رغم الامكانات الهائلة للطاقات العربية من حول البحر الاحمر لايكاد التحرك العربى المواجه يكون

له أى تأثير ، بل لايعدو الامر انطلاقات وقتية من هنا وهناك تحذر من خطر محدود فى اغتصاب جزيرة ، أو فى مشاهدة سفن حربية غير معروفة الهوية » •

وجاء فى هذا البحث القيم على ص ١١٣ : « فالحقيقة الأولى ترتبط بالصراع الذاتى بين قوى البحر الاحمر ، وتتضح ملامحها فى القيمة الحيوية الاقتصادية والسياسية والعسكرية لهذا البحر بالنسبة للعدو الاسرائيلى فى نطاق صراعه مع العالم العربى • ولاشك أن هذه الحقيقة ظلت وستظل المحرك الاول لمخططات العدوان المتكرر ، والباعث الى تركيز هذا العدوان على مصر ، واستهداف المدخل الحيوى الشمالى للبحر الاحمر من حول شبه جزيرة سيناء ، سواء المدخل الشمالى الشرقى المتحكم فى خليج العقبة أو المدخل الشمالى الغربى فى قناة السويس •• والحقيقة الثانية تتعلق بطبيعة القدرة العربية على التحكم فى شمال البحر الاحمر الذى تمثله مصر كخط للمواجهة الحاسمة مع العدو ، بحيث يشكل ذلك التحكم استكمالا معززا للتحكم الممكن فى جنوب البحر الاحمر ، وما يترتب على تلك القدرة من خنق ميناء ايلات ، العصب التجارى للعدو الاسرائيلى » •

ملامح الاستراتيجية الاسرائيلية فى جنوب البحر الاحمر :

وورد فى هذا البحث المتخصص على ص ١١٦ فى مجال كشف الاستراتيجية الاسرائيلية فى جنوب البحر الاحمر : « تجرى المخططات الاستراتيجية للعدو الاسرائيلى على اساس تركيز اهتمام خاص بالبحر الاحمر ،والسعى الى تحقيق وجود نقط ارتكاز تترابط فى جسور تكفل تحقيق ثلاثة امور :

أمر أول : تجاوز للحصار العربى الاقتصادى والنفسى والسياسى •

أمر ثان : خلق مراكز نفوذ عسكرى وقواعد بحرية تحقق سيطرة على مداخل البحر الاحمر ، او قدرة على وقف والغاء أى قدرة عربية على سد هذه المنافذ •

أمر ثالث : جذب قوى مساعدة غريبة عن البحر الاحمر بدعاوى كفالة مصالحها الاستراتيجية ، ومن خلال ذلك اقحام البحر الاحمر

فى مجال الصراعات العالمية » . و « ترتكز الاستراتيجية الاسرائيلية في البحر الاحمر على اعتبارات مستمدة من طبيعة الموقع الاستراتيجي لفلسطين المحتلة ، والى دور ميناء ايلات كمنفذ على البحر الاحمر ، والى الاساس القاعدى فى العمق الذى تمثله النقب من وراء ميناء ايلات . »

طابع الاستراتيجية الاستعمارية فى المنطقة :

وتمضى الدراسة فى ص ١٢٦ ـ ١٢٧ فى شرح الاستراتيجية الاستعمارية التى تقوم على «تعطيل قدرات التحكم العربى فى مداخل البحر الاحمر : ففى الشمال استغلت الاستراتيجيات المعادية الوجود الصهيونى فى شتى أشكال العدوان المتكررة على مصر والبلاد العربية المجاورة من أجل تعطيل قدرة التحكم العربى فى خليج العقبة وفى قناة السويس . وتتجه الاستراتيجيات المعادية بعد ذلك الى المداخل الجنوبية ، فتدخل فى لعبة الجزر عند مدخل باب المندب ، وتسعى الى تمكين تسلط اسرائيل على بعض منها لتعطيل احتمالات القدرة العربية على التحكم فى ذلك البوغاز » .

اسلوب المواجهة العربية للمخطط الصهيونى والاستعمارى :

وتشير الدراسة فى ص ١٢٩ ـ ١٣٠ ـ لمواجهة هذه الاستراتيجية التوسعية الصهيونية والاستعمارية ـ الى أهمية « تنسيق الدفاعات العربية حول مداخل البحر الاحمر » ذلك ان « الخطر واضح من استقراء التحركات العدوانية والمعادية من حول مداخل البحر الاحمر الشمالية والجنوبية على سواء . وهذا التحرك يمثل فى عنفه وفى عمقه القيمة الحقيقية التى يقدرها العدو للقدرة العربية حين تقوم وتتوافر لها فاعليتها . فالعدوان من حول المدخل الشمالى فى خليج العقبة وسيناء بكل عنفه وما يكدسه له العدو والمخططات المعادية من قوة يعبر عن الخشية العميقة لمعنى قدرة التحكم العربى على هذه المداخل . وان اصرار العدو فى أدعاءاته من حول مضايق تيران وشرم الشيخ وحقوق المرور يؤكد الفعالية المؤثرة للتحكم العربى فيها . . كذلك فان المخططات التكميلية التى ترسمها وتطبقها استراتيجيات العدو والاستراتيجيات المعادية المتعاونة معه من حول المداخل الجنوبية تبرز الاهمية العملية باحكام التسلط

العربى على تلك المداخل ، وتأثيراتها التى من شأنها أن تفشل كل خططه وادعاءاته فى المداخل الشمالية ، ويبين ذلك مدى الترابط بين خططه فى الشمال وخططه فى الجنوب ٠٠ وفى تقديرنا أن اسلوب المواجهة العربية يتعين أن يسير على خطين متوازين متناسقين : الأول تعزيز القدرة العربية فى التحكم فى المداخل شمالا وجنوبا ، باستخدام طاقات العمق العربى المتاخم فى كل من الطرفين ٠ والثانى تأكيد واضح عملى لعروبة الجزر فى الجنوب، وتدعيم القوات الدفاعية فيها ، وانشاء قواعد مواجهة للنقاط التى كسبها العدو ٠ »

الأهمية الكبرى للتحكم فى باب المندب :

من هذا الموجز السريع لهذه الدراسة التى وضعتها الجامعة العربية يتضح ان الاقدام على التحكم فى باب المندب الذى يشكل مدخله الجنوبى للبحر الاحمر — بعد التحكم فى خليج السويس مدخله الشمالى الغربى — يمثل صميم وجوهر الاستراتيجية القومية العربية ازاء البحر الاحمر التى طالما تردد الحديث عنها داخل اجتماعات الجامعة العربية وخارجها ، دون ان تتمكن لا دول الجامعة العربية ، ولا دول البحر الاحمر العربية ، ولا دولتا اليمن ، ولا اى منهما من وضعها او التحرك الجاد فى اتجاه وضعها وممارستها ،كما تحقق عملية الاطباق على هذا المضيق الاستراتيجى الفريد الاهمية هدفين فى وقت واحد : فهى تلغى من جهة اهمية خليج العقبة وميناء ايلات جملة وتفصيلا ، وهى من جهة أخرى تؤثر تأثيرا بالغا وخطيرا على الوجود الاسرائيلى فى سيناء من حول المدخل الشمالى للبحر الاحمر ، من هنا تتجلى خطورة عملية الالتفاف والاقتحام العسكرية والثورية البارعة والرائعة التى قامت بها مصر ، وأحكمت بها الطوق على مدخل البحر لاحمر ، ووضعت بها القوات الاسرائيلية فى سيناء بين فكى الكماشة ، معززة ومكملة بذلك عملية العبور الجسورة والعظيمة لقناة السويس ، ومشددة بها على عملية امساك الجيش الاسرائيلى من خناقة داخل سينا ذاتها ٠

قدم راسخة فى سينا وأخرى فى باب المندب :

واذن فالوثبة العملاقة التى انجزها جيش التحرير العربى فى ٦ آكتوبر ١٩٧٣ والتى تجاوز بها اعظم حاجز مائى وصناعى (قناة السويس وخط بارليف) فى تاريخ الحروب ، والتى انهى بها اسطورة

الجيش الاسرائيلي الذى لايقهر ، وألزمه وجمده ـ بعد دحره بقوة صدمتها من مواقعه المتقدمة ـ فى خطوط دفاعية متآكلة ، هذه الوثبة العملاقة التى ثبت بها جيش العروبة المفدى قدمه الراسخة فى سيناء وفى خط طويل ومتين يمتد بامتداد قناة السويس يشرف منه على البحر الابيض فى بور سعيد وعلى البحر الاحمر فى خليج السويس ـ لا تكتمل ولا يتضح عمقها الاستراتيجى ، وبعدها العسكرى ، وخطورتها السياسية الا اذا وضعنا فى الحسبان تلك القفزة الأفقية الجبارة التى رافقتها والتى قام بها الاسطول المصرى وطوى بها البحر الاحمر كله من مدخله الشمالى فى السويس الى مدخله الجنوبى فى باب المندب ، والتى هيمن بها ـ بضربة واحدة ـ على رأس الجسر البحرى هنا وهناك ، وحقق بها عملية حصار بحرى لاسرائيل أكثر خطورة وفعالية ونجاحا واحكاما من عملية حصار العقبة عام ١٩٦٧ التى اتخذت منها اسرائيل حينئذ ذريعة لشن حربها الثالثة على العرب !

ويتجلى أكثر فأكثر الأثر العسكرى والسياسى العميق لهذه الضربة الاستراتيجية الخطيرة المحكمة التخطيط ، الذكية التسديد ، المتقنة التنفيذ والتى يبدو انها لم تخطر حتى على بال دهاقنة واضعى الاستراتيجيات العسكرية فى واشنطن وتل ابيب من ناحية ان مصر انهت بها كل مخاوف العرب التى ساورتهم وأقلقتهم طيلة فترة النكسة من أن اسرائيل يتسللها الى بعض جزر البحر الاحمر الغربية، ثم لى بعض الجزر اليمنية ، تتجه ـ بدون مقاومة رادعة ـ الى وضع اليد على باب المندب ، وعلى جزيرة بريم بالذات ذات الاهمية لفائقة والقائمة فى مضيقة ، والى اطباق قبضتها فى آخر الامر على مدخلى البحر الاحمر معا ، وتحويله ـ على هذا النحو ـ الى بحيرة اسرائيلية ـ استعمارية مقفلة !

الصراعات الاستعمارية على جنوب البحر الاحمر خلال القرنين الآخيرين :

ولا يمكن ن تتضح بالكامل اهمية هذا الانجاز الاستراتيجى والثورى الفريد مالم نلق نظرة سريعة الى الوراء على الصراعات الاستعمارية التى دارت على مضيق باب المندب ـ وبالتالى على البحر الاحمر والمحيط الهندى بين القوى الكبرى خلال القرنين الأخيرين .

فعندما عزم نابليون ـ بعد سيطرته على مصر ـ على مد

نفوذه فى اتجاه الشرق ، وتهديد مراكز النفوذ البريطانى الذى كان قد أخذ يمتد من الهند صوب الخليج العربى والبحر الاحمر ، بادر الاستعمار الانجليزى عام ١٧٩٩ — فى حركة معاكسة وسريعة — الى ارسال أسطول حربى سيطر به على جزيرة بريم وعلى مضيق باب المندب ، وأقفل بذلك خط التقدم على الحملة الفرنسية نهائيا والى الأبد ·

ومع ذلك ظلت فرنسا المنافسة ترفع — وحتى الحرب العالمية الثانية — مطالب توسعية على رأس الشيخ سعيد البالغ الاهمية والمطل من الساحل اليمنى على باب المندب ، بحجة انها اشترت هذا الموقع الاستراتيجى أو استأجرته من شيخ المنطقة على ثابت منذ يناير ١٨٦٩ مقابل ٨٠٫٠٠٠ ريالا لاقامة وكالة فرنسية فيه ! ولم تتراجع عن مطالبها هذه الا تحت ضغط ايطاليا التى كانت تهيمن على اريتريا وضغط بريطانيا المتحكمة فى جزيرة بريم ·

وعندما اعلنت تركيا التى كانت تهيمن على (ولاية اليمن) خلال الحرب العالمية الاولى اقفال باب المندب — دعما لحمايتها البرية على عدن — وصبت وابل نيران مدفعيتها على جزيرة بريم ، انطلاقا من رأس الشيخ سعيد ، فى محاولة لحصر ودحر الوجود البريطانى من جنوب اليمن ، مستعينة فى ذلك أيضا بحليفتها ألمانيا ذات المطامح التوسعية الكبيرة فى الشرق ، والتى ارادت المضى فى تحقيق هذا الهدف المثير عن طريق اقامة قواعد غواصات ألمانية حذاء الساحل اليمنى وتلغيم باب المندب بواسطة بواخر المانيا ، عندما حدث ذلك امكن للامبريالية البريطانية التى كانت ما تزال فى عنفوانها بفضل نجدة أحضرتها من السويس احباط كل المشاريع التركية والالمانية البعيدة المدى ، وتحطيم حصون مستودعات الشيخ سعيد ذاتها واحتلالها لبعض الوقت !

وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية كان من السهل على زعيمة الاستعمار العالمى بهيمنتها على باب المندب ليس فقط ابطال فعالية كل خطط واعمال ايطاليا الفاشية فى البحر الاحمر ، وانما ايضا ملاحقتها الى مواقع سيطرتها على الساحل العربى للبحر الاحمر ، واخراجها منها نهائيا ، واحكام قبضتها على مدخلها الشمالى ·

ولم يكن خافيا على الاستعمار البريطانى انه كان من اهداف

الثورة العربية — بدورها الفعال فى قيام الثورة اليمنية فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ — التقدم نحو تصفية الاسطول الانجليزى فى جنوب البحر الاحمر بعد تصفيته من شماله ، ومن هنا مقاومته العنيدة المستميته للثورة اليمنية والعربية معا ، واعتماده — مع الامبريالية الامريكية — على اسرائيل فى توجيه الضربة (الفاصلة) الى مركز القيادة القومى فى مصر واضطرار القاهرة — على هذا النحو التآمرى والغادر — الى سحب جيشها من اليمن — كما حدث قبل ذلك مع محمد على باشا — ووضع مصر ذاتها تحت الحصار المباشر !

وقبل ان ينسحب الاستعمار البريطانى من جنوب اليمن حاول عبثا — من خلال الامم المتحدة الابقاء على هيمنته على باب المندب (لأهميته الدولية) الخاصة ، او تحويل هذا الممر اليمنى الهام الى ممر مائى (دولى) غير خاضع للسيادة اليمنية وهو ما تحاوله الآن من جديد — فى ظل الحرب العالمية الرابعة العربية —الاسرائيلية — الامبريالية العالمية كلها ، وبشكل تأمرى محموم ومكثف !

وضع مدخل البحر الاحمر تحت السيطرة العربية :

من هنا تتضح خطورة وعبقرية الاجراء العسكرى والثورى العربى الذى وضع به باب المندب تحت سيطرة وحماية الثورة اليمنية والعربية معا ، والذى ضرب به — لأول مرة — حصار شامل وقاهر — من جهة الشرق والجنوب — على الكيان الاسرائيلى التوسعى ، والذى اكتملت به سيطرة الامة العربية علىمدخلى البحر الاحمر الشمالى والجنوبى فى وقت واحد ، هذين المدخلين اللذين يشكلان أخطر وأهم موقعين استراتيجين فى العالم العربى والشرق الاوسط ، واللذين بالهيمنة الكاملة عليهما وعلى ما يرتبط بهما من ثروات ومصائر تبسط الأمة العربية سيادتها الحقيقية على مركز العالم بأسره .

ذلك هو الانجاز الباهر الذى قامت به مصر فى جنوب البحر الاحمر بالتعاون مع الثورة اليمنية — والذى ابرزت مغزاه الكبير بياناتها الرسمية التى كما اشارت الى الانتصارات الحربية الحاسمة فى سيناء فأنها لفتت الانتباه الى مايجرى على الجانب الاخر من البحر الاحمر ، ذلك « ان هناك عاملا هاما ، هو ان باب المندب عند مدخل البحر الاحمر مغلق تماما لجميع السفن المتجهة الى اسرائيل ، بما

فى ذلك ناقلات البترول ، وبذلك اصبحت اسرائيل كلها محاصرة بحريا بقفل باب المندب ، الامر الذى سبب لهـا أكبر الخسائر اقتصاديا ومعنويا وسياسيا فى داخل اسرائيل » (الاهرام ٣٠/١٠/١٩٧٣) وقد وضحت نتائج ذلك فى عدم « وصول أية واردات من البترول الى اسرائيل ، الامر الذى دفع حكومة اسرائيل الى فرض قيود على السيارات وفى نفس الوقت ادى الحصار الى حرمان اسرائيل من تصدير منتجاتها الى آسيا واستراليا ٠ (الجمهورية ٨/١١/١٩٧٣)

وقد ظهرت أثار هذا الحصار على الفور ، حيث أعلنت سلطات ميناء ايلات « ان ١٣ سفينة شحن قد احتجزت فى ميناء « ايلات » الاسرائيلى بسبب الحصار المصرى على مضيق باب المندب عندمدخل البحر لاحمر الجنوبى » وفيما أكدت صحيفة « معاريف » الاسرائيلية « ان جزءا كبيرا من الاسطول البحرى المصرى يشترك فى فرض هذا الحصار الذى كان من نتائجه اصابة الحياة فى ميناء ايلات بالشلل التام ، وعجز السفن القادمة عن دخول مضايق باب المندب »وحيث قالت وكالة « الاسوشيتدبرس » من واشنطن ايضا « ان المصادر الامريكية هناك ذكرت ان سفينتين حربيتين مصريتين (مدمرة وفرقاطة) تقومان الآن بحراسة باب المندب ، وتحولان دون مرور السفن المتجهة شمالا الى ميناء ايلات الاسرائيلى » ٠

اما ما صرح به جورج فيست المتحدث باسم وزارة الخارجية الامريكية من ان « الولايات المتحدة لا تستطيع ان تعتبر الموقف فى مضيق باب المندب حصارا رسميا » فانه لا أهمية له ، حيث لم تجهل الاوساط الاستعمارية الصهيونية ان ذلك كان هو أول مردود عملى ايجابى تجنيه مصر بعد اسهامها التاريخى فى تغيير الاوضاع الاستعمارية فى جنوب الجزيرة العربية ، وتحويل عنق الزجاجة البحرى هناك الذى ظلت تقبض عليه الامبريالية البريطانية قرنين كاملين الى ممر قومى عربى ، والى موقع نضالى ثورى لحماية الثورة اليمنية والعربية معا ، ولحماية طريق الشرق والغرب العتيد ٠

ومن هنا شكوى السلطات الاسرائيلية من « ان اليمن الديمقراطية الشعبية اعلنت منذ بداية حرب ٦ اكتوبر اغلاق مضيق باب المندب فى وجه السفن الاسرائيلية ٠ » ٠
(الاهرام والجمهورية ٢/١١/١٩٧٣) (والاخبار ٧/١١/١٩٧٣)
وان لم تكن اليمن الجنوبية أو الشمالية قد اعلنت ذلك بالفعل ٠

ومن هنا كذلك صراخ اسرائيل ومطالبتها وحلفاءها وأصدقاءها بضرورة انهاء الحصار المصرى المضروب على مضيق باب المندب .
ومن هنا تلك التصريحات المتشنجة التى ادلت بها جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل فى أمريكا عن اغلاق باب المندب يشكل مشكلة صعبة جدا » وبعد انتهاكا لوقف اطلاق النار من جانب مصر ! » وان «تحديد خط وقف اطلاق النار يجىء فى المرتبة الثالثة فى قائمة الاسبقيات بعد تبادل الأسرى وانها اغلاق باب المندب » (الجمهورية فى ١٩٧٣/١١/٢ ، الاهرام ١٩٧٣/١١/٤)

دلالة تحرك الاسطول الأمريكى فى اتجاه المنطقة :

ومن هنا ايضا ما اعلنته وزارة الدفاع الامريكية فى ١٩٧٣/١٠/٣٠ - بعد ان تدخلت بكل ثقلها لصالح اسرائيل لأنقاذها من هزيمة بدا انها وشيكة ، كما قالت الحكومة الامريكية لحلفائها الاوروبيين الذين أخذ ينشقون عنها مبررة بذلك تدخلها ، وبعد ان اعلنت حالة الاستنفار العسكرى والتأهب النووى لمواجهة الاتحاد السوفيتى الذى هدد بالتدخل الى جانب العرب - كما قالت ايضا - ما اعلنته من ان قوة بحرية خاصة مكونة من حاملة الطائرات هانكوك وأربع مدمرات وسفينة تموين فى طريقها الى المحيط الهندى» وانها اجتازت « بالفعل مضيق ملقا بين ماليزيا واندونيسيا فى طريقها غربا . » الأمر الذى أثار قلق واستنكار الأوساط الهندية والعربية ، بما فيها عدن .. التى بحث مجلس وزرائها هذه« التحركات الاخيرة للاسطول السابع الامريكى فى المحيط الهندى ، والتهديد الذى تشكله هذه التحركات لامن المنطقة ولسيادة اليمن الديمقراطية ، ومياهها الاقليمية ، وخاصة مضيق باب المندب .. مما استدعى اجراء مشاورات مع القاهرة ودمشق واقطار عربية اخرى(بجمهورية ١٩٧٦/١١/٧) بغية التفاهم على اسلوب مواجهة هذا التهديد الجديد .

ان هذه الحملة البحرية الامريكية التى سبقتها - قبل نشوب الحرب - شكوى من وجود سوفيتى متعاظم فى المحيط الهندى وخليج عدن والتى صاحبتها شكوى اخرى عبر عنها جيرى فريد مان الناطق باسم البنتاجون بقوله : « اننا نراقب بانتباه تزايد حجم الاسطول السوفيتى » الذى يضم ٢٠ سفينة فى المحيط الهندى و ٩٠ فى البحر المتوسط - تستهدف من جملة ما تستهدف - الى جانب القيام بعملية ارهاب للحصار البحرى العربى لجنوب البحر الاحمر

والى جانب اننا « نحب أن نكون فى المحيط الهندى من وقت لآخر » ـ كما قال فريد مان ايضا ـ تستهدف حماية طريق البترول القادم من الخليج العربى ، والقيام باستعراض للقوة فى منطقة استراتيجية « يوجد فيها البترول الذى يزود بالوقود الصناعة الامريكية واليابانية واوربا الغربية » . على أن العامل المباشر فى تحريك هذه الحملة هو ـ كما ترى الدوائر الدبلوماسية الآسيوية ـ الاستعداد لاستعراض القوة فى « واحد من اكثر المواقع استراتيجية فى العالم» ولا سيمابعد اعلان البحرين « اغلاق القاعدة الامريكية فى اراضينا ، **واغلاق اليمن الجنوبية (دون اعلان من أى من شطرى اليمن) مدخل البحر من الجنوب»(الاهرام والجمهورية ١٩٧٣/١٠/٣١)واقصاح مصر** بكل قوة وجلاء ان الحصار الذى ضربته على باب المندب لن يرفع الا **فى ضوء التوجه العملى نحو تسوية عامة لمشكلة الشرق الاوسط .**

واتضح بذلك أن القضية لم تعد محصورة فى حدود « ان الكلام فى موضوع الاسرى الاسرائيليين ، وفى موضوع فك الحصار البحرى على باب المندب عند المدخل الجنوبى للبحر الاحمر يصبح مهزلة بغير التمهيد للحديث عنها بالعودة الى خطوط ٢٢أكتوبر» (بصراحة ، هيكل ، الاهرام ١٩٧٣/١١/٤) .

أو ليس ذلك هو ما اكده الرئيس العربى انور السادات فى رده الموجه الى المستر هيث رئيس وزراء بريطانيا الذى كان قد اقترح رفع الحصار المصرى على باب المندب مقابل رفع ما زعم انه حصار اسرائيلى عن الجيش الثالث المصرى المرابط فى شرق السويس مع تبادل تسليم الاسرى والجرحى العرب والاسرائيليين ؟

فلقد كان رد قائد معركة التحرير « انا رديت على المستر هيث الحقيقة ، وقلت انه قبله يحترم وقف اطلاق النار على خط ٢٢ اكتوبر . عندئذ أنا مستعد الجرحى والأسرى ننتبادلهم . أما باب المندب فنتكلم فيه لما نيجى نتكلم فى الخطوة بتاعة الفصل بين القوات المتحاربة .. ده اذا كنا عايزين نتكلم فى السلام » . وذلك ما اكده أيضا المتحدث العسكرى المصرى اللواء عز الدين مختار فى اجابته على ما اذا « كانت مصر سترفع الحصار عن باب المندب فى حالة موافقة اسرائيل على سحب قواتها الى خطوط ٢٢ اكتوبر » حيث نبه الى « ان الرئيس انور السادات اشار فى مؤتمره الصحفى الى أن التنفيذ (الأنسحاب) الفورى للقوات الاسرائيلية الى خطوط ٢٢ اكتوبر سيتبعه عقد مؤتمر سلام

لتنفيذ كافة بنود القرارات ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٢٤٢ التى تضمن السلام العادل والدائم فى المنطقة » ٠

لقد كانت عملية باب المندب من الخطورة الى حد ان الاوساط الاستعمالية طالبت برفع ما اسمى بالحصار الاسرائيلى للجيش الثالث مقابل رفع الحصار المضروب فعلا على باب المندب ، وان يكون ذلك ضمن عملية تصفية (الجيب) الاسرائيلى فى الضفة الغربية لقناة السويس ومن هنا ايضا ما نشرته (معـــــريف) الاسرائيلية من « أن كيسنجر لم يكف طوال محادثاته مع جولدا مائير عن الاصرار على رضوخ اسرائيل لمسألة الانسحاب (الى خطوط ٢٢ أكتوبر) مقابل حدوث اتفاق على موضوع الاسرى ورفع حصار باب المنـــدب » ٠ (الاهرام ٧/١١/١٩٧٣) ٠

لقد كانت القفزة العملاقة التى رسخت بها مصر اقدامها فى سيناء ، وقبضت بها على عنق البحر الاحمر فى باب المندب مؤشرا على امكانية السير فى اتجاه تحرير جميع الاراضى المحتلة بفعالية ونجاح وكانت بدية الصيحة والانتفاضة العربية الشاملة ليس لاستخلاص الاراضى المحتلة كلها من يد الاجنبى فحسب ، وانمـا أيضـا لضرب المواقع الاستعمارية ورفع اعلام الحرية والتحرير على ربوع الارض العربية كلها ٠

عملية التفاعل التاريخى بين الشعبين اليمنى والمصرى :

وهى لم تكن اول وثبة لمصر فى اتجاه الصـحراء ، او فى اتجـاه البحرا الاحمر وهى ليست اول عملية تحرير وتطويق تقوم بها قاهرة الغزاة ، وتسد بها الطريق على القوى الاجنبية الطامعة ، كما انها لم تكن اول عملية التحام بين الشعب اليمنى والمصرى تتم بواسطتها الهيمنية الكاملة على مضيق باب المندب ، وعلى طريق التجارة العالمى بين الشرق والغرب ٠ فمنذ الملكة حتشبسوت التى امرت فى الزمن القديم بحفر ترعة لتوصـيل النيل بالبحر الاحمـر ، والتى بلغت سفنها جنوب هـذا البحر بالفعل ، وعمليـة الامتزاج والتواصـل التفاعل التاريخى ـ ايا كانت اشكالها ـ مستمرة بين سكان جنوب الجزيرة العربية وسكان وادى النيل ٠

ومضت عملية التفاعل التاريخى هذه حتى فى ظل حكم البطالمة الذين اسسوا احد الموانىء بالقرب من بوغاز باب المندب ، والذين كانت سفنهم تنقل تجارة الشرق من عدن صوب الشمال وفى اتجاه العالم الغربى القديم كله ، كما مضت هذه العملية ايضا فى عهـــد

الرومان من بعدهم الذين كانوا قد بسطوا كذلك سلطانهم على مصر .

وازدادت هذه الصلة الحيوية والمبكرة بين اليمنيين والمصريين وتعمقت اكثر بعد الفتح الاسلامى لمصر ، وبعد اعادة حفر القناة القديمة بين النيل والبحر الاحمر بأمر عمر بن الخطاب والتى عرفت حينئذ باسم (قناة امير المؤمنين) والتى كانت تمثل رأس الشريان التجارى الحى الممتد عبر البحر الاحمر الى مضيق باب المندب وعدن .

ولم تنقطع هذه الصلة الحية والمتجددة بين مدخل البحر الاحمر حتى فى ايام النفوذ الاجنبى الذى هيمن على الجزء الشمالى من الوطن العربى فى الشام ابان الاحتلال الصليبى .

دور مصر فى حماية جنوب البحر الاحمر من الغزاة :

وعندما تهدد الخطر البرتغالى مضيق باب المندب والبحر الاحمر فى مطلع القرن السادس عشر ، وبدا ان اليمن التى كانت تمزقها الخلافات الداخلية بين ائمتها وامرائها الاقطاعيين غير قادرة على مجابهته بفعالية ، والقضاء عليه بقوة — تحركت مصر ، حتى وهى فى ظل الحكم المملوكى ، وارسلت اسطولها البحرى الذى اجتازت باب المندب ، ومضى يلاحق البرتغاليين حتى المحيط الهندى .

ولولا عملية الاعتراض البريطانية التى وضع بها ميناء عدن منذ عام ١٨٣٩ تحت السيطرة الاستعمارية البريطانية المباشرة ، لكانت قوة محمد على حاكم مصر التى كانت تطل من المخا على الساحل القريب من باب المندب ، وكانت تتهيأ من هناك للانطلاق صوب عدن ، لكان جنوب البحر الاحمر كله منذ ئذ قد اصبح تحت السيادة العربية .

عودة الاسطول المصرى الى الساحل اليمنى فى عهد ناصر والسادات :

وانطلاقا من هذه الخلفية التاريخية التى تؤكد عمق الصلة بين مدخل البحر الاحمر وبين القطر اليمنى والمصرى يمكننا القول ان وثبة الجيش والاسطول المصرى فى عهد الثورة العربية وتحت الزعامة الناصرية نحو الشاطىء اليمنى ، ما هى الاستمرار تاريخى لهذه الصلة التجارية والحضارية والقومية المبكرة بين الشعبين العربيين ، وما هى الا تجديد وتثوير للروح القومية العربية ، وبداية مجابهة ثورية شاملة وحازمة للاستعمار البريطانى المتحكم فى جنوب جزيرة العرب ، واقتلاعه منه نهائيا والى الابد .

كذلك فأن وثبة الاسطول المصرى نحو جنوب البحر الاحمر في عهد انور السادات ، وهيمنته التامة عليه ما هي الا استكمال للعملية التاريخية والثورية الحديثة التى بدأت ايام عبد الناصر ، وما هى الا انطلاق بها نحو افاق اوسع وابعد ، فوق انها كانت امتدادا جبهويا وحيويا مثيرا لمعركة التحرير الدائرة الرحى فى سيناء وفى الجولان .

تقاعس العدو عن محاولة فك الحصار :

وان مما يسترعي الانتباه بهذا الصدد في عملية حصار باب المندب أن العدو الاسرائيلي لم يجرؤ على محاولة مقاومتها باختراقها أو فكها أو حتى الاقتراب منها ، رغم زعم (معاريف) بأن الذى يقوم بها سفينتان وغواصتان فقط كما جرب نفس الشيء مثلا - ببعض النجاح - في قناة السويس . أن ذلك وحده شهادة على القيمة العسكرية الفائقة لهذه العملية ، وعلى الميزة الاستراتيجية الفريدة التي تحققت بها ، وعلى الظروف الحربية والجغرافية غير الملائمة بالنسبة للعدو ، وعلى المآل الدرامي الذى كان يمكن ان تلقاه اى مغامرة بحرية قد يقدم عليها .

كذلك فأن من الملاحظ أن السفن الاسرائيلية التجارية لم تجرؤ هى ايضا على محاولة تعدى الحصار المفروض على باب المندب والتقدم اليه ، حتي اكدت المصادر الاسرائيلية بأن « هناك عشرات من السفن الاسرائيلية معطلة فى ميناء ايلات تخشى الابحار خوفا من ان تتعرض لها سفن الاسطول العربى » و « ان السفن التى تريد دخول البحر الاحمر او الخروج منه تخضع لتفتيش صارم من السفن الحربية العربية ، وقد تعرضت سفينة شحن يابانية (بالفعل) للتفتيش منذ عدة ايام » (الجمهورية ١٠/١١/١٩٧٣) .

خسائر اسرائيل الفادحة بسبب اغلاق المضيق :

أن اجمالى خسائر اسرائيل نتيجة اغلاق باب المندب تمثلت فى التالى : - « توقف العمل تماما فى ايلات ، وخسرت اسرائيل ملايين الدولارات ، وتعطل أكثر من ٣٠ ألف عامل » وفنى اسرائيلى ، كانوا وراء تشغيلها والمرافق التابعة لها - كما قال أحمد محجوب رئيس جهاز المقاطعة العربية التابع للجامعة العربية - ومن المعروف ان صناعة البترول «فى اسرائيل تدر عليها حوالى ٧١٤ مليون دولار ، وتحصل اسرائيل على ١٠٠ مليون دولار كضرائب على البترول المار عبر الانبوب الممتد من ايلات على البحر الاحمر الى

أشدود الاسرائيلي على البحر المتوسط · ونتيجة لاغلاق باب المندب توقفت مصفاتان لتكرير لبترول وتصديره لاوروبا ·· الاولى فى حيفا ، والثانية في اشدود ، وثالثة كانت تحت الانشاء في سيناء المحتلة ، وتوقف الطريق البرى السريع والمزدوج الممتد من ايلات الى عسقلان على البحر المتوسط ، ومنعت ٥٠٠ ناقلة بترول ، حمولة كل منها ٨٠ ألف طن من الوصول لايلات ، وكذلك ٤٠٠ باخرة شحن بضائع ، ومنع ٣٠٪ من صادرات اسرائيل من الحمضيات المصدرة للشرق الأقصى ، وتوقف ٥٠٪ من الانتاج الاسرائيلي من الفوسفات والنحاس والاسمنت المصدر لليابان وبعض دول الشرق الاقصى والدول الافريقية ·» وكانت اسرائيل بعد اغلاق قناة السويس قد أنشأت «خط أنابيب سعته ٤٢ بوصة ليحمل البترول من مصادره فى الجنوب الى الشمال على البحر المتوسط ، ثم يعاد شحنه بناقلات البترول الى أوروبا المتعطشة له والى المناطق الاخرى وهذا الخط الذى ينقل حاليا ٤٠ مليون طن سنويا من البترول الخام القادم من ايران والذى سيرتفع الى ٦٠ مليون طن حسب التقديرات التى كانت مقدرة له هذا العام يدر على اسرائيل مبلغ ١٠٠ مليون دولار سنويا · ونتيجة للحصار المضروب حول باب المندب فأن انبوب اسرائيل قد جف منه البترول ، كذلك تعطلت اجراءات الانتاج من حقول سيناء لوقوعها فى نطاق مرمى النيران لجيشنا الثالث فى سيناء ·» انذلك الوضع الحرج الذى وجدت اسرائيل نفسها فيه يفسر موقف هولندا التى قامت «بمد اسرائيل بالبترول المكرر لسد العجز لديها نتيجة حصار باب المندب الذى بدأ مع اليوم الاول للمعارك · ولو لم يكن البترول القادم من هولندا ــ وللمفارقات انه بترول عربى فى الاساس وكذلك البترول الذى أمد به الاسطول السادس الامريكى فى البحر المتوسط اسرائيل ــ لتوقفت آلة الحرب فى اسرائيل بعد اسبوع من القتال لعدم وجود الوقود الكافى لتسييرها »·(ايلات بعد اغلاق باب المندب ، تحقيق سيد نصار ، أخبار اليوم ١٩٧٣/١١/١٠) لم تجرؤ اسرائيل على محاولة تحدى الحصار ، رغم ماصرح به شيمون بيريز وزير النقل الاسرائيلى «بأن اسرائيل قد ترسل سفنا عبر مضيق باب المندب ، لترى ما اذا كان الحصار المصرى ــ الذى لم يرد ذكره فى اتفاقية وقف اطلاق النار قد رفع »، وردد فى مؤتمر صحفى « أن اسرائيل تؤمن بحرية الملاحة فى المياه الدولية ، وانه اذا كانت قناة السويس قد تعد طريقا مائيا مصريا ، فان مضيق باب المندب مياه دولية ، وحرية المرور فى البحر الأحمر ضرورية لتجارة اسرائيل

الدولية مع اسيا وافريقيا . » وطمأن اسرائيل نفسها بقوله بأن وقف اطلاق النار « يشمل كل شيء » بما في ذلك مضيق باب المندب» (الاهرام ١٣-١١-١٩٧٣) .

قفزة جريئة على ارض مهدتها الثورة :

ان مما سهل لعملية الحصار المصرى لباب المندب أن تحقق كل هذه النتائج الباهرة وأن تكبد العدو الصهيونى كل هذه الخسائر الفادحة انها تمت فى منطقة تدين بالولاء لقاعدة الثورة العربية ، وانها كانت وثبة على ارض شقيقة ممهدة ، اعادة الثورة اليمنية والعربية حرثها وقلبها وصياغتها من جديد ، ولم تكن وثبة على أرض غريبة أو على صخر ، كما كان الامر قبلا فى عهود التحكم الاستعمارى . ولذلك فانها لقيت تعاطفا حارا ، وتجاوبا قويا ومساندة وتأييدا واضحين وشديدين من قبل شعبنا اليمنى الذى جمع فى شمال الوطن بمبادرة ذاتية «٥ ملايين ريال لصالح المجهود الحربى لدول المواجهة» (الاخبار ٩-١١-١٩٧٣) والذى كان فى الامكان أن يلعب دورا أكبر وأكثر فعالية وحيوية فى مثل ظروف معركة المصير القومية لو كان موحد المشيئة والسياسة ، ولو كانت هناك وحدة وطنية وادارية تجمعه ، ولو كانت هناك دولة مركزية ديمقراطية توحده .

ورغم أن الشعب اليمنى - نتيجة للتجزئة الاقليمية والسياسية المفروضة عليه - لم يكن - وكما يتمنى - فى حالة حضور كامل خلال هذه المعركة القومية المجيدة ، ولم يتمكن من النهوض بواجبه العربى ازاءها كما ينبغي وكما يريد ، الا انه كان موجودا فيها بشكل ما اشكال الوجود الشعبى والثورى .

على أن مما يدعو للاسف أن التجزئة الاقليمية والسياسية قد عبرت عن نفسها حتى فى هذا الوقت العصيب الذى لم يكن يحتمل غير الوحدة الوطنية والقومية وغير وحدة العمل الوطنى والقومى العربى الذى تجسد أفضل ماتجسد فى ذلك التضامن العربى بين مشرق الوطن العربى ومغربه والذى لم يسبق له مثيل .

وبدلا من أن يكون باب المندب الذى يتقاسم شطرا اليمن السيطرة عليه ميدان تعاون وتنسيق بينهما ، ولاسيما فى مثل هذا الوقت الدقيق ، كان لدى البعض على الاقل - مايزال صالحا لان يكون ميدان منافسة ومنازعة حتى أمام الرأى العام العربى ، وبدل أن يكون هناك - ومنذ البداية - موقف يمنى منسق ازاء باب المندب وازاء الجزر اليمنية - ريثما تتحقق الوحدة السياسية - وأن يكون هناك

تنسيق يمنى مشترك ومبكر مع مصر ، تحسبا لكل طارىء ، وبدل أن يحدث ذلك بالسرعة اللازمة ، وبعد أن تمت عملية الحصار ،مباشرة، وجدنا البعض يطلق نغمة غير مفهومةوغير مستساغة حول باب المندب، شبيهة بتلك النغمة التى ثارت من قبل فى اطار الجامعة العربية حول أى الجانبين اليمنيين تتبع هذه الجزر ، أو تتبع أكثر رغم محاولة البعض التخفيف من وقع ذلك مؤخرا ، كما اتضح من التصريح الذى أدلى به محمد أحمد نعمان نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية آنذاك فى صنعاء الذى قال فيه : «ان القوات المسلحة لليمن الشمالية واليمن الجنوبية تسطيران تماما على مضيق باب لمندب الذى هو جزء لايتجزأ من الاراضى العربية يتعين أن يخدم أهداف الاستراتيجية العربية ٠»(الجمهورية ٧-١١-١٩٧٣) ومع ذلك فان وحدة الموقف الشعبى وروح الوحدة اليمنية والعربية قد أملت نفسها فى كل الاحوال بقطع النظر عن صورة التعبير عنها على هذا المستوى أو ذاك وعن مدى قوتها أو ضعفها ٠

وما يزال الرأى العام الشعبى ينتظر ، وقد أمكن الوصول - فيما بعد - ، الى موقف يمنى منسق ازاء حصار باب المندب ، أن يحل التعاون اليمنى - المصرى المنشود وغير المحدود محل «الحساسية الأقليمية التى حاول البعض افتعالها - ابان الحصار -بدعوى أن عملية الحصار تمت دون تشاور سابق مع هذا الجانب اليمنى أو ذاك ذلك أن المسألة من أى زاوية نظر اليها منها ، فأنها ستبدو وعلى الفور مشروعة ومبررة وضرورية وواجبة وذات فوائد قصوى لاحد لها لا بالنسبة لمصر فحسب ، وانما بالنسبة للقضية العربية كلها ، بما فى ذلك القضية اليمنية ٠

الارض العربية كلها ميدان حرب :

فمن ضرورة ابقاء خطط التحركات العسكرية طى الكتمان حتى بالنسبة للشقيق والصديق والقريب الى الى افتراض التسليم بمبدئية (قومية المعركة) الى وحدة المصالح العليا العربية ، ووحدة العدو الصهيونى ، الى حقيقة مانصت عليه (معاهدة الدفاع المشترك) - أحد أسس وجود الجامعة العربية - والتى «تعتبر الدول المتعاقدة بمقتضاها - كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة أو أكثر منها اعتداء عليها جميعا» وبالتالى تصبح فى حالة حرب بمجرد نشوب حرب بين أى منها وبين أى دولة أجنبية - وهو ماحدث بالفعل من نشوب الحرب العربية - الاسرائيلية - الى اطار التفاهم الاخوى القائم بين

مصر من جهة وبين كل من شطرى اليمن ، الى ايماءات عربية مفهومة ـ سواء بشكل مباشر أو أثناء اجتماعات الجامعة العربية ـ عن أهمية تحصين جنوب البحر الاحمر فى مواجهة أى عملية هجوم اسرائيلية محتملة ، الى ماأعلنه مندوب جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية فى اجتماعات اللجنة السياسية للجامعة العربية فى سبتمبر عام ١٩٧٢ قائلا فيه : «ولاأعتقد انهناك داعيا للاشارة الىخطر الوجودالعسكرى الاسرائيلي على الدول العربية ، وخاصة فى اليمن شمالا وجنوبا » والى ماقاله أيضا فى نفس الاجتماع مندوب الجمهورية العربية اليمنية من «أن البحر الاحمر فى الواقع يكاد يكون بحيرة عربية ، ولاأعتقد أن هذا يغرب عن بال العدو الصهيونى ، ولايغرب عن باله كذلك أهمية البحر الاحمر بالنسبة لمواصلاته ، وان العدو الصهيونى سيعمل على تقوية أسطوله البحرى فى هذا البحر وسيزيد من قوته ودعمه ، ولذا فعلى الدول العربية المطلة على البحر الاحمر أن تتنبه الى هذا ، فتعمل ومن جانبها على تقوية أساطيلها ودفاعاتها بحيث تفقد العدواية ميزة قد يخلقها لنفسه فى هذه المنطقة» (دراسة تحليلية عن الاهمية الاستراتيجية للبحر الاحمر ·· جامعة الدول العربية ، ص ١١) من كل ذلك والى غيره يتضح بجلاء ليس بعده جلاء أن مصر كانت تملك كل الحق ـ الى جانب الضرورة القصوى ـ فى القيام بتنفيذ عملية حصار باب المندب العسكرية الناجحة التى كان يفرضها ـ اضافة الى كل ماتقدم ـ المنطق الثورى والقومى ، ووحدة الثورة اليمنية والعربية ، ووحدة المصير العربى ، حتى بدون تشاور أو تنسيق ثنائى أو جماعى سابق من أى نوع وفى أى حدود ، وهو مالم تقف مصر عند حدوده أو تكتف به مع ذلك ، عندما وجهت هذه الضربة السديدة والمشروعة بكل مقياس وفهم ·

مغزى تصريحات زعماء اليمن الديمقراطية :

ان هذه (الحساسية الاقليمية) المفتعلة التى أظهرها البعض لا قيمة لها أمام ماأعلنه الامين العام للجبهة القومية ورئيس مجلس الشعب الآعلى عبد الفتاح اسماعيل ، مما يفهم منه انه اعتبر بلاده بنشوب حرب اكتوبر فى حالة حرب مع العدو الاسرائيلى · ألم يقل ذلك فى برقيته لرئيس مجلس الشعب المصرى آنذاك حافظ بدوى: « أن شعب جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وهو يعيش معكم الحرب الدائرة اليوم ضد العدو الاسرائيلى ليضع نفسه وكل امكانياته المتواضعة فى المعركة المصيرية التى تقودونها اليوم بكل بطولة واصرار

انى باسم مجلس الشعب الأعلى فى جمهورية اليمن الديمقراطية أؤكد لمجلسكم المنعقد حاليا وقوف شعب اليمن الديمقراطية الكامل الى جانب شعبكم البطل فى حربه التحررية المقدسة » أو ليس ذلك هو أيضا تضمنته برقية رئيس مجلس الرئاسة فى عدن سالم ربيع على الموجهة الى الرئيس السادات والتى جاء فيها : «وأنتم تخوضون معركة المصير العربى جيشا وشعبا ضد العدوان الاسرائيلى الغاشم نتابع باهتمام نضالكم الباسل ، ان جيش وشعب جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية يرى أن المعركة معركته ، يضع كل امكانياته تحت تصرف النضال العربى ، سيروا فى درب النضال والله ناصركم ٠» ؟ ومن هنا كان جواب الرئيس العربى الذى أكد فيه شكر مصر على «تضامن شعب جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية وجيشها مع الجيش المصرى فى نضاله البطولى من أجل اعلاء ارادة أمتنا العربية وتحقيق النصر ٠» (أخبار جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، السفارة ، القاهرة ، ٥ - ١١ - ١٩٧٣) وعلاوة على ذلك كله أما أكد عبد الفتاح اسماعيل فى خطابه بمناسبة ذكرى ١٤ اكتوبر «ان تحركات اسرائيل لاحتلال الجزر اليمنية تؤكد طبيعتها العدوانية والتوسعية كأداة للامبريالية والصهيونية العالمية فى الوطن العربى، وتؤكد أيضا ان عدوانها الغاشم على الاراضى المصرية والسورية لاينفصل عن اطماعها لاحتلال جزرنا اليمنية فى جنوب البحر الاحمر ٠»؟ وأما جزم بأن «اليمن الديمقراطية لاتعيش بمعزل عن المعركة المصيرية الدائرة اليوم ضد العدو الاسرائيلى ، فالمعركة معركة كل الشعوب العربية ، وان أى مخاطر تواجه شعبنا العربى فى مصر وسوريا من جراء العدوان الاسرائيلى سوف تجر نتائجها على الوطن اليمنى كله فلقد اكدت التحركات الاسرائيلية فى جنوب الاحمر أن اسرائيل فى مخططها ترمى المساس بسيادة الشعب اليمنى واستقلال الوطن ٠ »؟ واما ختم القول بأنه نهوضا بواجبنا « وانسجاما مع الارتباط المصيرى بأشقائنا العرب فاننا بكل امكانياتنا المتواضعة نقف الى جانبهم فى معركة الشرف العربية ، ونحن تحت أية اشارة توجه الينا من قبل القادة الاشقاء فى كل من مصر وسوريا ، لنسهم معهم بجزء من دورنا فى معركة الصراع مع العدو الاسرائيلى ٠ » ؟ ثم اما قال رئيس وزراء الحكم الوطنى فى عدن على ناصر محمد بأن « جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية اذ تعرب عن تضامنها الكامل مع الجماهير العربية فى مصر وسوريا والمقاومة الفلسطينية فانها انطلاقا من واجبها القومى قد اكدت عن وضع امكانياتها المتواضعة فى معركة

المصير العربى ضد العدو الصهيوني » ؟ (جريدة ١٤ اكتوبر العدنيه ٥/١٠/١٩٧٣) ثم هل نحن اخيرا فى حاجة الى التفكير بما جاء في خطاب الرئيس النظام الثورى فى عدن سالم ربيع على « واماما يدور فى هذه الايام من معارك فى اجزاء من الوطن العربى فنحن ايضا بمشاعرنا واحاسيسنا مع اخواننا العرب ، ونحن مستعدون للدعم والمساعدة حسب الامكانيات التى لدينا فى اليمن الديمقراطية ، ونحن فى اكثر من مرة عرضنا بأن اليمن الديمقراطية عندها من المقاتلين ، ويمكنها من أن تسهم فى معركة التحرير مع البلدان العربية ، وتشعر بأن هذه المعركة هى معركة مصيرية ، وانها ليست معركة البلدان التي احتلت اراضيها ، بقدر ما هى معركة والامة العربية كلها ، ونحن جزء من الامة العربية ، ونحن ايضا واضعين انفسنا على استعداد لاى طلب مع دول المواجهة ، وعلى استعداد لتقديم المقاتلين الذين سيقدمون دماءهم فداء لمعركة التحرير » (مجلة الثورى ٢٠/١٠/١٩٧٣) .

وليس لنا أن نقول اكثر من ذلك فى مقام معالجة تلك (الحساسية الاقليمية) التى حاول البعض اصطناعها فى الشطر الآخر من البلاد ، رغم وضوح الموقف الجماهيرى المتعاطف والمؤيد لتلك الضربة الاستراتيجية المحكمة التى قطع بها الطريق على أحلام التوسع الصهيونية فى اتجاه جنوب البحر الاحمر . وفى اتجاه الجزر والشواطىء اليمنية . ان تصريحات زعماء اليمن الديمقراطية هذه ومواقفهم العملية أثناء الحصار والتى أشار لها الرئيس السادات بنفسه غير مرة هى ردنا الوحيد ايضا على اكاذيب الدكتور البيضانى التى أوردها . فى ٢٤٢ ـ ٢٤٣ من كتابة (البديل للصراع الدموى فى اليمن) من أن عدن « ارسلت وزير خارجيتها الى القاهرة ليحتج على الحكومة المصرية لأقدامها على اغلاق باب المندب فى جه الملاحة الاسرائيلية . والحقيقة ان حكومة عدن تخشى من أى نصر عربى يفسح المجال لنظرة عربية على مأساة شعب الجنوب » .

التعاون اليمني المصرى فى الحصار : وحتى يظهر مدى التعاون من الجانب اليمنى ازاء عملية حصار باب المندب ويغدو معروفا للجميع فانه ربما كان علينا أن نكتفي بماكتبته الصحافة عن أن «اليمن الجنوبية قد اتخذت اجراءات معينة » فى منطقة المضيق فور اشتعال الحرب ، دون ان تعلن عن ذلك رسميا تجنبا لاية ردود فعل من الاطراف الضالعة مع العدو » (الاسبوع العربى ، بيروت

٥/١١/١٩٧٣) ـ ومن هنا اشعارها ـ كما قيل ـ للاسطول المصرى بعدم الحاجة للاقتراب من جزيرة بريم ـ وان نكتفى بتصريح وزير خارجية اليمن الشعبية محمد صالح مطيع الذى ادلى به فى بيروت فى ١٤/١١/١٩٧٣ عن مشاركة اليمن الديمقراطية فى عملية الحصار من خلال قواتها المتواجدة فى جزيرة بريم ، وبتصريحات ممثل عدن فى القاهرة آنذاك عبد الملك اسماعيل التى اكد فيها « بأننا نعتبر أنفسنا اطرافا فى الصراع العربى ألاسرائيلى » وأن « الوضع القائم الان فى باب المندب وفى مياهنا الاقليمية يؤكد ذلك » وأن « أى شىء بخصوص باب المندب لن يكون الا فى صالح القضية العربية ، وبالاتفاق مع الجهات العربية التى يعنيها الامر » (اخبار اليوم ١٠/١١/١٩٧٣) وانه « سبق أن اكدنا للمسئولين فى القاهرة ودمشق على اننا بالرغم من قلة امكانياتنا ، الا أن جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية تضع وستضع كل اراضيها وموقعها الاستراتيجى تحت خدمة القضية العربية ، بما يتناسب مع مبادى الثورة العربية ونظام الحكم فى اليمن الجنوبية ٠ » (الجمهورية ٤/١١/١٩٧٣) ٠

كذلك فانه ربما كا نعلينا أن نكتفى أيضا ببعض التصريحات التى جاءت من الشطر الاخر من البلاد حتى تتضح حقيقة ومدى تعاونه ازاء عملية حصار باب المندب ٠ أن القسم الشمالى من اليمن الذى شهد اغلى لتضحيات المصرية من أجل بقاء جمهوريته وثورته ما كان له ـ أية كانت الاوضاع ـ أن يظل بعيدا تماما عن المعركة ، وأن لايضع مشاعر وارادة الجماهير اليمنية فى حسبانه وان لايتصرف ضمن هذا الحد أو ذاك ـ والاعرض نفسه لغضب الجماهير ـ وفق مستلزمات الموقف العربى الذى لايقبل اية معاذير للتنصل عن واجب التضامن العربى حتى فى حدوده الدنيا ٠ وفق هذا الفهم يمكن النظر الى مذكرة الرئيس الأريانى الى الحكومة المصرية التى قال فيها أن جمهورية اليمن العربية «تعتبر باب المندب جزءا من المعركة ، وانها تضع كل سيطرتها على الموقع تحت تصرف القيادة المصرية » ووفق ذلك ايضا يمكن فهم اعلان حكومة صنعاء استعدادها لان تبحث « مع المسئوليين المصريين مسألة الاجراءات الخاصة بباب المندب » واثناء زيارته للقاهرة فى مطلع مارس ١٩٧٦ ذكر رئيس مجلس القيادة فى صنعاء المقدم ابراهيم الحمدى بدور صنعاء فى حصار باب المندب بقوله « أن دور اليمن فى حرب اكتوبر معروف ويكفى أننا ساهمنا

في فرض حصار على مرور السفن الاسرائيلية عبر باب المندب ، كما قمنا بكل ما نستطيع في حدود قدراتنا المتواضعة » (الجمهورية ١٩٧٦/٣/٣) .

على أنه يحق لنا - رغم كل قصور أوتقصير مفترض في الموقف اليمني - أن نقول بأنه اذا كان الشعب اليمني لايملك البترول الذى يسهم به في الضغط على الغرب ، ولا القدرات لتجنيد جماهيره في كتائب تحرير وطني مقاتلة الى جانب اشقائه العرب - نتيجة فقدانه وحدته الوطنية والسياسية والادارية القادرة على تمكينه من الاسهام الفعال بكل طاقاته النضالية المدخرة - فأن مجرد اغلاق باب المندب - هذا الموقع ألاستراتيجي والتجارى الذى كان الممر الوحيد للسفن التى تنقل البترول الى اسرائيل والذى يربطها تجاريا واقتصاديا بقارات ثلاث - وان تمكن الاسطول المصرى من تنفيذ هذه العملية بنجاح وسط تعاطف وتأييد حارين من الجماهير اليمنية العريضة ، ان حدوث ذلك في حد ذاته ، يعبر - فيواقع الامر عندور الشعب اليمني في هذه المرحلة على الاقل - في معركة التحرير ، وقسطه المتاح له خلالها في النضال ضد الصهيونية والامبريالية المعتديتين .

عزل اسرائيل عن القارات الثلاث ولجؤها الى رأس الرجاء الصالح :

ومن جديد نعيد القول بأن هذه الأنقضاضة العسكرية الجريئة والناجحة التى اقفل بها باب المندب كانت تصحيحا سوريا وحازما لمحاولة ١٩٦٧ غير الناجحة في اغلاق خليج العقبة . فبأقفال باب المندب في اكتوبر ١٩٧٣ اقفل ايضا خليج العقبة ، وبطلت أهمية تواجد شرم الشيخ في يد الاسرائيليين ، وفقد ميناء ايلات قيمته ، وعزلت اسرائيل عن افريقيا وآسيا واستراليا ، وحصرت سيناء من هذا الاتجاه ايضا ، وسدت احدى رئات اسرائيل التى كانت تتنفس بها هواء الشرق ، وقطع شريان اتصالها التجارى بالعالم القديم وحرمت من كل قطرة بترول فيالشرق الأوسط ، وحكمعليها بالعزلة والاختناق ، واضطرت سفنها الى الدوران حول رأس الرجاء الصالح - كما كان يحدث ذلك لسفن الدول الاوروبية قبل حفر قناة السويس - وهكذا صرح « موشى كاشتى مدير شركة « زيم » الاسرائيلية للملاحة بأن حكومته اضطرت لتحويل السفن المتجهة

الى « ايلات » حول رأس الرجاء الصـــالح الى موانى اسرائيل على البحر الابيض المتوسط » وقال كاشتى « أن الحصار المصرى عـلى مضيق باب المندب ادى الى تكدس البضـــائع فى ميناء حيفا ٠ » (الاهرام فى ١٩٧٣/١١/١٢) كما صرح الجنرال بيليد قائد الامداد الاسرائيلى لسابق فى حرب ١٩٦٧ بأن « أغلاق البحرية المصرية لباب المندب يؤكد ان وجود اسرائيل فى شرم الشيخ ليس هو الضـــمان لحرية الملاحة من والى ايلات » (الجمهورية ١٩٧٣/١١/٥) كمـــا وصف ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل « حصار القوات البحـــرية

المصرية لبوغاز باب المندب بأنه خطير جدا اذا لم يتم حل ازمة الشرق الاوسط فوزا حلا سياسيا ٠ » (١٩٧٣/١١/٦) اما جولد مائـير رئيسة الوزراء فأنها عدته هدفا استراتيجيا بعد اتمام تبادل اسرى الحرب ينبغى التركيز عليه من أجل وضع النهاية « السريعة لحصار باب المندب » (الاهرام ١٩٧٣/١١/١٣) ٠

عجز اسرائيل عن تنفيذ تهديداتها السابقة :

وتتجلى اكثر فأكثر القيمة العملية لهذا الاجراء اذا ما تذكرنا التصريحات المتبجحة التى كان قد أدلى بها زعماء اسرائيل عام ١٩٧١ اثر حادث ضرب ناقلة النفط (كورال سى) اثناء عبورها مضـيق باب المندب ، والتى كانت ترفع علم ليبيريا ، وتحمل شحنة نفط من الخليج العربى الى اسرائيل ، وهو الحادث الذى اتهمت به الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، حيث اعلنت جولدا مائير حينها ان ذلـك « عمل خطير جدا » و « ان اسرائيل ستتخذ الاجـــراءات الضرورية لحرية الملاحة الى موانيها » وحيث صرح موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى انه ستنفذ كافة « الاجراءات لضمان وصول الناقـــلات التى تحمل البترول الى اسرائيل خلال البحر الاحمر دون اعاقـة » وحيث هددت صحيفة (معاريف) الاسرائيلية بأن اليمن الجنوبية لن تستطيع « التهرب من مسئوليتها ، وباستطاعة الجيش الاسرائيلى الوصول الى مكان الشغب ، وسيصل اليه ، اذا ما تعرضت ملاحتنا الحرة للخطر » كما اكد وقتها مسئول اسرائيلى بأن اسرائيل « لن تتسامح تجاه هذا العمل ، وان طائرات الفانتوم التى تملكهـــا اسرائيل يمكنها ان تطير الى جزيرة بريم ، وتعود الى اسرائيل مـع تزويدها بالوقود فى منتصف المسافة ٠ » (اليمن ، الثـــورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال ، د/محمد على الشهارى ، بيروت

١٩٧٢ ص ٢٤٨) ٠

ولكن بما أن جيبوتى الواقعة تحت السيطرة الفرنسية والمطلة على باب المندب من جهة الغرب كانت غير قابلة لان تستخدم فى صالح الاهداف الاسرائيلية ، نظرا للعلاقات العربية ـ الفرنسية المتحسنة وبما ان الصومال لذى يطل ايضا على البحرالاحمر من الجهة الافريقية القريبة من باب المندب يقف موقفا صلبا ومتعاونا مع اشقائه العرب، وبما أن اثيوبيا قد بادرت الى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل، تجاوبا مع قرارات منظمة الوحدة الافريقية ، مما جعل الجزر الاثيوبية التى كانت تركز عليها اسرائيل وتريد اتخاذها نقاط انطلاق نحو احتلال الجزر اليمنية وتهديد باب المندب غير ممكن الوصول اليها أو استخدامها بعد التطورات الاخيرة التى غدت بها اسرائيل فى عزلة تامة عن القارة الافريقية التى قطعت معظم دولها علاقاتها السياسية معها ـ اقول لذلك كله توفرات كل العوامل الضرورية لان يصبح باب المندب واقعا تحت حصار محكم وخانق ٠

فتح جبهة جديدة فى جنوب بلاد العرب : من ذلك كله يتضح ان ماحدث فى جنوب الجزيرة العربية هو جبهة جديدة فتحتها الثورة العربية على الصهيونية والاستعمار ، اضافة الى الجبهة الشمالية والغربية ، وأن الحصار العربى الذى ضرب على باب المندب فى جنوب البحر الاحمر غدا شبيها ـ من بعض الوجوه ـ بتلك الضربة المحكمة التى وضعت بها قناة السويس عام ١٩٥٦ تحت الهيمنة العربية ، وهكذا انضم باب المندب الى جانب قناة السويس وخليج العقبة فى مطالبة اسرائيل بحرية الملاحة فيها بالنسبة لسفنها ، وأصبح جزأ لا يتجزأ من مشكلة الشرق الاوسط ، كما اصبح احدى ساحات المعركة القومية الشاملة ، واحد ميادين العمليات الحربية التى لايمكن الاقتراب منها بالنسبة للطرف الداخل فى حالة حرب مع العرب ، واحد الممرات العربية التى يمكن التحكم فيها فى أى وقت ٠

صراع مرير حول مسألة الحصار :

ومن هنا فأن موقف مصر فيما يتعلق بموضوع حصار باب المندب الذى كان احد المواضيع الهامة التى تناولها حديث الرئيس انور السادات وهنرى كيسنجر وزير خارجية أمريكا خلال زيارته للقاهرة بين ٧/٨/١١/١٩٧٣

كان موقفا حاسما ومحددا ، كما وضحه مصدر مصري مطلع اكد أن « ماتناقلة وسائل الاعلام الاسرائيلية والاجنبية بالنسبة للجهـــود التي بذلها الدكتور هنرى كيسنجر بأنه غير صحيح أن مصر عندما وافقت على المشروع الامريكي تعهدت برفع الحصار على باب المندب » و « أن ماردته نفس وسائل الاعلام بالنســـــبة لعناصر المشروع الامريكي لاتتفق مع ماتضمنه المشروع الامريكي الذى ابـــدت مصر استعداداها للموافقة عليه ، بشرط ان تقبله اسرائيل وتتعهـــــد بتنفيذه دون تغيير أو العودة الى اسلوب المراوغة والتحـــريف » (الاهرام والجمهورية ١٩٧٣/١١/٩) وكان رأى القاهرة خـــلال المباحثات الثنائية المصرية ـ الامريكية ان « تنفيذ الانسحاب الكامل هو الاساس لحل المشكلة على أن تتم كل الخطوات التى نصت عليها القرارات الاخيرة (لمجلس الامن) فى وقت واحد ، بحيث تكـــون العملية متصلة الاطراف والحلقات » وكانت وجهة نظر كيسنجر قد تعلقت بحل « المشكلة ككل مع التحرك فى حل التفاصيل فى نفس الوقت » (المصدر السابق) ومع ذلك فقد اتخذ الجانب العربى موقفا متشددا ازاء مسألة باب المندب ، ومن هنا فأن الاتفاق ذا (النقاط الست) الذى اسفر عن رحلة كيسنجر الى القاهرة والذى قبلت به مصر واسرائيل ، ووقعتا عليه تحت اشراف الامم المتحـــــدة فى ١٩٧٣/١١/١١ ، وتضمن من جملة ماتضمن عودة القوات الى خطوط وقف اطلاق النار فى ٢٢/اكتوبر ١٩٧٣ وتبادل الاسرى ، لم يشر على الاطلاق الى موضوع باب المندب ، الذى يشكل « قبضة خانقة » على ميناء ايلات الاسرائيلي ، متنفس اسرائيل على الشرق الاوســط والأقصى ، ومن ذلك مثلا ما نشرته (لوموند) الفرنســـية من أن « القلق الذى يسيطر على اسرائيل بشأن الاتفاق على ترتيبات وقف اطلاق النار يرجع الى ان هذه الترتيبات لاتشمل أى نص يشير من قريب أو بعيد الى الحصار المصرى المفروض على باب المنـــدب » (الاخبار ١٩٧٣/١١/١٢) وكانت « حكومة مائير قـــد طلبت من الولايات المتحدة أن ينص الاتفاق على انهاء الحصار المصرى لبـــاب المندب ، غير أن مصر لم توافق على ذلك » ولذلك فأن النقاط الست

ـ كما ذكرت وكالة الاسوشيتدبرس ـ « لا تتضمن اى تنازل من جانب مصر فيما يتعلق برفع الحصار البحرى الذى تفرضه على مضيق باب المندب » ولهذا السبب كانت اسرائيل ترغب « فى آخر لحظة » قبل اعلان الاتفاق تغيير موقفها من « موضوع الاتفاق ، لانه لم يتضمن

النص على انهاء الحصار البحرى الذى فرضه الاسطول المصرى على باب المندب » (اخبار اليـــوم والجمهورية ١٠/١١/١٩٧٣) حيث « اذيع من تل ابيب ان الحكومة الاسرائيلية قد دعيت الى اجتمـاع عاجل لبحث ما اسمى « خلافات مع الحكومة الامريكية » حول بعض بنود الاتفاق ، وذكرت المصادر الرسمية ان هذه الخلافات تتركـــز على أن الاتفاق لم يتضمن أى نص بخصوص الحصـــــار على باب المندب » (الجمهورية ١١/١١/١٩٧٣) وقد صرح « متحدث باسم وزارة الخارجية الامريكية بأنه لايعرف بوجود خلافات بين اسرائيل وامريكا ، وان مسألة الحصار على باب المندب لم تكن تعتبر رسميا ، ولذلك لم تتطلب نصا محددا عنها فى الاتفاق · واضاف المتحدث أن اسرائيل اقرت الاتفاق وهو يخلو من ذكر لموضوع الحصار · وفى القاهرة اشارت الدوائر المسئولة الى العقبات التى تحاول اسرائيل أثارتها فى وجه هذا الاتفاق فقالت أن موضوع باب المندب لم يذكر اطلاقا منذ البداية ، وأن اطراف النزاع قد وافقت على النقط الست وأن أى محاولة لاضافة فقرات جديدة ليست الا تضـــييعا للوقت أو محاولة لعرقلة الاتفاق · » (الاهرام ١٠/١١/١٩٧٣) وفى معرض الرد على اسئلة الصحفيين الاجانب رد المتحدث الرسمى المصرى على سئوال وجهه احد الصحفيين « حول القلق الذى يسود اسرائيـــل بخصوص الحصار على مضيق باب المندب، فقال المتحدث أرجو الرجوع الى نصوص وثيقة الامم المتحدة التى تضمنت الاتفاق على ترتيبات وقف اطلاق النار · » (الاخبار ١٢/١١/١٩٧٣) وكان سبب تلكؤ اسرائيل فى القبول بالاتفاق بصيغته التى لم تتضمن رفع الحصـــار عن باب المندب ناجـم من خشـــيتها « انه لن يكون لها القـدرة على المساومة لحمل مصر فيما بعد على رفع حصارها عـلى باب المنـدب » وذكرت رويتر ان مصر « قد تتخلى عنه فى هـدوء اذا ما تم تنفيـــذ الاتفاق بصورة فعلية · » (الاخبار ١١/١١/١٩٧٣) واوضـــــحت مصادر الحكومة الاسرائيلية ان مجلس الوزراء الاسرائيلى بعد اجتماعه « ابدى عددا من التحفظات التى تسبب له تلقا بالغا ، أولهـــا : أن الأتفاق لم يشر من قريب أو بعيد لموضوع الحصار البحـرى الذى يفرضه الاسطول المصرى عند مضيق باب المندب ، وهو الحصـــار الذى اصاب الملاحة الاسرائيلية من والى ايلات بالشلل الكامل » غير أن هذه المصادر عادت بعد الاجتماع الذى عقدته مائير مع السـفير الامريكى ، وبعد ان فقدت الامل فى احتمال انهاء حصار باب المندب

قبل التقدم فى طريق التسوية فأعلنت « أن القضية الملحة لاسرائيل ليست قضية باب المندب بقدر ما هى قضية الانسحاب الى خطوط ٢٢ اكتوبر » (الجمهورية ١١/١١/١٩٧٧٣) ومع ذلك ظلت مجموعة (ليكود) الاسرائيلية المعارضة عند رأيها بالتصويت ضد قبول الاتفاق الخاص بترتيب وقف اطلاق النار، لانه خلا من جملة ما خلا منه من التزام مصرى بانهاء « حصار مضيق باب المندب » (الاهرام ١٢/١١/١٩٧٣) كما سارت فى نفس الوقت مظاهرة فى تل ابيب ، حاملة عريضة وقع عليها ثلاثة آلاف شخص تنتقد ايضا قبول الحكومة الاسرائيلية الاتفاق ، لانه لم يتضمن من جملة ما كان ينبغى ان يتضمنه « رفع مصر حصارها لباب المندب » (الاخبار ١٢/١١/١٩٧٣) واثناء مؤتمرها الصحفى فى لندن طالبت مائير مصر « برفع الحصار عن باب المندب ، تعبيرا عن حسن النية !! » (الجمهورية ١٣/١١/١٧٣) ٠

وعلى ذلك يمكن القول انه اذا كانت قد لاحت فرصة ما للتقدم نحو حل عام للمشكلة فان ذلك « بات ممكنا بفضل انجازات القوات المسلحة العربية فى ساحات القتال ، وبفضل تظافر الجهود العربية على نحو لم يسبق له مثيل ، وبفضل ما يحظى به الحق العربى من تأييد عالمى ، وفى مقدمته موقف الاتحاد السوفيتى الحازم فى نصرة القضية العربية ، وتعليقه أى تقدم جديد فى تعزيز الانفراج الدولى على علاج جذور النزاع فى الشرق الاوسط ٠ » (الاهرام ٩/١١/١٩٧٣) ٠

وفى هذا الاطار لعب ايضا حصار باب المندب دورا بارزا يفوق مجرد كونه عنصر ضغط على الملاحة الاسرائيلية ، لقد لعب دورا عسكريا واقتصاديا وسياسيا فى وقت واحد ، لقد اسهم بقسط وافر فى تحريك القضية برمتها ، حتى ارتبط رفع الحصار عنه بتنفيذ الشروط المهدة لمعالجة المعضلة من اساسها ، وبالتقدم المضطرد نحو التسوية الشاملة ، وبالتحرك الفعلى نحو عقد مؤتمر السلام ، وبتحقيق نتائج عملية ومؤكدة فى اتجاه الحل الجذرى للمشكلة،فضلا عن ارتباطه بانسحاب القوات الاسرائيلية — من غرب القناة ، وهكذا سارت الامور فى خطين ، خط الحلول الجزئية التمهيدية ، وخط المطالبة بالحلول العامة والكلية ، بحيث يترتب على أى اخلال أو تهرب اسرائيل من السير نحو حل حقيقى كامل للمشكلة

الشرق الأوسط ـ بما فيها القضية الفلسطينية تشديد عملية الحصار على باب المندب وجعلها اكثر شمولية واحكاما ، بحيث انه اذا كانت مصر قد أظهرت من جانب واحد ـ كما تقول بعض المصادر الغربية ـ وبصفة خاصة ومستقلة ، ودون التزام محدد ومكتوب استعدادا لرفع الحصار ، اذا ما مضت الامور من وجهة نظرها في طريق الحل الشامل للمشكلة ، فانها تكون قد أجادت اللعب بورقة باب المندب الى اقصى حد .

وهكذا فانه اذا كانت القوات العربية قد رفعت الحصار فى الوقت الذى رأته ملائما فى ضوء اتفاقات فك الاشتباك الثنائية ، وعلى أساس المضي نحو التسوية الكاملة ، فان هذه القوات التي تولت هذه المهمة من قبل ، تظل قادرة بتعاونها المستمر مع اليمن ـ من نفس مواقعها المتحكمة بالقرب من باب المندب ، وعلى اهبة الاستعداد لجعل عملية الحصار شاملة وكاملة وفق ما يستدعيه الموقف ، فكأنها لم تصنع برفعها الحصار الجزئي والمؤقت والمشروط لباب المندب أكثر من فك قبضة اليد الواحدة جزئيا فى ذات اللحظة التى تكون فيها قادرة على اطباقها كليا من جديد ، وكأنها لم تصنع أكثر من ترك الباب مواربا على أمل دفع عجلة الحل الشامل للمشكلة ، فاذا ما بدا تعسرها أو تعثرها عادت فأغلقت الباب ، بل صفقته بالكامل فى وجه العدو بنفس اليد التى تقبض على ناصيته ، وتتحكم فى رتاجة . أو ليس ذلك هو ما يفهم من تصريح السفير المصرى فى أمريكا أشرف غربال من أن على تل أبيب أن تختار بين السلام وبين أن تحكم مصر قبضتها على باب المندب ولاسيما « أن حصار باب المندب قد اثبت أن احتلال شرم الشيخ لايمكن أن يكفل لها حرية الملاحة » (أخبار اليوم الجمهورية ١٩٧٣/١١/١٧) .

وبعد : فانه ليس هناك ما يدعو الى الشك فى ان انتفاضة التحرير التى احتدمت مرة أخرى فى اكتوبر سنة ١٩٧٣ لن تتوقف قبل وضع نهاية لمعضلة التوسع الاسرائيلي التى بدأت منذ خمسة وعشرين عاما . فلقد غدت اسرائيل ولأول مرة بين فكى الكماشة العربية ، حيث تطبق عليها الأمة العربية من كل اتجاه وبكل الاسلحة والوسائل وتطبق عليها جيوشها من كل مكان ، ومن كل الجبهات ، رغم ما يبدو عليه الموقف العربى ـ حاليا ـ من حالة ارتباك وتفكك طارىء وزائل .

من المطوق ومن المطوق :

وحتى تلك الثغرة التى خيل لاسرائيل انها فتحتها فى الضفة الغربية لقناة السويس لتغطية هزيمتها على الضفة الشرقية للقناة تحولت فى الواقع الى ما يشبه مأزق (المأسادا) الشهيرة فى تاريخ اسرائيل القديمة ، حيث وقعت قواتها هذه المرة ايضا ضمن حلقة حصار سميكة ، ذلك ان القوات المصرية فى الضفة الشرقية والغربية المحيطة بها كانت تتوزع وتتركز ـ حسب تصريح المتحدث العسكرى المصرى ـ « فى القطاعين الشمالى والاوسط داخل سيناء صامدة فى مواقعها ، كما أنه تم ربط الضفة الشرقية للقناة بالضفة الغربية ربطا تاما ، تؤمنه مختلف وسائل الدعم العسكرى » كما كانت « تتمركز قوات الجيش الثالث فى القطاع الجنوبى ابتداء من البحيرات المرة شمالا حتى عيون موسى بخليج السويس جنوبا ، وفى العمق حتى امام ممر متلا والجدى ، وتتمسك القوات بمواقعها فى صلابة وصمود ، كما أن وسائل الربط بينها وبين الجزء الثانى والاكبر من الجيش الثالث فى الضفة الغربية قائم ، وتتم عملية امداد الجيش الثالث بصورة منتظمة على الرغم من دعايات الاسرائيليين »(وان كانوا عادوا واعترفوا انه يتم تموينه وتسليحه عبر ممرات غيرمطروقة)

وكانت « تطوق قواتنا ـ كما يواصل المتحدث العسكرى المصرى ـ غرب القناة جميع قوات العدو المتناثرة فى المنطقة ما بين الدفرسوار والسويس . » (الاهرام ب/١١/١٩٧٣) وعن هذه الحقيقة تحدث وزير الحربية المصرى انذاك الفريق أول أحمد اسماعيل قائلا : « وبالرغم من ان العدو كان قد تمكن فى غرب القناة من الوصول الى مناطق تؤثر على طرق الامداد والاخلاء الى مدينة السويس والى ذلك الجزء من قوات الجيش الثالث الموجودة شرقى القناة ، الا أن العدو نفسه يعلم الموقف تماما ، ويعلم اننا نحيط به من كل جانب ، وان مركزه يعتبر من الناحية الاستراتيجية موقفا ضعيفا ، وان رجال قواتنا المسلحة الأبطال الذين اقتحموا القناة ، وحطموا خط بارليف، وقضوا على اسطورة الجيش الذى لا يقهر ، لقادرون على تصفية هذا الوضع بنفس العزم والتصميم مهما بلغت التضحيات » (الاهرام ١٢/١١/١٩٧٣)

حصار عسكرى واقتصادى وسياسى شامل :

ولأول مرة ايضا تجد اسرائيل نفسها ـ من الناحية السياسية

مدانة ومحاصرة من قبل الرأى العام العالمى كله ، وفقدت حتى تعاطف انصارها التقليدين فى أوربا الذين طالبوا لعوامل متعددة - من جملتها عودة الصراع بين الاستعمار القديم والجديد على منطقة الشرق الاوسط ، حيث المصالح الامبريالية الحقيقية - طالبوها بضرورة انسحابها من الاراضى العربية المحتلة ، وخرجت اسرائيل سياسيا من افريقيا التى اكتسحتها موجة رفض واستنكار للعدوانية الاسرائيلية ، فوق أن المعسكر الاشتراكى بزعامة الأتحاد السوفيتي ، ودول عدم الانحياز ، شكلت كلها امتداد حيا وقويا للجبهة العربية المناهضة لاسرائيل والاوساط الامبريالية المعزولة المؤيدة لها ·

لقد وضعت الحركة الصهيونية من اساسها - وذلك حدث تاريخى بالنسبة لها - فى وضع لا تحسد عليه ، وبدأ عهد أفول نجمها ، كما بدأ عهد أفول نجم الاستعمار الجديد ، - رغم الهجمة المعاكسة التى شنها بعد انتصار اكتوبر - بعد غروب شمس الاستعمار القديم ، ولقد أصبحت اسرائيل - قاعدة الصهيونية والامبريالية الامريكية - داخل طوق عالمى محكم الحلقات ·

ان ذلك يعنى بوضوح - مرة أخرى انه بحرب اكتوبر ليس الجيش الثالث المصرى هو الذى وقع تحت الحصار ، وانما بالاحرى الوجود الاسرائيلى العدوانى من اساسه ، وليس باب المندب وحده الذى وضع تحت الحصار العربى ، وانما الدولة الصهيونية ايضا لقد فرضت ، حالة من الحصار الحقيقى على العدو ، فهو عسكريا قد تلقى ضربة مؤثرة لاول مرة ، مهما حاول اخفاءها ، وهو سياسيا يواجه عزلة حقيقية نتيجة اقدام الدول الافريقية على قطع علاقتها بها ، ووجود تيار عالمى قوى ، رسمى وشعبى متزايد يدين العدوان، ويطالبه بالانسحاب ، وهو اقتصاديا يواجه متاعب حقيقية نتيجة حالة التعبئة الكاملة التى يعيشها وضخامة التكاليف العادية للحرب، فضلا عن أثار الحصار العربى المفروض على باب المندب ·» (الجمهولية ١٩٧٣/١١/٧) ·

ارتباط حل معضلة الشرق الاوسط بصمود وترسيخ الجبهة المعادية للصهيونية والاستعمار ·

ان حالة الحصار العسكرى والاقتصادى والسياسى والمعنوى

المفروضة والمضروبة على العدو الاسرائيلي لاتكتمل ولا تؤتي نتائجها الحاسمة ، باضطرار قوى الاحتلال الصهيونية الى الجلاء عن الاراضي العربية المحتلة ، وباستعادة حقوق شعب فلسطين الشرعية ، وامتلاك كل مقاليد السيادة القومية العربية ، مالم تشتد وتعزز وتصعد عملية الضغط والعنف الثوري الشاملة على مختلف المستويات وبشتى الوسائل على المصالح الامبريالية في المنطقة ، هذه المصالح التي هي بيت الداء ، وبؤرة الفساد ، وأساس الوجود الاسرائيلي . وتبقى قيمة أية اتفاقات ثنائية يكون قد تم الوصول اليها مع اسرائيل أ ومع الجانب الامريكي معلقة باستمرار هذه العملية الثورية ، ومرهونة باستمرارها دون توقف ، ان ذلك ماتعلمنا اياه تجربة حركة التحرر الوطني في العالم كله ، وعلى رأسها تجربة الثورة الفيتنامية ، وهو ماتعلمنا اياه أيضا تجربتنا الثورية العربية الخاصة . فلولا انفجار معركة التحرير في ٦ اكتوبر ١٩٧٣ ، ودورها الجبار في اعادة اسرائيل الى حجمها الطبيعي ، ووضعها في مكانها الصحيح ، وكشفها على نحو غير غير مسبوق باعتبارها أداة في يد الامبريالية الامريكية ، ولولا تجريدها بفضل هذه المعركة التاريخية من كل الهالة الاسطورية العسكرية التي كانت تحاط بها وتمريغها في معارك الصحراء وتحطيم آلتها الحربية على رمالها وفي هضبات الجولان ، والقضاء بذلك على هيبتها السياسية ومجدها المصنوع أمام العالم كله ، لولا ذلك لما هرعت قوى الاستعمار — والى حد السعار واللهاث — تفتش — بعد التهديد بوضع العالم على حافة حرب ذرية — عن الطرق التي تكفل بها الحفاظ على الكيان الاسرائيلي من الاستنزاف والانقراض في آخر الامر تحت ضربات حركة التحرير العربية المعززة بقوى الثورة العربية وبدعم خلفية دولية وثورية متينة وأمينة ، تتمثل — أيا كانت

التذبذبات الزائلة في العلاقات المصرية — السوفيتية — كما قال الرئيس العربي أنور السادات في رسالة التهنئة للزعماء السوفيت بمناسبة ذكرى ثورة أكتوبر العظمى — تتمثل في « عمق أواصر الصداقة العربية السوفيتية التي هي أبرز طاقات النضال ضد الاستعمار وسيطرته ومخططاته والتي نرجو لها مزيدا من الاطراد ، وانه لايخالجنا شك في انه بفضل التعاون المثمر البناء والوقفة المخلصة التي يقفها الشعب السوفيتي مع الشعوب العربية في كفاحها البطولي لاسترداد أرضها المغتصبة سوف تحرز ماتنشده من نصر على قوى الاعداء ولتحقيق السلام القائم على العدل . » (١٩٧٣/١١/٧

مخاوف اسرائيل ن التدخل السوفيتي لصالح العرب :

ويكفي كذلك أيضا في هذا المجال تذكر ماصرح به موشي ديان وزير الدفاع الاسرائيلي الذى قال «ولست أشك الآن في استعداد السوفييت واصرارهم على التدخل العسكرى المباشر ضدنا ، اذا دعا الموقف الى ذلك ولذى آكد «ان تهديدات الاتحاد السوفيتي بالتدخل بصورة فعالة في الشرق الأوسط قد أسهمت في خلق واقع جديد لايمكن تجاهله » و « انني الاحظ ان سياسات الدول المختلفة في العالم تجاه المسائل المتعلقة بمنطقتنا قد تغيرت ، وبصورة واضحة في استعداد السوفيت للتدخل مباشرة والعمل في منطقتنا ․ »ومن هنا «حالة التأهب التى أعلنتها أمريكا خلال حرب اكتوبر» مخافة هذا التدخل ․ (الأهرام والجمهورية ١١/١١/١٩٧٣)

من المنتصر ومن المنهزم ؟

ولقد اوجز ديان بنفسه ومن وجهة نظره النتائج الاولية التى أسفرت عنها حرب اكتوبر المظفرة المدعومة بجبهة عالمية مؤازرة ، اضطرت معها اسرائيل الى اعادة تقييم موقفها ، والاستعداد لتقديم تنازلات اجبارية ، ذلك ان «العالم الذى نعيش فيه هو عام ١٩٧٣ ، وليس عالم ١٩٦٧ ، ولقد خسرنا كثيرا في الحرب ، فضلا عن ان افريقيا واوروبا باعتنا اسرائيل بثمن بخس ، بينما كانت موسكو جادة تماما في تهديدها بالتدخل العسكرى ضدنا اذا لم ننسحب ، أما أمريكا «فانها الآن متلهفة على الحل» خوفا على مصالحها في الشرق الأوسط ، من هنا فانني «مستعد شخصيا لتقديم حلول وسط وتنازلات عديدة جدا » ان « أحد الاسباب التى تدفعني الى ذلك هو أن السوفيت مستعدون الآن للتدخل عسكريا» (الجمهورية في ١١/١١/١٩٧٣) ․

ميل ميزان القوى لصالح قوى التحرير والاشتراكية :

من هنا يبرز دور الاتحاد السوفيتي المتميز في مساندة معركة التحرير العربية ـ أيا كان التعثر الهائل في العلاقات معه حاليا ـ ومن هنا ايضا فلن تستطيع الامبريالية الامريكية أن تحلم بأن يجيء الحل السلمي في صالحها ، أو وفق رؤيتها السياسية ، طالما والجبهة المعادية للامبريالية التى يتصدرها الاتحاد السوفيتي تقف بحزم وقوة الى جانب النضال العربي ․

ولقد ادركت دوائر الحرب الامريكية نفسها أن تحولا خطيرا

فى علاقات القوى قد حدث فى الشرق الاوسط بحرب التحـــرير التى اندلعت فيه ، والتى مضت لغير صالح الجانب الاسرائيـــلى والاستعمارى ، وأدركت كذلك أن الفضل فى ذلك يعود الى الصداقة القوية والتعاون الفعال بين العرب والاتحاد السوفيتى ، حيث «أكدت المصادر العسكرية الامريكيـة ان الميزان الاسـتراتيجى فى الشرق الاوسط قد مال لصالح العرب والاتحاد السوفيتى بعد حرب اكتوبر، وأبدت هذه المصادر تشاؤمها ازاء احتمالات المستقبل برغم ترحيبها بتنائج الاتفاق الاخير ». (الاهرام ١٢/١١/١٩٧٣) .

اسرائيل «جيتو» محاصر فى صراع الشرق الأوسط :

ان هذه الجبهة النضالة العربية والدولية المنتصرة التى تضم قوى التحرير الوطنى والديمقراطية والاشتراكية، والمعادية للصهيونية والامبريالية ، والتى جعلت ابا ايبان فى معرض نزاعـــه مع ديان يتحدث بلغة لم تكن تسمع من قبل عن «فشل اسرائيل فى سيناء» وعن اننا «كنا نعيش فى وهم الدولة القوية منذ عام ١٩٧٠» والتى جعلت الزعيم الصهيونى المعروف الدكتور ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودى العالمى الذى يمثل التجمعات اليهودية فى ٦٥ دولة يقول فى أمريكا بأن اسرائيل نتيجة العزلة العالمية التى فرضت عليها، ونتيجة تحولها الى مايشبه جيتو محاصر فى منطقة الشرق الاوسط «لن تتمكن مع الزمن من البقاء كجزيرة فى محيط عربى ، حتى ولو كان لها أفضل الجيوش ، وتميز شعبها بأكبر قدر من الشـجاعة » (الاهرام ١٢/١١/١٩٧٣) والتى ـ هـذه الجبهة ـ صدعت جبهة الاستعمار ، وزعزعت أركان التحالف الغربى الذى وجد بعد الحرب العالمية الثانية واجتذبت الى جانب النضال والحق العربى معظم دول وشعوب العالم ، وأوشكت أن تعيد صياغة علاقات ومعادلات سياسية جديدة على النطاق العالمى ، ان هذه الجبهة الثورية العالمية تبقى هى الظهير ، والعامل الاول والاخير فى مواصلة حركة التحرير بنجاح واقتدار ، والتى يمكن بالابقاء على تماسكها وصلابتها ، ورأب أى صدع فيها ، وبالانطلاق والتحرك بها ومنها نحو استكمال المسيرة التحررية والتقدمية يمكن ويتحتم بلوغ غايات النضال العربى فى الخلاص الكامل والنهائى من ربقة الصهيونية والامبريالية وانتزاع كل الحقوق القومية السلبية ، والهيمنة على المصير والمستقبل العربى وصنع التقدم والحضارة العربية الحديثة .

وبهذا المنظار ووفق هذه المقاييس يمكن رؤية وتقييم مهمـــة وزير الخارجية الامريكى فى الشرق الاوسط وما أسفرت عنه ، وفى

هذا الضوء يمكن معاملة «مشروع كيسنجر» الذى لن يقدر له، للعوامل الآنفة الذكر أن يكون شركا منصوبا لثورة التحرير العربى ، أو أن يكون خدعة جديدة من خدع الامبريالية العالمية ، ولذلك «تكمن قوة أى تصور للحل ، يكون قد تم الاتفاق عليه مع كيسنجر ، لا فيما يطرحه كيسنجر بشأنه من وعود أو ضمانات ، بل فيما يمارسه العرب فى وجه المصالح الامريكية من ضغوط ، ويقتضى الاتفاق على تصور للحل مع أمريكا زيادة ممارسة هذه الضغوط لا العكس ، بما يقتضى ذلك من استمرار الاحتفاظ بأعلى درجات اليقظة العسكرية ، وزيادة تعزيز التحرك العربى والمنسق ، وزيادة تنشيط استخدام سلاح البترول ، وزيادة دعم علاقات العرب مع مختلف القوى الدولية التى ناصرت الحق العربى ، وزيادة تعزيز أوجه التفاهم والتعاون مع الاتحاد السوفيتى — واسناد التحرك نحو السلام الى جبهة لا تقل تماسكا عن تلك التى أبرزها التحرك نحو الحرب ٠ » (الاهرام ١٠/١١/١٩٧٣) ٠

وفى كل الاحوال لاينبغى أن نستنيم الى ماتحقق حتى الآن من عمليات فك الاشتباك ، ومن انسحابات جزئية ٠ ان احتمالات التعثر فى حل القضية برمتها — بمافيها المشكلة الفلسطينية — واردة باستمرار ولذلك ينبغى أن تظل قوى التحرير العربية مرابطة بملابس القتال فى قلب المعركة ، دون أن تبرح أصابعها الزناد ، استعدادا لخوض الجولة الاخيرة والحاسمة فى حرب اكتوبر الوطنية المجيدة ، عندما تفرض ظروف الصراع وتعقيداته استئنافها ، ويحتم اشعالها التعنت الصهيونى والغدر الامبريالى ٠ فنحن — كما قال الرئيس العربى أنور السادات — «كأمة عربية مستعدين لحرب طويلة ، مستعدين نتقبل خسائر ، ونصيب عدونا بخسائر ، لم يعد تهديد عمقنا ومحاولة فرض الاذلال والتخويف ، لم يعد له مكان الآن» واذا اقتضى الامر أن تطول هذه الحرب «واذا استمرت هذه العملية عشر سنين حانستمر عشر سنين ، لاننا احنا مابنطالبش الا بأرضنا وحقنا والسلام القائم على العدل» (الأهرام ١/١١/١٩٧٣)

حصار باب المندب علامة التلاحم بين مصر واليمن

وسواء فى اطار حرب التحرير العربية ، أو فى اطار شروط التسوية السياسية السلمية لما يسمى مشكلة الشرق الاوسط فقد احتل وسيحتل مضيق باب المندب — جبل طارق الشرق — مكانة بارزة من معركة العرب الظافرة ، وتصدر — لأول مرة فى تاريخ المنطقة — صدر نشرات واذاعات العالم العربى والخارجى ، منذ غدا — بعملية

الحصار الجريئة والناجحة التي تمت فيه ـ يشكل الجبهة الجنوبية البحرية في الحرب الرابعة العربية ـ الاسرائيلية ، وبذلك فانه يكون قد لعب دورا بالغ القيمة والاهمية والاثر في حركة التحرير الوطني والقومي العربية في مرحلتها الجديدة الملتهبة التي بدأت بانتفاضة ٦ اكتوبر العظيمة . ان ذلك هو ماأشار اليه بصورة خاصة وفي عبارة مركزة محددة قوية وزير الحربية المصري والقائد العام للجبهة المصرية السورية ـ ابان الحرب ـ الفريق أول احمد اسماعيل بقوله : «ان الحرب أثبتت بطريقة قاطعة ان شرم الشيخ ليست لها الاهمية الكبرى التي كانت اسرائيل تظنها وتبني عليها مطامعها في سيناء ، ان شرم الشيخ لم تعد مفتاح ايلات ، وانما نزل المفتاح الى أقصى الجنوب عندما اكتشفنا استراتيجية عربية للبحر الاحمر قررنا بمقتضاها قفل باب المندب » (الاهرام ١٨/١١/١٩٧٣) أو ليس ذلك هو مانطقت به أيضا كلمات عبد العزيز حسين وزير الدولة الكويتي الذي صرح «بأن المعلومات المتوفرة لدى الكويت تقول أن القوات البحرية العربية في البحر الاحمر فرضت وجودها في باب المندب منذ اندلاع القتال ومنعت السفن المتجهة الى اسرائيل من دخول البحر الاحمر» والذي أكد « أن اعادة فتح مضيق باب المندب يدخل في نطاق الوسائل الناجحة التي يملكها الجانب العربي من أجل اقرار السلام العادل الذي ينشده » ؟ (الجمهورية ١٨ ـ ١١ ـ ١٩٧٣) ان ذلك هو مالم تستطع تجاهله حتى الاوساط الصهيونية الخبيرة التي لم تملك الا الاقرار بخطورة ماغدت تمثله عملية باب المندب حتى بالنسبة لما يسمى (نظرية الامن الاسرائيلي) ومايسمى (الحدود الآمنة) حيث يقول «بعض الأستراتيجيين الاسرائيليين الآن ان نجاح المصريين في تقييد الملاحة في ميناء ايلات الاسرائيلي بحصار باب المندب في الطرف الجنوبي للبحر الاحمر يثبت أن شرم الشيخ لم تعد تعتبر حيوية بالنسبة لأمن اسرائيل ، كما كان يعتقد من قبل » (الاهرام ١٨ ـ ١١ ـ ١٩٧٣)

هكذا غدا باب المندب بشهادة كل الاوساط العربية وحتى الاسرائيلية ـ منذ تحول بموقعه الاستراتيجي الفريد وبالتفاعل والتلاحم بين ثورة ٢٣ يوليو والثورة اليمنية الى مسرح لعملية ثورية ناجحة ـ علامة بارزة من علامات معركة التحرير العربي . والترابط المصيري بين اليمن ومصر ، وشاهد ماديا وحيويا من شواهد معركة العرب القومية المعاصرة والمظفرة ضد الجبهة العدوانية الصهيونية والامبريالية .

نقطة انعطاف فى العلاقات المصرية ـ اليمنية

لانبالغ اذا قلنا أن الزيارة التي قام بها لمصر رئيس الدولة في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية سالم ربيع علي والتي بدأت في ١٩٧٤/٩/٥ ، والزيارة التي قام بها رئيس مجلس القيـــادة في صنعاء الى القاهرة فى ١٩٧٦/٣/١ ـ بعد فترة برود فى العلاقات بين اليمن ومصر منذ انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ في صنعاء وسيطرة الجناح اليميني فى الجبهة القومية على الحكم في عدن فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ شكلتا منعطفا هاما في العلاقات المصرية ـ اليمنية من حيث الروح التى تميزت بها هاتان الزيارتان ، والمناخ السياسي الذى حفهما ، وطبيعة القضايا النضالية المشتركة التى بدا أن الســـاعة دقت لبحثها وحســـمها بروح من الصراحة والاخـــوة ، وبغرض تصعيد مستوى العلاقات بين مصر واليمن الى افق رحب وواسع ، مضيىء ورفيع من التعاون المثمر والبناء •

ومنذ البداية كان واضحا لقيادة ثورة ٢٣ يوليو أن تحـــرر قناة السويس من الاحتلال البريطاني لايكتمل بدون تحرر امتدادها الاقليمي ، باب المندب ، وانه وان غدا المدخل الشمالى للبحر الاحمر تحت السيادة العربية ، فان هذه السيادة تظل مهددة بدون وضع اليد على المدخل الجنوبي منه ايضا ، كما انه ليس في الامكان وضع استراتيجية عربية شاملة للدفاع عن الامن العربى ، وحماية الوجود القومي ، واحاطة المصالح العربية العليا بسياج محكم وامين ، بدون قفل هذه الثغرة الخطيرة المطلة على المحيط الهندي والبحر الاحمر معا، والتي غدت منذ مطلع القرن التاسع عشر نقطة الحراســـة التى تمركز فيها الاستعمار البريطاني ، وبسط من خلالها هيمنته عـــلى خط المواصلات بين الشرق والغرب ، وبدأ منها عملية انطلاق وزحف منظمة فى اتجاه انحاء الجزيرة العربية ، ونحو احتواء الوطن العربي بأجمعـــه •

تلك كانت بعض الاعتبارات الاستراتيجية والقومية الهامـــة

التى دفعت بقاعدة وطليعة النضال العربى مصر بزعامة قائدها المقدام عبد الناصر للاندفاع بمعظم جيشها لتحرير جنوب الجزيرة العربية من الاستعمار البريطانى وركائزه الرجعية المباشرة وغير المباشرة فيه ، وللانتصار لثورة اليمن التى كانت الشرارة الاولى فى افق الجزيرة التى قدحتها شمس الثورة المصرية المتوهجة • ولقد تحققت ـ من حيث الاساس والجوهر ـ هذه المهمة التاريخية الجليلة بنصر لاشك فيه ، حيث قامت فى شمال اليمن جمهورية فتية، لم يلبث أن تلاقيامها ـ وبفضل الثورة المسلحة فى جنوب البلاد التى لعب الجيش العربى دورا حاسما فى اشعالها ـ اندحار قوات الاحتلال البريطانى ، وانتزاع الاستقلال الوطنى منها ، وقيام جمهورية يمنية اخرى اكثر فتوة وحيوية وثورية •

صحيح أن دور مصر القومى فى اليمن لم يقيم التقييم الصحيح الذى يستحقه حتى الآن، ولم يقدر من قبل بعض الاوساط المسئولة هنا او هناك حق قدره ، بسبب الروح الاقليمية الضيقة ، التى بثتها وغذتها القوى الاقطاعية والقبلية من جهة ، وبسبب اسلوب التعامل الذى كانت قد اتبعته الاجهزة العربية التابعة (لمراكز القوى) فى مصر مع القوى التقدمية ، ثم بسبب ذلك الصراع الذى نشب على ساحة اليمن ـ كامتداد لما كان موجودا فى المنطقة العربية ـ بين الناصرية ، والبعثية ، والحركية ، والذى تحول الى حساسيات سياسية مدمرة اضرت ضررا بليغا بمسار حركة الثورة اليمنية ، ومايزال يضربها ويؤثر عليها حتى الان ، والذى لم تكن القوى الاستعمارية بريئة تماما من النفخ فى نيرانه ، والابقاء عليها مشتعلة الاوار ، ولو بأشكال مختلفة وحتى الساعة ، بغية تشتيت شمل قوى الثورة ، والحيلولة بينها وبين أن تتحد ـ ذات يوم ـ فى جبهة نضال وطنى قوية وعريضة وبامتداد القطر اليمنى لمواجهة جبهة قوى الاستعمار وركائزه الرجعية ، الاقطاعية والقبلية ، الموحدة فى المنطقة •

ومن هنا تلك الاهمية الخاصة والفائقة التى ارتدتها زيارة سالم ربيع على والمقدم ابراهيم الحمدى اللتان اسهمتا فى بعث الروح الاخوية بين البلدين الشقيقين ، وتأكيد دور مصر القومى الجبار فى اليمن ، وساعدتا بالتالى على اسدال الستار على كل ما شاب العلاقات المصرية ـ اليمنية نتيجة العوامل الآنفة الذكر وغيرها من العوامل التى لم يرد ذكرها ، كما سجلتا تاريخيا فتح

صفحة جديدة اكثر حرارة ودفأ فى هذه العــــلاقات ، تليق بذلك الجهد النضالى المشترك ، وتلك التضحيات العظيمة التى بذلهـــا الشعب اليمنى والمصرى معا على ساحة اليمن ، دفاعا عن ثورتها الوطنية وانتزاعا لشعبها الابى من ظلمات القرون الوسطى ، ومن براثن الاستعمار ، وتأمينا لحقه فى الوجود والحياة والحرية والتقدم ·

وان تكييف العلاقات المصرية ـ اليمنية بمثل هذه الروح القومية العالية المسئولية ، لا يتفق فقط مع ذلك الجهد العام الذى تبذله القاهرة هذه الايام من اجل اعادة صياغة التضامن العربى ، ســواء لمواجهة احتمالات استئناف القتال مع العدو الصهيونى ـ الامبريالى ، أو لمواجهة مباحثات مؤتمر جنيف الصعبة الخاصة بالتسوية ، وانما هو يكتسب دلالات خاصة بالنسبة لليمن ، يمكن حصرها فى النقاط الثلاث التالية :

١ ـ أن هناك اختلافا سياسيا حقيقيا لا ينبغى التهوين من شأنه بين طبيعة كل من النظامين اليمنيين المتعارضين القائمين فى صنعاء وعدن ، يتخذ من قضية (الوحدة اليمنية) شعارا ومحورا له وهو اختلاف عملت بعض القوى الاستعمارية على تحويله الى حرب اهلية دامية كما تجلى ذلك فى الحرب التى اشعلتها بينهما فى خريف ١٩٧٢ ، والتى لم تطفئها غير وساطة القاهرة والدول الوطنيــــة العربية الاخرى ، ومن المعروف أن القاهرة ، التزاما منها بمنطق انه « لاصوت يعلو على صوت المعركة » ولا « معارك جانبية بين الاخـوة العرب » تؤثر حل معضلة الوحدة اليمنية بالطرق السلمية ، وهـو نفس الخط الذى رحبت به ، ودعت اليه ، وناضلت وماتزال تناضل من أجله الحركة الوطنية اليمنية · وبالتالى فأن أى جهد جديد واضافى للقاهرة فى هذا السبيل ـ ولاسيما فى هذا الوقت الذى تحسنت فيه العلاقات بين صنعاء وعدن وغدت افضل بكثير مما كانت عليه ايام حكم القاضى عبد الرحمن الاريانى ـ سيشكل بكل تأكيد دفعة هامة وحاسمة على طريق حركة التوحيد الوطنية اليمنية ·

٢ ـ أن اليمن وان كانت لاتشكل حلقة مباشرة فى جبهـة الصدام العربية ـ الا أن الاحداث اثبتت منذ وقوع العدوان الصهيونى ـ الاستعمارى عام ١٩٦٧ ، وحتى حرب ٦ أكتوبر المجيدة ، بل وحتى اليوم أن اليمن قد عانت من « اثار العدوان » ـ شــأنها فى ذلك ولو بدرجة أقل وبشكل مختلف شأن دول المواجهــــة ـ حيث انه بأقفال قناة السويس تعطل فى نفس الوقت والى حد كبير العمـل

فى ميناء عدن الذى كان يوفر للبلاد معظم دخلها ، وقاست عدن من جراء ذلك من ازمة مالية شديدة ـ شأن صنعاء ـ ما تزال تمسك بخناقها حتى اليوم ، ومن ناحية اخرى فأن ضرب الحصار العربى الشهير على باب المندب اثناء حرب ٦ اكتوبر ، والذى ادى عمليا الى شل ميناء ايلات الاسرائيلى ، بما صاحب ذلك من تسهيلات وتعاون من البحرية اليمنية ، أن كل ذلك وغيره يحتم أن تنسق العلاقات ـ على كل مستوى والى اقصى حد ممكن ـ بين القاهرة واليمن ـ بدلا من التنسيق مع العواصم المحيطة ذات المطامع المعروفة والخطرة ـ وذلك ، لمصلحة الثورة العربية واليمنية ، ولمواجهة احتمالات الحرب التى يشكل مدخل البحر الاحمر الجنوبى مفاتيحها الاستراتيجية المؤثرة والمتحكمة فيها ، ثم لمواجهة احتمالات السلم ، بما يستلزمه ذلك من تعاون واسع ومتعدد الجوانب بين القطرين العربيين .

واذا كان المحيط الهندى والخليج العربى يشكلان احدى بؤر الصراع الجديدة فى المنطقة ليس بين المعسكر الامبريالى والمعسكر الاشتراكى فحسب ، وانما ايضا بين القومية العربية وقوى الغزو الصهيونية والاستعمارية والرجعية الخارجية فأن التعاون بين اليمن ومصر فى هذا المضمار يشكل احد صمامات الامان الاكيدة فى هذا الصراع المتزايد الاتساع والخطر .

٣ ـ أن اليمن بشطريها ـ هى احوج ماتكون فى مناخ من العلاقات العربية الصحيحة والصحية مع القاهرة مركز الثقل القومى وموطن الخبرة العربية ـ الى مساعدات مصرية متعددة الجوانب ومكثفة وفى اكثر من مجال وبصورة خاصة تلك الخبرات الفنية التى لايملك أى بلد عربى آخر آن يقدمها لليمن ، كما لايحتاج اليها أى بلد عربى آخر اكثر من اليمن .

لقد اخذ سير الاحداث يشير الى انه اذا كانت العلاقات اليمنية المصرية قد اتسمت فى الفترة الماضية بشىء من الجفاف أو الجفوة أو القحط ، فأن زيارة الرئيسين اليمنيين الى القاهرة بدعوة من الرئيس أنور السادات تبشر (بفصل ربيعى) مزهر جميل ودائم النمو والاخضرار فى العلاقات المصرية ـ اليمنية .

ان تنمية العلاقات اليمنية ـ المصرية من شأنه أن يساعد اليمن أيضا فى كفاحها من اجل التقدم والوحدة . وان اقامة مثل هذه العلاقات الصحية بين اليمن ومصر هو اجمل زهرة توضع على قبر عبد الناصر ، وأقوى شاهد على آن دوره ودور ثورة ٢٣ يوليو فى اليمن لم يكن بدون نتائج طيبة وواحدة .

أبعاد وأدوات التحول الثورى فى اليمن

يمكن الجزم بيقين علمي ان اليمن تمر اليوم بأكثر اللحظات حسما في تاريخها كله : لحظات الصحو الوطني والانبعاث الثوري ، بعد دهر طويل من السبات والركود والتخلف المريع والمشين ، لحظات العثور على الذات ، واكتشاف النفس ، بعد طول غربة واغتـــراب وضياع ٠

لم تعد (العقدة اليزنية) المـريضة ، عقدة الاقطـاع المهزوم والمتصاغر امام قوى الغزو الاجنبي ، والمتباكى عـلى ماضي العربية السعيدة ، والمكتفي بالتفاخر والتعزى بحضارة الاباء والاجـداد التليدة الغاربة ، والباحث عن (مخلص)له من ماساته التاريخية من الخارج ، هي السائدة والمتحكمة ٠

لقد حلت محلها روح الاستجابة الثورية للتحدى التاريخي ، روح التوثب والتقحم روح العمل الوطني الخلاق والمبدع ، روح الاحساس بالذات ، والثقة بالنفس ، والشعور الداخـــلي الفياض والقوى بالقدرة على التحرر من اسار الماضى البغيض بكـل اوجاعـه واوضاره ، وبالقدرة على صنع الحياة الجديدة والمستقبل الوضاء ، واللحاق من ثم بركــب البشرية التقدمى الزاحـف دائما وابدا الى الامام !

لم يعد الاحساس بالصغار والانسحاق ، وقلة النفس ، وانعدام الوزن التاريخي ، وفقدان القيمةالوطنية والاهمية القومية ، والشعور بالغربة والضيـاع ، من سمات اليمن الجديدة ، ولم تعد نظرتها الى الناس والعالم والحياة من حولها نظرة ذلك الكائن البدائي الجاهل المتخلف الذى وجد نفسه مغشيا عليه من شـدة انبهاره باضـــواء الحضارة الحديثة التي اطل عليها فجاة، وهو يخرج من كهفه التاريخي المعتم !

ومع صحــــوته الوطنية وهبته الثورية التي جاءت جزءاً من

الصحوة القومية والهبة الثورية العربية العامة ، لم يعد اليمن يقف طويلا مكظوما مغموما عند تلك الصفحات المأســـاوية المحزنة مــن تاريخه · لقد اصبــح يتلفت ــ بالدرجة الاولى ــ الى تلك الصفحات المشرقة والحية من هذا التاريخ : صفحات النضال الدوؤب والمستمر ضد قوى التدخل والقهر الاجنبى ، حتى امكن له بقواه الذاتيه اساسا ان يتحرر منها ومن كل قوة غازية غاشمة، حتى غدا كفاحه الاسطورى ضد الامبراطورية العثمانية ، من اجل انتزاع حريته واســـتقلاله الوطنى من براثن العدو الخارجي ، يمثل معلما بارزا وجوهريا من حركة التحرير القومية العربية فى عهودها المبكرة ·

وباستلهام هذا الماضى النضالى ، وبالاعتماد على هذه التقاليد الثورية العريقة ، وكاستمرارية تاريخية لمجمل كفاحه العام من اجل تحرره السياسى ، واستعادة توازنه الاجتماعى ، وتحقيق ذاتيتـــه الوطنية ، امكن لشعبنا اليمنى ان يدحر من ارضه ــ بعد احتلا دام اكثر من قرن وربع قرن ــ أخر امبراطورية عالمية عرفها التاريخ : الامبراطورية البريطانية ، وان يرفع فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ ــ بعــد ثورة مسلحة دامت بضع سنين ــ علم الاستقلال السياسى والحرية الوطنية ، على ربوع عاصمته الساحلية : عدن ·

على ان دحر اخر قوة اجنبية من الارض اليمنية ، ورفــع علم السيادة عليها لم يكن مجرد استمرار ميكانيكى لماضى نضالى ، وكفاح ثورى ، لم يتوقف ابدا · لقد كان ذلك فى الواقع نقطة تحول جديدة وحاسمة فى حياته ، كانت بدايتها التاريخية ذلك الانفجار الوطنى والاجتماعى ، بل ذلك الانفجار القومى الذى شهدته صنعاء وارتعشت به وله اليمن كلها ، والمنطقة العربية باجمعها ، والذى تمثل فى اندلاع ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ التى تولدت عنها على الفور ثورة تحــرير مسلحة انطلقت نيرانها الاولى فى ١٤ اكتوبر ١٩٦٣ ·

لم تكن شرارة محلية صغيرة ، احترق بها عرش بيت حميد الدين الاثرى المستهلك والمتهالك · تلك كانت ألسنة الحــــريق الوطنى والقومى اخذت تمتد وتنتشر فى كل مكان من الارض اليمنية · وكما اتت على تاج بيت حميد الدين ، فانها انتزعت اخــــــردرة فى تاج الامبراطورية البريطانية : مستعمرة عدن التى كانت قد تحولت منذ احتلالها عام ١٨٣٩ الى اهم محطة استراتيجية لها على طريق ممالكها الاستعمارية فى الهند والشرق الاقصى ، والى الحلقة الوسطى والثالثة البالغة الاهمية بين قواعدها العسكرية فى العالم بعد قاعدتيهــا فى

بريطانيا فى الغرب ، وسنغافورا فى الشرق ·

ولقد بدأت بثورة اليمن وعلى اثرها سلسلة تحولات ثورية كبيرة فى المنطقة العربية : فلاول مرة منذ حملة محمد على باشا فى الربع الاول من القرن التاسع عشر ، خرجت مصر من جديد ــ فى تظاهره قومية وتاريخية مشهودة وغير مسبوقة ــ من النهر الى البحر ، ومن وادى النيل الى جزيرة العرب ، ولم تؤكد بذلك فحسب هوية مصر القومية ودورها القيادى فى الوطن العربى على نحو اوضح واعمق مما مضى ، وانما قادت ايضا اعظم واعرض هجمة ثورية على امتداد الجزيرة العربية ضد قوى الاستعمار القديم والجديد والرجعية العربية ، بل واحدثت ــ بحكم الآثار الايجابية التى صنعتها فى جنوب الجــزيرة تغييرات ثورية فى شمال الوطن العربى تمثلت فى تلك التطورات القومية الجديدة التى شهدتها سوريا والعراق على نحو خاص ·

وبهذه الحيوية الثورية العالية التى مست المنطقة العربية من أقصاها الى ادناها ــ على نحو متفاوت ــ منذ مطلع الستينيات ، وبذلك الدور القومى الفريد الذى لعبته مصر فيها ، وبالتألق النضالى الذى بلغت اقصى ذراه شخصية جمال عبد الناصر الضخمة والفذه اثناء وبفعل عملية التحول القومى والاجتماعى الهائلة هذه ، فأن الساحة العربية تحولت ابان هذه الحقبة الذهبية من النضال العربى الى اهم واخطر ساحات الصدام الدولية بين حركة التحرير الوطنى العربية والعالمية وبين الاستعمار والصهيونية والرجعية ، هذا الصدام الذى وقــف فيه المعسكر الاشتراكى بقيادة الاتحاد السوفيتى الى جانب قــوى الثورة والتحرير والتقدم العربية ، ضد الجبهة الامبريالية المعادية ·

ولم تكن هجمة ٥ يونيو ١٩٦٧ الغادرة التى شنها التحــالف الصهيونى ــ الاستعمارى ــ الرجعى الا محاولة للانتقــام من تلك الهزائم التى لحقت بقوى هذا التحالف فى اليمن وعمــوم المنطقة العربية ، ولكسر حركة التحرير الوطنى العربية التى تعاظم خطرها على المصالح الأمبريالية فى هذه المنطقة ، ولفك عرى التحالــف النضالى بين هذه الحركة والمعسكر الاشتراكى ، وللحيلــولة دون مضيها فى طريق التنمية الاقتصادية والاجتماعية المستقلة والكاملة ، وطريق التقدم الاجتماعى التام ، والوحدة القومية الشاملة ·

على ان حرب ٦ اكتوبر المجيدة عام ١٩٧٣ التى شنتها دولتــا المواجهة الوطنيتان مصر وسوريا ، واسهمت فيها المقاومة الفلسطينية وبعض الدول العربية ، ولعب الرئيس السادات فى تخطيطها واتخاذ

القرار الحاسم باشعالها دورا خاصا ومتميزا ، قد وضعت والى الابد نهاية لأسطورة التفوق والتبجح الصهيوني ، وحلت والى الابد عقدة الشعور بالهزيمة والنقص العربى ازاء قوة اسرائيل ، واوضحت ـ من جديد ـ ان يد حركة التحرير العربى هى العليا والاقدر على تقرير وتكييف مصائر المنطقة ، كما أوضحت ـ مرة اخرى ـ مدى أهمية استمرار وتعميق التحالف الثورى والاستراتيجي بين معسكر الثورة العربية ، والمعسكر الاشتراكى ، من اجل استكمال تحرير الاراضى العربية المحتلة ، واقامة دولة فلسطين الوطنية ، والمضى فى طريق التقدم الاجتماعى والنهوض الحضارى المطرد والمتكامل ٠

ومهما بلغت مناورات الامبريالية العالمية فانه لا محيص من استمرار توثق العلاقات النضالية والاستراتيجية بين فصائل الثورة العالمية الثلاث : المعسكر الاشتراكى ، والطبقة العاملة فى الغرب ، وحركة التحرير الوطنى العالمية التى تشكل حركة التحرير الوطنى العربية احدى كتائبها المتقدمة والصدامية ٠

ولقد غدت حركة التحرير الوطنى اليمنية قوة حقيقية ومؤثرة داخل هذه الكتيبة العربية المقدامة . ان انتصاب نظام وطنى تقدمى فى مثل فلق الصبح فى الجزء الجنوبى من الوطن اليمنى ، لايمثل فقط ـ موضوعيا وتاريخيا ـ حجر الزاوية فى بناء صرح دولة اليمن الحديثة الموحدة ، الوطنية الديمقراطية ، وانما هو ايضا واحد من ابرز منجزات حركة التحرير الوطنى العربية ، وواحد من اهم أحزمة الامن القومى الوثيقة التى تحمى اليوم ثغور وتخوم الوطن العربى ، فوق انه حارس يقظ يركن اليه على مدخل البحر الاحمر الجنوبى ، وقلعة شامخة من قلاع النضال العربى الامامية ، التى ستتضح وتزداد اهميتها الثورية مع الايام ٠

ان ذلك الدور القومى الذى لعبته عدن اثناء حرب ٦ اكتوبر المجيدة ، وبالذات فى عملية ضرب الحصار العربى على باب المندب، وذلك التنسيق الاخذ اليوم فى التنامى باطراد بين عدن ومصر فيما يتعلق بتامين هذا المدخل الاستراتيجى الهام ، وهذا الموقع القومى الفريد ، ليبين ـ بشكل حاسم ـ مدى خطورة ما غدت تمثله عدن الثورة والتحرر بالنسبة لمجمل النضال العربى ٠

ان هذا الدور ـ فوق ذلك ـ لا يعدوان يكون رمزا ومؤشرا لحجم الدور القومى الضخم الذى لابدان تلعبه اليمن ككل فى المستقبل ازاء امتها العربية ، بعد استعادة توازنها الاجتماعى ، وتكاملها الذاتى

وتحقيق وحدتها الوطنية ، وبروز شخصيتها السياسية الحديثة ـ الآخذة اليوم في النمو والتبلور بالفعل ٠

لقد لعبت اليمن دورا حضاريا وتاريخيا مرموقا في الزمن القديم، واكب ادوار حضارات العالم التي شهدها الشرق الأوسط في هذا الوقت ٠ ولقد كانت اليمن مع بزوغ الاسلام وانطلاق فتوحاته في اتجاه الشرق والغرب ، ومن خلال جيوشها التي اسهمت بدور بارز في عمليات الفتح هذه تمثل العمود الاخر الذى قام عليه وبه بناء الدولة العربية ـ الاسلامية المترامية الاطراف ٠

ولن يكون حاضر اليمن ومستقبلها بخلاف ماضيها ، ولسوف تكون في قادم الايام احد الاركان الراسخة والقوية التي تنهض عليها وبها الدولة العربية الكبرى الحديثة الموحدة ، الديمقراطية التقدمية٠

ان تحقيق الوحدة اليمنية شرط تاريخي لابد من تحققه ،حتى تستطيع اليمن أن تنهض بمثل هذا الدور ، وتسهم بفعالية وقوة في تحقيق هذه الوحدة القومية المنشودة ٠

ان تسوية النزاعات القائمة بين عدن من جهة وبين المملكة العربيةالسعودية وسلطنة عمان وغيرهما من الامارات العربية في الخليج العربى من جهة أخرى ، والتى تلعب مصر والرئيس السادات شخصيا دورا هاما من أجل تحقيقها ، من شأنها ان تتيح امكانية اخراج القوى الأجنبية والاستعمارية منعمان والمنطقة منحولها، والتىاصبحت تهدد جدياعروبة الخليج، وامنوسيادة اليمنالديمقراطية ،واستقراروحدة الاراضى اليمنية عموما ، كما ان من شأنها ان تقلل من حدة العداء السياسى الموجه ضد النظام الوطنى فى جنوب اليمن ، وان تكبح من جماح وسعار قوى الثورة المضادة فى الجزيرة ، وان تساعد على خلق مناخ سياسى اكثر مواتاه على الصعيد اليمنى ، يمكن ليس فحسب التفرغ لحل مشاكل اليمن الداخلية والمعقدة ، ومن التركيز على قضيتها الجوهرية والرئيسية ، قضية توحيد الوطن والشعب اليمنى التى بتحقيقها لاتتوفر الشروط الموضوعية والسياسية البشرية والمادية للتنمية الاقتصادية الواسعة ، والتقدم الاجتماعى المتسق ولاستعادة التوازنالذاتى والتكامل الوطنىالطبيعى ، والمضى فىطريق النهوض الحضارى والتاريخى الشامل ، وانما تتمكن بها اليمن ايضا من الاضطلاع بدورها القومى والثورى ازاء الجزيرة والخليج العربى وازاء المنطقة العربية كلها ٠

ان القبول بسياسة التعايش والتصالح تستلزم فى نفس الوقت

اليقظة والحذر من أن تتحول الى عملية استيعاب واحتواء للثورة والوطن اليمنى .

ولا حاجة الى التأكيد بأن النضال من اجل تحقيق الجبهة العربية التقدمية يستلزم بالضرورة النضال من اجل تحقيق وحدة الحركة الوطنية اليمنية اولا ، حيث انه غدا واضحا تماما ان انجاز الوحدة الوطنية والثورية داخل كل قطر شرط لازم لاغنى عنه لانجاز هذه الوحدة على المستوى القومى .

ان قيام التنظيم السياسى الموحد ـ الجبهة القومية عشية الذكرى الثانية عشر لثورة ١٤ اكتوبر يحتم تركيز الجهد الوطنى والنضالى ـ منذ الان فصاعدا ـ من اجل تحقيق وحدة الطلائع الاشتراكية اليمنية فى حزب طليعى اشتراكى يمنى واحد ، يقود مسيرة النضال فى اليمن ، ويقوم بوضع استراتيجية وتكتيكات الثورة اليمنية عبر مراحلها السياسية المتلاحقة ، ويتولى توجيه العملية التاريخية والثورية بمجملها ، بكل ابعادها الوطنية والاجتماعية ، والوحدوية والديمقراطية .

ولان التنظيم السياسى الموحد ـ الجبهة القومية اصبح اليوم ـ بالانجازات السياسية والاجتماعية الحاسمة التى حققها فى جنوب الوطن ـ يشكل الحزب الجماهيرى الاكثر تمرسا فى النضال ، والاوسع خبرة فى ميدان العمل السياسى ، ولانه يهيمن على معظم الاراضى اليمنية ، ويقود ـ عمليا ـ نواة الدولة اليمنية الحديثة ، الوطنية الديمقراطية ، فأنه تقع عليه ـ موضوعيا وحتميا ـ مسئولية ثورية ونضالية وقيادية استثنائية فى مضمار توحيد فصائل الحركة الوطنية اليمنية فى جبهة وطنية عريضة ، وتوحيد المنظمات الجماهيرية فى نقابات شعبية موحدة ، وبالدرجة توحيد الطلائع الاشتراكية اليمنية فى حزب طليعى واحد ملتزم بأيديولوجية الاشتراكية العلمية .

ان تحقيق الوحدة الثورية على هذه المستويات الثلاثة هو الذى سيوفر عمليا الادوات التاريخية الكفيلة بتحقيق الوحدة اليمنية ، واقامتها على اسس راسخة متينة ، وعلى قوائم وطنية ديمقراطية .

ان الوصول الى الحد الادنى الممكن والمقبول من وحدة العمل والتنسيق مع المؤسسة العسكرية الحديثة فى شمال الوطن ، ومع مجلس القيادة الذى يتزعمه المقدم ابراهيم الحمدى رئيس الدولة فى صنعاء امر ضرورى ولازم ، من أجل افشال سياسة الأحتواء الداخلية والخارجية ومن اجل بناء جبهة تحالف سياسى عريضة

في مواجهة جبهة الاقطاع والقبلية والكومبراد ورية ، بكل خلفيتها الرجعية والاستعمارية ، العربية والدولية ، ومن اجل تعميق ودفع الصراع مع هذا الجبهة المعادية الواسعة والقوية الى نهاية المظفرة ، وأعطائه كامل ابعاده ومضامينه السياسية والاقتصادية ، والوطنية والاجتماعية .

ان تنشيط العمل السياسي في شمال الوطن ، والحصول على فرص اوسع للنضال الوطني والوحدوى والاجتماعي كما يتطلب من السلطة في صنعاء اشاعة مناخ ديمقراطي واسع لكافة اطراف الحركة الوطنية اليمنية ، فأنه يستوجب بالتأكيد من جانب هذه الاطراف اقامة حوار بناء وصبور وهادف بينها وبين المؤسسة العسكرية ، من اجل اقامة تنظيم سياسى في هذا الجزء من البلاد ، يلتزم ببرنامج عمل حد ادني مشترك ، وبوثائق الوحدة اليمنية المبرمة ، ويعمل على تلمس امكانية بناء التنظيم السياسي الموحد الذى نص عليه بيان طرابلس بين الحكومتين اليمنيتين ، كما يعمل ليس فقط من اجل اقامةالدولة المركزية الحديثة فيصنعاء ، وانمابالدرجة الاولى علىدفع حركة المجتمع كله في اتجاه اقامة الدولة اليمنية الحديثة الموحدة ، الوطنية الديمقراطية .

ان قدرا من المرونة والبصيرة والحكمة السياسية والثورية لم يكن مطلوبا في اى وقت مضى ، كما هو مطلوب اليوم ، ان الثورية الحقة هي علم قوانين حركة المجتمع ، وحسن استخدامها ، ووضع التكتيكات الملائمة لكل مرحلة منها ، والكفيلة في اخر الامر بتحقيق الغاية الاستراتيجية العظمى .

ان التناقض الرئيسى على نطاق الساحة اليمنية يقوم اليوم ـ كما هو واضح جليا ـ بينقوى الاقطاع والقبلية والكومبراد وريةواسنادها الامبرياليين والرجعيين في الخارج ، وبين اطراف الحركة الوطنية اليمنية والقوى العسكرية المستنيرة .

ان مهمة الثوريين المتقدمي الوعي تكمن بالضبط في كيفية ترجمة هذا التناقض ـ على الجانب الوطني ـ الى صيغ عمل سياسية محددة ومقبولة ، وفي القدرة على حل وتطويع اى تناقضات قائمة او يمكن أن تقوم بين القوى الوطنية والقوى العسكرية المستنيرة لهذا التناقضالرئيسي، حتى يسهل بذلك ايجاد أوسعوأقوى جبهة هجوم وطني واجتماعي ضد قوىالاقطاع والقبليةوالكومبرا دوريةوحلفائها وأسيادها في الخارج ، وحتى يصبح ممكنا اسقاط حاجز القرون

الوسطي السميك الذى مايزال يحول دون انطلاق اليمن كلها فيطريق التحرر والتقدم والوحدة ، حاجز الاقطاع والقبلية العتيد ، وتجاوز مرحلة التطور الرأسمالي الكومبراد ورى الخطرة التي يراد دفع شمال البلاد اليها ـ كخط ثاني من خطوط العمل الرجعي الامبريالي ـ وحتى يتسنى دفع اليمن كلها على طريق التنمية الاقتصادية المستقلة الكاملة وطريق التوحد الوطني التام ، والتقدم الاجتماعي الشامل ٠

تلك هي وسائل واساليب العمل السياسي المطلوب في هذه المرحلة الجديدة التي تمر بها اليمن ، وتلك هي قنـــوات وادوات النضال الوطني العام الحتمية والتاريخية ، بل تلك هي المرتكزات السياسية والاستراتيجية لاحباط مخططات الاستيعاب والاحتـــواء الخارجيـــة ، ولاعادة بعث وبلـــورة الشـــخصية اليمنيـة ، ولاقامة دولة اليمن الحديثة المتحررة ، المركزية الموحدة ، الوطنية الديمقراطية ، الناهضة المتحضرة ، التي ستشكل بقيامها ـ وكحتمية تاريخية ـ ركنا اساسيا في بناء الدولة العربية الكبرى الموحدة ، الديمقراطية التقدمية ٠

الفهرســـــت

مطابع
مؤسسة
روز اليوسف

رقـــم الايـداع بدار الكتب ٧٦/٣٣٤٣
الترقيم الدولى ـ ٧ ـ ٠١٩ ـ ٣٢١ ـ ٩٧٧

هذا الكتاب ..
وهذا المؤلف ..

بدعمها لثورة اليمن ضد الامامة الكهنوتية ، والاستعمار البريطاني ، ارادت مصر الناصرية تمكين اليمن من بعث وبناء شخصيته الوطنية ، وتحرير ركن هام من اركان الوجود القومي العربي ولهذا الغرض دفعت بجيشها الباسل الى هناك ، حيث خاض الخمس سنوات كاملة معارك قومية عظيمة الى جانب شعب اليمن المكافح ، تم بها تثبيت جمهورية ٢٦ سبتمبر فى الشمال ، وقيام جمهورية ١٤ اكتوبر فى الجنوب ، وكان من ثمارها ذلك الدور الذى لعبته اليمن فى حصار باب المندب اثناء حرب اكتوبر المجيدة .

ان هذه الصفحات المشرقة والحافلة فى سجل النضال القومى لعبد الناصر وثورة ٢٣ يوليو التى ارادت قوى الرجعية والاستعمار طمسها وطيها وتمزيقها ، هى ما عاد الدكتور محمد على الشهارى الى فتحها واجلاء الصدا عنها ، وهو كما يتضح من قراءتها الممتعة والشيقة عمل يختلف عن طريقة فتح (الملفات) التى دأبت القوى اليمينية والليبرالية على فتحها ، بهدف تشويه صورة البطل القومى الفذ جمال عبد الناصر .

اما كاتب هذه الصفحات فهو الكاتب التقدمى اليمنى المعروف الدكتور الشهارى صاحب كتاب (طريق الثورة اليمنية) (١٩٦٦) و (اليمن .. الثورة فى الجنوب والانتكاسة فى الشمال) (١٩٧٢) والذى ليس هناك مجلة مصرية او عربية مرموقة لم تفسح لقلمه الذى يقطر ثورية وحرارة وحبا لقضية بلاده والقضية القومية مكانا ، والذى لا يبرح بكتاباته النضالية المستمرة التى تسهم بشكل جدى فى مطاردة السحب المحيطة بوطنه يؤكد حتمية مضى اليمن على درب الثورة والتحرر والتقدم والوحدة اليمنية ، ومضى الوطن العربى كله على درب الثورة والوحدة العربية الشاملة .

مكتبة مدبولى
٦ ميدان طلعت حرب القاهرة ت ٧٥٦٤٢١
MADBOULI BOOKSHOP 6 Talat Harb SQ. Tel. 756421

طبع بالمطبعة الفنية ـ ت : ٣٩١١٨٦٢